

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

صدي وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث: (1917 - 1948م)

دراسة موضوعية وفنية

ميسون يزيد محمد سلامة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1438هـ - 2017م

صدي وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث: (1917 - 1948م)

دراسة موضوعية وفنية

إعداد:

ميسون يزيد محمد سلامة

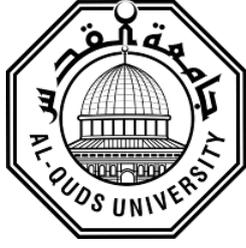
بكالوريوس لغة عربية وآدابها جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

المشرف: أ. د. مشهور الحبّازي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها/ كلية الآداب/ جامعة القدس

1438هـ - 2017م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج اللغة العربية وآدابها

إجازة رسالة

صدي وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث: (1917 - 1948م)

دراسة موضوعية وفنية

اسم الطالب: ميسون يزيد محمد سلامة

الرقم الجامعي : 21311927

المشرف : أ. د. مشهور الحبّازي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 20 / 5 / 2017م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم :

التوقيع :	أ. د. مشهور الحبّازي	1- رئيس لجنة المناقشة
التوقيع :	د. بنان صلاح الدين	2- ممتحنًا داخليًا
التوقيع :	د. زين العابدين العواودة	3- ممتحنًا خارجيًا

القدس - فلسطين

1438هـ - 2017م

الإهداء

تمر مئة سنة على الوعد البريطاني، وتمر معها الذاكرة على زمن فلسطيني كثيف،
يتسيّد ساحاته المعنى، وتقف القيمة على حافته في اختبار العالم الأخير.

إثر هذا الوعد، تاه الفلسطينيون في منافيه، وتاهت من بعده الثورة، النكبة تتلوها
النكسة، والنكسة تتلوها الخيبة، والخبية يتلوها التيه...

لذكرى هذا الوعد، ولفصول هذا التيه نعطي وعدًا فلسطينيًا بإرجاع الأرض التي نملك
إلى الشعب الذي يستحق، وأملًا بالبعث ومواصلة طريق التحرير...

أهدي هذا العمل لهذا الأمل

إقرار

أقرّ أنا معدة هذه الرسالة، أنّها قدّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة، أو أي جزء منها، لم يقمّ لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع :

ميسون يزيد محمد سلامة.

التاريخ : 20 / 5 / 2017م

شكر وعرّفان

أتوجه بشكري الجزيل إلى أ.د. مشهور الحبّازي المشرف على هذه الرسالة، إذ سار العمل على خط توجيهاته وإرشاداته وملاحظاته، وأسأل الله العلي القدير حسن الجزاء له في الدنيا والآخرة.

وإلى أستاذ اللغة العربية زوجي العزيز عبدالكريم الأطرش، شكر مستفيض على

دعمه ومساندته لي في هذا العمل كما عهدته طوال مسيرتي العلمية والعملية.

المخلص

تتناول هذه الدراسة صدى وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث ، في حقبة الاحتلال البريطاني لفلسطين، ما بين عامي 1917 و 1948م، إذ درست هذا الشعر من الجانبين الموضوعي والفني. أمّا أسباب اختياري هذه الدراسة فتعود لأهمية الدور الذي لعبه هذا الشعر أثناء حقبة الاحتلال البريطاني لفلسطين، إذ استمدّت مادته من الأحداث السياسية والعسكرية التي اجتاحت فلسطين في تلك الحقبة، فكان يقاوم ويقاقل حين يقف في وجه المحاولات الرامية إلى تهويد فلسطين، وإقامة الوطن القومي لليهود، فكان يحملُ همًّا جماعياً، ويحرّضُ على الثورة، وحفظته الجماهير الفلسطينية فكان علامة إيجابية للمقاومة والتحدي .

ومما دفعني إلى هذه الدراسة أن هذا الموضوع لم يدرس من قبل بشكل مفصل، وأنّ معظم الدراسات الأدبية الحديثة تناولته دون تفصيل، وتحت عناوين، مثل: **حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة** لعبد الرحمن ياغي، و**شعر المقاومة الفلسطينية** لحسني محمود، و**الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر** لمحمد عبد عبدالله عطوات، أو تحت عنوان: " نماذج شعرية" في كتاب "الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن" لناصر الدين الأسد، وغير ذلك من الدراسات للشعر الفلسطيني الحديث.

وقد اعتمدت في هذه الرسالة المنهج التكاملي، إذ اتبعت المنهج التاريخي في التمهيد، والمناهج الوصفي والتحليلي والإحصائي في الفصلين الأول والثاني، أي في الدراسة الموضوعية والفنية، إضافة الى المنهج الجمالي في الدراسة الفنية.

أما مادة البحث، أي الشعر الذي قيل في وعد بلفور فهي (29) قصيدة، استقيتها من (13) ديواناً، للشعراء الذين نظموا في هذا الموضوع وهم: إبراهيم الدّباغ، وإبراهيم طوقان، وإسكندر الخوري البيتجالي، وحسن البحيري، وعبدالرحيم محمود، ومحمد العدناني، ومحمد علي صالح، ومحيي الدين عيسى الصّفي، ووديع البستاني، وهارون هاشم رشيد، أما شعر الشاعر سليم اليعقوبي، فاستقيته من كتاب "حسان فلسطين سليم أبو الإقبال اليعقوبي" سمير شحادة التميمي، وقصيدة الشاعر عطا سليمان رموني، أخذتها من الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

وأهم نتائج هذه الدراسة هي:

- أ- صور هذا الشعر نكبة البلاد بصدور الوعد والتنكر للوعود التي قطعها بريطانيا للعرب فسوّر المؤامرات البريطانية والصهيونية على فلسطين وأهلها في حقبة الدراسة، وحذّر أهل البلاد منها، فكان بمثابة سجل وثائقي لواقع هذه الحقبة المفصلية في تاريخ القضية الفلسطينية.
- ب- حضّ على الثورة المسلحة، لمقاومة الاحتلال البريطاني، والمنظمات الصهيونية، وانتزاع الحرية والاستقلال، من أجل الحياة الكريمة.

ج- مجّد الشعراء موت الشهداء الفلسطينيين إذ أنّ الشهادة رفض للذل والضميم، وطلبوا من شعبهم أن يتسلح بالصبر والإيمان بقضاء الله وقدره، لأنّ حياة الخنوع تحت نير الطغاة ليست حياة وما هي إلا خزي لا يرضاه جدودنا الأحرار الذين رووا بدمائهم الطاهرة تراب فلسطين على مر الأجيال ، ومن الواجب علينا أن نسير على خطاهم، ونجود بأنفسنا لنكون أحرارًا في حياتنا وحياة الأجيال القادمة.

د- صور جرائم الاحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية فكان مرآة تعكس مآسي وجراح الشعب الفلسطيني، وما كان لهذه الجرائم من أثر في نشر الرعب بين أبناء البلاد ما أدى إلى تشرد أهل فلسطين وتركهم لبلادهم قصرًا تحت تهديد السلاح.

هـ- وجدت الباحثة أنّ هذا الشعر يمكن أن يصنف في إطار الأدب الملتزم إذ التزم شعراء فلسطين بقضايا وطنهم وصوّروا آلامه وآماله وحرصوا شعبهم على الاحتلال لنيل الحرية والاستقلال وصنع مستقبل أفضل. فالشاعر إبراهيم طوقان مثلاً دعا شعبه إلى النهوض وسلوك الثورة، وبت الأمل والتفاؤل في نفس الشعب إذ أنه لا يخيب في مسعاه لأن مقصده نبيل. فالشاعر صاغ الواقع بذكاء وحيوية وبذلك لا يتعارض الالتزام مع التعبير الجمالي العميق.

وعلى المستوى الفني تبين أن الشعراء الذين قالوا في هذا الموضوع، حرصوا على إتقان شعرهم من حيث بناء القصيدة، والأسلوب، والصورة الشعرية، والموسيقى، دون أن تمنعهم تلك المحافظة، من التعبير عمّا يجول في صدورهم من معانٍ.

أما التوصيات التي خلصت إليها فأهمها: أنني آمل أن تتبع هذه الدراسة دراسات أخرى تستكمل ما بدأت به، إذ إنّ هنالك جوانب في الشعر الفلسطيني لم تدرس بعد، وهي جديرة باهتمام الباحثين، وتصلح أن تقام عليها دراسات وأبحاث، مثل:

أ- تصوير الشعر لحياة الفلسطينيين في عهد الاحتلال البريطاني ووصف جرائمه وجرائم المنظمات الصهيونية، إذ أن المقام في هذه الرسالة لا يسمح بالتوسع في هذا الموضوع.

ب- المقارنة بين شعر إبراهيم طوقان وإبراهيم الدباغ من إذ الاسلوب، والموسيقى.

ج- اللغة في شعر هارون هاشم رشيد.

وغير ذلك من جوانب وقضايا الشعر الفلسطيني الذي قيل في وعد بلفور من الجانبين، الموضوعي، والفني.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Reflection of Balfour Declaration on the modern Palestinian Poetry

Prepared by : Maysoun Yazeed Mohamed Salama

Supervisor : Dr. Mashhor Al-habazi

Abstract

This study deals with the reflection of Balfour declaration on the Palestinian modern poetry during the British Occupation of Palestine between 1917 and 1948. It has studied this poetry from two sides the objectives and artistic.

The reasons for choosing this study is due to the importance of the role the poetry organized during the English Occupation of Palestine, so it got its material from political and military events that swept over Palestine in that period. Poetry resisted and fought the attempts that aimed at making Palestine a Jewish state and establishing native homeland for Jews, so it bore unanimous worry and care for the revolution. Palestinians memorized it, so it was a positive signs for resistance and challenge.

What motivated me to this study is that this issue wasn't studied in detail and most modern literary studies dealt briefly with it and under titles like "The life of the modern Palestinian literature since the beginning of renaissance till Nakba" by Abdul Rahman Yagi, and the "Poetry of the Palestinian resistance" by Husni Mahmoud. And the "National trends in modern Palestinian poetry" by Mhammad Abdalla Atwat or under the title Poetry samples in the book "Modern literary life in Palestine and Jordan by Naser Al-Deen Al-Asad and other studies.

In this essay I followed the complementary method, the historical method in the introduction and descriptive, analytic and statistical in the first two chapters that is in the objective and artistic study in addition to the beauty method in the artistic study.

For the study material, that is poetry said before Balfour Declaration, I got it from thirteen Collection of Poems (Diwan) for the poets who talked about this subject. They are: Ibrahim Al-Dabbagh, Ibrahim Tuqan, Iskandar Al-Khoury, Hassan Al-Buhairy, Abdul-Rahim Mahmud, Mhammad Al-Adnani, Mhammad Ali Saleh, Mohyi Al-Deen Easa Al-Safadi, Wadee Al-Bustani, and Haroun Hashim Rashid. But the poetry of Salim Al-Ya'qoubi, I got it from the book of

“Hassan Falastin Salim” Abu Al-Iqbal Al-Ya’qoubi by Dr Sameer Shhada Al-Tamimi.

The main results of this study are:

- A. This poetry has illustrated the catastrophe since the British announcement of the declaration and denies of promises to the Arabs. It clarified the British and Zionist plots against Palestine and her people in the period of study and warned citizens against it.
- B. It clarified the crimes of English Occupation and Zionist organizations and their catastrophe.
- C. It provoked for the armed revolution to resist the English Occupation, Zionist organizations and getting freedom and independence for the sake of dignitary life.

On the artistic level, it turned out that poets who dealt with this issue were careful in creating the poem, method, poetry image and music without preventing them from expressing their meanings.

The most important recommendations I reached is that I hope this study will be followed by other studies to continue what I have begun with, since there are areas of Palestinians poetry worth of the attention of researchers haven’t been studied yet. Like:

- A. Illustrating Palestinian’s lives its crimes and those of Zionist organizations during the English Occupation.
- B. Comparison between the poetry of Ibrahim Tuqan and Ibrahim Al-Dabbagh concerning method and music.
- C. Language in the poetry of Haroun Hashim Rashid and other fields and issues of Palestinian modern poetry from both sides.

The best to end with “Thanks to ALLAH for everything”.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	إقرار
ب	شكر
ت	المخلص
ث	Abstract
ج	فهرس المحتويات
1	المقدمة
4	التمهيد - الأطماع الاستعمارية في فلسطين في العصر الحديث والسياسة البريطانية لتهودها
8	أسباب الثورة العربية في الحجاز وظروفها
10	نص "وعد بلفور" ودوافعه
11	تفنيذ وعد بلفور
14	السياسة البريطانية لتهود فلسطين
14	طرق نقل الأراضي العربية لليهود
15	المقاومة الفلسطينية
20	الفصل الأول - وعد بلفور في الشعر الحديث
21	أولاً - تصوير المؤامرات البريطانية والصهيونية على فلسطين وأهلها ما بين 1917 و1948م
21	1- التنيذ بالوعد
21	أ- صورة بلفور
33	ب- الحث والتحريض على المقاومة
43	ج- استحضار الوعد والتنيذ به في كل مناسبة
43	1- الذكرى السنوية
45	2- افتتاح الجامعة العبرية
46	3- رثاء المناضلين
48	2- التحذير من بائعي الأراضي وسماستها
51	3- التحذير من خطر هجرة اليهود

53	ثانياً: مهاجمة العدوان الأوروبي الغربي على فلسطين وتمثل في
53	أ- شجب خيانة وتآمر بريطانيا والحلفاء على العرب وأهل فلسطين
65	ب- رفض الانتداب وشجبه
70	ج- التنديد بقرارات عصبة الأمم
73	ثالثاً: تصوير حياة الفلسطينيين
73	ا- وصف جرائم الاحتلال البريطاني
83	ب- وصف جرائم المنظمات الصهيونية
89	رابعاً: الحز على الثورة والكفاح المسلح لمقاومة الاستعمار والصهيونية
89	أ- استنهاض الهمم
104	ب- الدعوة إلى مؤازرة الجهاد
111	ج- الفخر بالشباب المقاوم
117	الفصل الثاني - الدراسة الفنية
118	البناء الفني للقصيدة الشعرية في وعد بلفور
118	أولاً- تعريف القصيدة
119	ثانياً - بنية القصيدة
119	أ- المطلع
120	ب- مقدمة القصيدة وموضوعها
125	ج- الخاتمة
128	ثالثاً- الأسلوب
129	اللغة الشعرية والعواطف
133	1- الرمز
135	2- توظيف بعض الأعلام لدلالات سياسية
135	3- الدلالة التاريخية
141	رابعاً - التناص
141	1- التناص الديني

145	2- التناص التاريخي
148	3- التناص الأدبي
151	خامساً : الصورة الشعرية ووسائل تشكيلها
151	1- التشبيه
151	أنواع التشبيه
151	1- التشبيه الصريح المفرد
152	2- التشبيه الصريح التمثيلي
153	3- التشبيه الضمني
156	2- الاستعارة
157	أنواع الاستعارة ودورها في توضيح الصورة الشعرية
158	1- الاستعارة التصريحية
158	2- الاستعارة المكنية
159	3- الاستعارة التمثيلية
166	سادساً: الصنعة البديعية
167	الطباق
170	المقابلة
170	بين الطباق والمقابلة
173	سابعاً: الموسيقى
173	أ- الموسيقى الخارجية
173	1- الأوزان
175	جدول أوزان الشعر
177	2- القافية
179	أ- القافية المطلقة
180	ب- القافية المقيدة
181	أحرف القافية
181	1-الرّوي

186	2- الوصل
188	3- الردف
190	4- الخروج
191	5- التأسيس
192	6- التصريح
194	القافية في شعر التفعيلة
196	ب- الموسيقى الداخلية
197	1- الجناس
199	2- ردّ العجز على الصدر
201	3- التكرار
207	4- التدوير
211	الخاتمة
211	أولاً- النتائج
212	ثانياً - التوصيات
213	فهرس المصادر والمراجع
213	أولاً - المصادر
215	ثانياً - المراجع
220	ثالثاً - الرسائل الجامعية
221	رابعاً - الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)
222	الملاحق (القصائد الشعرية والشعراء)
222	إبراهيم طوقان
234	الشاعر إبراهيم الدباغ
249	الشاعر إسكندر الخوري
254	عبدالرحيم محمود
264	الشاعر محمد علي صالح
272	وديع البستاني

277	حسن البحيري
282	محيي الدين الصفدي
285	عطا سليمان رموني
287	محمد العدناني
288	سليم اليعقوبي
290	هارون هاشم رشيد
345	جدول القصائد التي نددت بوعد بلفور

المقدمة

الحمد لله الذي شرح صدورنا، وعقلنا للإسلام العظيم، ونور بصرنا وبصيرتنا بنور الهداية، وهياً لنا أسباب الهداية وأبعدنا عن أسباب الغواية، اللهم اجعلنا لك شاكرين، ولك ذاكرين، وإليك راغبين، وبعد:

فهذه دراسة مُقدّمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، موضوعها صدى وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث، في حقبة الاحتلال البريطاني لفلسطين، ما بين عامي 1917م و 1948م، إذ درستُ هذا الشعر من الجانبين الموضوعي والفني.

وقد اخترت موضوع الدراسة لسببين:

الأول - أهمية الدور الذي لعبه هذا الشعر أثناء حقبة الدراسة، إذ كان وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني سنة 1917م خطراً كبيراً واجهته الأمة العربية والإسلامية بعامّة، وأهل فلسطين بخاصة، إذ قضى هذا الوعد باغتصاب فلسطين، وتحويلها إلى وطن قومي لليهود، وإقامة الدولة اليهودية لتكون مانعاً وحائلاً دون توحيد البلاد العربية، ورأس الحرية في مواجهة العالم الإسلامي، إذ منحت بريطانيا أرضاً لا تملكها (فلسطين) إلى الصهاينة على حساب أهل فلسطين، ما أدى إلى اغتصاب وطن وتشريد شعب بكامله على نحو لا سابقة له في التاريخ، فكان وقوع فلسطين تحت ربة الاحتلال البريطاني بداية محنة فلسطين، فاستمدّ الشعر في هذه المرحلة مادته من الأحداث السياسية والعسكرية التي اجتاحت فلسطين، فكان يقاوم ويقاوم حين يقف في وجه المحاولات الرامية إلى تهويد فلسطين، وكان يحمل همّاً جماعياً، وفعل فعل المحرّض على الثورة، وحفظته الجماهير الفلسطينية فكان علامة إيجابية للمقاومة والتحدي.

الثاني - على الرغم من أهمية موضوع هذه الدراسة لم أجد في الدراسات الأدبية الحديثة من تحدّث عن هذا الموضوع بشكل مستقل، إذ إنّ معظم الدراسات الأدبية الحديثة تناولت وعد بلفور دون توسع تحت عناوين مثل: "شعر المقاومة الفلسطينية" لحسني محمود، و"الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر" لمحمد عبد عبدالله عطوات، و"الشعر العربي في مأساة فلسطين" لكامل السوافيري، أو تحت عنوان: مقتطفات أو نماذج شعرية في كتاب "الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن" لناصر الدين الأسد أو نجد

هذا الشعر في دواوين الشعراء الذين تناولت هذه الدراسة شعرهم، مثل: إبراهيم طوقان، وإبراهيم الدباغ، وعبدالرحيم محمود، وحسن البحيري، وهارون هاشم رشيد، وغيرهم وما لاحظته الباحثة على الدراسات الأدبية الحديثة التي سبق وأشارت إليها أنها اتجهت نحو الجانب الموضوعي وربما مرد ذلك يرجع إلى خطورة المرحلة التي عاشها الشعراء، إذ تمثل الحقبة ما بين عامي (1917 و 1948م) مرحلة مفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني الحديث، إذ انتهجت بريطانيا سياسة المراوغة والغدر بالعرب، ووقفت إلى جانب المنظمات الصهيونية في ممارسة جرائمها في فلسطين كمجزرة دير ياسين التي حدثت في 9 نيسان 1948م التي تمثل وصمة عار في تاريخهم الأسود، إذ أنّ هذه المجزرة كان لها دور كبير في هجرة العرب من فلسطين وتركهم لبلادهم نتيجة الرعب الذي عاشوه إثر هذه المجزرة على يد العصابات الصهيونية⁽¹⁾. وربما كان هذا ما دفع أصحاب تلك الدراسات الأدبية للاهتمام بالجانب الموضوعي لتسليط الضوء على ما لحق بالشعب الفلسطيني من ويلات أثناء حقبة الاحتلال البريطاني، وإظهار الدور الذي لعبه الشعراء في تلك الحقبة من زرع الأمل في نفوس أبناء شعبهم لينالوا حقهم في الحياة الكريمة بقوة السلاح لا بالقول والكلام فجرح العروبة في فلسطين طبعه العمل والبذل والفداء والبعد عن اليأس لمواجهة عدوهم الماكر، وألا تخدعهم سياسته الكاذبة، وعلى الشعب الفلسطيني أن يستعذب الموت والشهادة فالجهاد هو طريق العزة والمجد وبناء الوطن. فكان هذا ما دفعني إلى اختيار موضوع "صدى وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث" عنواناً لرسالتني.

وتتبع أهمية الدراسة من : كونها الأولى التي تدرس أثر وعد بلفور في الشعر الفلسطيني في حقبة الدراسة ، وأنها تُبيّن الوسائل التي دعا الشعراء الفلسطينيون إلى استخدامها في مواجهة هذا الوعد ، الذي يدخل عامه المئة هذه السنة ، وما زلنا غير قادرين على استخدام تلك الوسائل بشكل ناجح ، يؤدي إلى إفشال هذا الوعد ، والقضاء على نتائجه التي ما زال شعبنا يعاني منها طوال مئة عام .

واعتمدت في هذه الرسالة المنهج التكاملي، إذ اتبعت المنهج التاريخي في التمهيد، والمناهج: الوصفي ، والتحليلي ، والإحصائي في الفصلين الأول والثاني، أي في الدراسة الموضوعية والفنية، إضافة الى المنهج الجمالي في الدراسة الفنية.

1 - ينظر: وليد الخالدي، دير ياسين، ص94-95

وبنيت هذه الرسالة على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، أما التمهيد، فتناولت فيه: الأهمية الاستراتيجية لفلسطين وأطماع المستعمرين فيها، وأسباب الثورة العربية في الحجاز وظروفها وأثرها على احتلال بريطانيا لفلسطين، ونص وعد بلفور ودوافعه وتقنيده، وسياسة التهويد التي انتهجتها حكومة الاحتلال البريطاني لتحقيق وعد بلفور، وطرق نقل الأراضي العربية لليهود، والمقاومة الفلسطينية، ودخول الجيوش العربية إلى فلسطين فكانت النكبة التي خسرها فيها 78% من أرض فلسطين التاريخية. وتحدثت في الفصل الأول وهو الدراسة الموضوعية عن: تصوير الشعر للمؤامرات البريطانية والصهيونية على فلسطين وأهلها ما بين عامي 1917 و 1948م، ومهاجمة العدوان الغربي على فلسطين، وتصوير حياة الفلسطينيين وما لحق بهم من جرائم الاحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية، واستنهاض الهمم والحض على الثورة المسلحة لمقاومة الاستعمار والصهيونية في فلسطين.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الدراسة ، فهي : ثلاثة عشر ديواناً، للشعراء الذين تحدثوا عن هذا الموضوع وهم: إبراهيم الدباغ، و إبراهيم طوقان، وإسكندر الخوري البيتجالي، وحسن البحيري، وعبدالرحيم محمود، ومحمد العدناني، ومحمد علي صالح، ومحيي الدين عيسى الصفدي، ووديع البستاني، وهارون هاشم رشيد، وأخذت شعر الشاعر سليم اليعقوبي، من كتاب "حسان فلسطين سليم أبو الاقبال اليعقوبي" لسмир شحادة التميمي ؛ إذ لم أستطع الحصول على ديوانه .

أما المراجع ؛ فقد اعتمدت على مراجع عديدة أهمها : الشعر الفلسطيني في مأساة فلسطين لكامل السوافيري ، والاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني لمحمد عطوات ، والحياة الأدبية في فلسطين والأردن لناصر الدين الأسد ، وغيرها .

التمهيد

الأطماع الاستعمارية في فلسطين في العصر الحديث والسياسة البريطانية لتهودها

1- الأهمية الاستراتيجية لفلسطين وأطماع الدول الاستعمارية فيها:

إذا نظرنا إلى خريطة العالم واستعرضنا التاريخ القديم لأكثر من خمسة آلاف سنة نرى ما لفلسطين من أهمية كبيرة من إذ موقعها الجغرافي، وما يترتب على ذلك من الناحية التجارية والعسكرية، فهذا الموقع الاستراتيجي الذي حافظت عليه منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، ذلك أن فلسطين تقع بين قارتي آسيا وإفريقيا، بين المواطنين الأولين للإنسان وهما وادي الفرات ووادي النيل، بين العالمين الشرقي القديم من جهة والغربي من جهة ثانية، ولهذا كانت مكانًا مميزًا لأسمى الديانات في العالم، وفي هذا يكمن سر تاريخ فلسطين، ولا ننسى من جهة أخرى أن فلسطين والمناطق المجاورة لها قد احتلت شهرة بوصفها منطقة اقتصادية منتجة، إذ اشتهرت في القدم بمواردها الزراعية ومصنوعاتها الواسعة.

ظهرت الحركة الصهيونية بصورة رسمية حين عقد المؤتمر اليهودي الصهيوني الأول في مدينة (بال) بسويسرا عام 1897، والصهيونية حركة سياسية (قومية دينية عنصرية استعمارية) تزعم أن اليهود يشكلون أمة مقوماتها وحدة عرقية تاريخية ثقافية بالرغم من حالة الشتات القائمة، ولا بد لهذه الأمة من وطن قومي تقيم فيه الدولة اليهودية. والحركة الصهيونية هي وليدة التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ومن أبرز التطورات التي مهدت لنشوء الحركة الصهيونية: التنافس الاستعماري في منطقة الشرق الأوسط الذي بدأ مع بداية القرن التاسع عشر بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، واشتد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وشاركت فيه ألمانيا بعد سنة 1870م، وخلال هذا التنافس كانت هذه الدول تسعى إلى إيجاد قوى محلية في المنطقة تعتمد عليها، وتربط بين مصلحتها ومصلحة هذه القوى.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر ظهرت في كل من فرنسا وبريطانيا فكرة استغلال اليهود كأحدى أدوات التوسع الاستعماري في وطننا العربي. وظهرت في البلدين الدعوة إلى توطين اليهود في فلسطين لغايات

اقتصادية وسياسية واستعمارية، ومن هذا المنطلق كان قول هرتزل: "إن عودتنا إلى وطن الآباء التي نبأ بها الكتاب المقدس تشكل مصلحة سياسية ملائمة لتلك الدول التي تبحث عن شيء في آسيا"⁽¹⁾.

وكانت بريطانيا أكثر الدول تحمساً لهذه الفكرة وسعيًا إلى تحقيقها لأنها في مسيس الحاجة إلى مَنْ تعتمد عليه في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط (فلسطين) فقد وجدت في إسكان اليهود في فلسطين أفضل وسيلة متاحة لها، لتحقيق أغراضها الاستعمارية.

وقد أدرك اليهود أغراض الدول الغربية الاستعمارية عامة وبريطانيا خاصة، وتعبيرًا عن هذا الموقف قال هرتزل في خطاب له في لندن عام 1899: "إن الإنجليز كانوا أول مَنْ أدرك ضرورة التوسع الاستعماري في العالم الحديث، لذلك يرفرف علم بريطانيا العظمى فوق البحار، ولهذا أعتقد أن الفكرة الصهيونية هي فكرة استعمارية يجب أن تحظى في بريطانيا بفهم سريع وسهل"⁽²⁾.

إذن فالموقع الاستراتيجي لفلسطين وأهميتها جعل للاستعمار مطامع في الأرض المقدسة وفي الوطن العربي كله، كما أن للحركة الصهيونية مطامع ظهرت أول الأمر في إقامة دولة يهودية فيما اعتبروه أرض الميعاد وتتبدى مطامعهم حالياً في توسيع رقعة دولتهم لتصبح (إسرائيل الكبرى) والتقارب في الأهداف المشتركة والمطامع بين الاستعمار والصهيونية قديم ومتجدد بشكل مستمر. وهذا ما يجعل للقضية الفلسطينية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا بعداً دولياً خطيراً.⁽³⁾

عام 1840 حصلت الدول الأوروبية من الخلافة العثمانية على امتيازات واسعة في فلسطين، بعد أن أصدرت الدولة العثمانية قانوناً يسمح للأجانب بتملك الأراضي داخل حدودها وعلى إثر ذلك أخذت الدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا) بفتح قنصليات لها في القدس. وأخذ اليهود الصهاينة يتسترون خلف تلك القنصليات للتغلغل في فلسطين إذ كانوا يحملون الجنسيات الأوروبية التي يسمح لهم من خلالها تملك الأراضي في الدولة العثمانية، وشرعوا في شراء الأراضي وإقامة المستعمرات الصهيونية.

(1) محمد عزيز شكري، البعد الدولي للقضية الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية ، 4/ 6

(2) المرجع نفسه، 4/6

(3) ينظر : المرجع نفسه، 11-2/6

على الرغم من موقف السلطان عبدالحميد الثاني ضدّ التغلغل الصهيوني في فلسطين واتخاذة قيودًا على هجرة اليهود إليها إلا أن جمعية الاتحاد والترقي التي سيطرت على الخلافة العثمانية قامت بإلغاء كافة القيود على هجرة اليهود إلى فلسطين، ففي عام 1882 لم يتجاوز عدد مستعمرات اليهود في فلسطين الخمس، في حين ارتفع هذا العدد عام 1914 إلى 47 مستعمرة.⁽¹⁾

وهناك عوامل متعدّدة دفعت بريطانيا لاحتلال فلسطين والسعي لإنشاء كيان يهودي على أرضها، ولكن من الخطأ حصر أسباب الاحتلال البريطاني وخلفياته لفلسطين من خلال دراسة العوامل والظروف الخاصة التي مرّت أثناء الحرب العالمية الأولى، لأن ذلك قد يعود بنتائج غير دقيقة ولا يظهر حقيقة الأطماع الاستعمارية البريطانية بعيدة المدى والخلفيات الدينية والحضارية التي التقت مع الأمانى اليهودية بالعودة إلى فلسطين، ولا يخفى أن هنالك ترسّبات عدائية عميقة في الوجدان الغربي الأوروبي تجاه العالم الإسلامي، نتيجة الصراع الذي استمرّ زمنًا طويلًا، ففي القرن التاسع عشر كان الحاضر الديني ظاهرًا في بريطانيا في عدد من الشخصيات أمثال اللورد "شافنتسبري" و "جورج جولد" وغيرهما ولم يغيب هذا العامل حتى بين رجال الدولة الذين أصدروا "وعد بلفور" في الثاني من نوفمبر 1917 فقد ظهر في شخص "لويد جورج" رئيس وزراء بريطانيا الذي أثر في نفسه البعد التوراتي للحركة الصهيونية، وما تعلّمه منذ صغره حول النبوءات عن إرجاع اليهود إلى الأرض المقدسة، وقد ذكر "هربرت صموئيل" أنه سمع لويد جورج غير مرّة يقول: إنّه كان يعي في طفولته عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها أكثر ممّا كان يعرف عن "ويلز" التي نشأ وترعرع فيها.⁽²⁾

ولا يتسع المجال في هذه الصفحات لتتبع الخلفية الدينية لتأييد العالم الغربي لليهود وادعائهم بحقهم التاريخي والديني في فلسطين أرض الآباء والأجداد، فكانت بريطانيا الدولة العظمى الأولى التي وقفت إلى جانب النشاطات اليهودية العالمية، ودعمت الحركة الصهيونية، وكان لها أعظم الأدوار في تحطيم الدولة العثمانية، وكان حافزها الأساسي لهذا العمل يتجلى فيما يأتي:

أ- ضرب دولة الخلافة الإسلامية، وإنهاء دور الخلافة ومؤسساتها، وتفتيتها إلى أجزاء غير قابلة للوحدة، وذلك استمرارًا للحروب الصليبية، ويدعم ذلك ما قاله الجنرال اللنبي عندما احتل القدس

(1) فرج الله يوسف ، مساجد فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني، ص19

(2) محسن محمد صالح، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين، ص30

في 1917/12/9 إذ قال: "الآن انتهت الحروب الصليبية" وما قاله الجنرال الفرنسي غورو عندما احتل دمشق.

ب- الاستيلاء على الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية لأغراضها الاستعمارية في المنطقة العربية التي تأكدت من أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية.

ج- السيطرة على فلسطين وتحويلها إلى دولة يهودية لتكون أداة لإحباط فكرة القومية العربية، وإفشال قيام وحدة العرب بإقامة فاصل سياسي وعسكري بين بلاد الشام ومصر، ويكون حاجزاً وقائياً يحمي لبريطانيا قواعدها وممراتها، البرية والبحرية كقناة السويس. ومما هو جدير بالذكر أن احتلال بريطانيا لمصر عام 1882 جاء في فترة نشوء الحركة الصهيونية، وأن عددًا من زعماء اليهود بحث عام 1903 مع الحكومة البريطانية في إنشاء وطن قومي لليهود تمهيداً للوصول إلى فلسطين، وأن بريطانيا تبنت قرار المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في سويسرا عام 1897، وأن السفير البريطاني في إستنبول يومئذ بذل نشاطاً ملحوظاً في دعم هرتزل لدى السلطان العثماني وحكومته للقبول بمطالب الحركة الصهيونية. وأشاد حايم وايزمن زعيم الحركة الصهيونية في مذكراته بمواقف بريطانيا من الحركة الصهيونية حين كتب: "إن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها... إن لندن هي الطريق الذي يوصل إلى فلسطين"⁽¹⁾.

وظهر تواطؤ الحكومة البريطانية مع الصهيونية واضحاً جلياً أثناء الحرب العالمية الأولى 1914-1918، فبعد أن تعهدت بريطانيا للشريف حسين بن علي أمير مكة في الحجاز بلسان ممثلها في مصر (مكماهون) بمساعدة العرب لتحرير بلادهم وتحقيق وحدتهم سعت إلى إخراج فلسطين من نطاق الدولة العربية الموعودة بالاستقلال لتمهيد السيطرة البريطانية على فلسطين وتنفيذ وعد بلفور لليهود، وخلال الحرب العالمية الأولى عام 1915 انتهزت بريطانيا فرصة اشتراك الدولة العثمانية في الحرب، وكانت الغارة التي قام بها الأتراك على قناة السويس بمثابة إشعار للإنجليز كي يأخذوا حيطتهم، وظل الأتراك حتى شهر نيسان عام 1916 يقومون باستعدادات ضخمة تمهيداً للهجوم على قناة السويس مرة أخرى وطرد بريطانيا من مصر، وقد استطاع الأتراك في شهر نيسان عام 1916 أن يلحقوا هزيمة بالبريطانيين ويحققوا نصراً عليهم وأسقطت

(1) محمد عزيز شكري، البعد الدولي للقضية الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، 11/6

الطائرات التركية (المناشير) فوق منطقة القناة في مصر، لاستثارة همم المصريين وتحريضهم على الثورة ضد بريطانيا ونصرة السلطان العثماني، وظلت الجبهة هادئة بين الأتراك والإنجليز حتى شهر آب من ذلك العام، ولكن كانت هنالك أحداث أخرى تشغل بال الأتراك في هذه الفترة، وهي إعلان شريف مكة حسين بن علي الثورة على الأتراك في الحجاز، وهنا لا بد من الحديث عن الثورة العربية الكبرى وبيان أثرها على مجريات الحرب وسقوط فلسطين في يد بريطانيا وتسليمها لليهود وتنفيذ وعد بلفور لهم وإقامة الكيان الصهيوني، وتشريد الشعب الفلسطيني خارج وطنه.

2- أسباب الثورة العربية في الحجاز وظروفها:

أ- فساد الإدارة العثمانية في الولايات العربية الذي أدى إلى سوء الأحوال في هذه الولايات إذ كانت هنالك أحزاب تركية تناصب العرب العدا، ومن أهمها (جمعية الاتحاد والترقي) التي حملت نزعة قومية تركية متطرفة.

ب- نفوذ الدول الأجنبية كبريطانيا وفرنسا، وتدخلها في الشأن العربي وتحريض العرب ضد الدولة العثمانية.

ج- تصرفات جمال باشا في سوريا، فكان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، وقد عين والياً مطلق الصلاحية على ولاية سوريا حسب التقسيمات الإدارية العثمانية، وعلى يده شنقت الجماعة الأولى من أحرار العرب عام 1914.

فعندما انطلقت الثورة العربية الكبرى في 5 حزيران 1916 باسم الشريف حسين بن علي في منطقة الحجاز كان من نتيجتها استسلام والي الحجاز، وأصبحت المدن الرئيسية في الحجاز في يد الشريف حسين بن علي.⁽¹⁾

وتزامن مع أحداث الثورة العربية الكبرى أن كانت بريطانيا تعدّ للاحتلال العسكري لفلسطين، ففي 19 آذار 1916 وُحِّدَت القوات البريطانية تحت قيادة واحدة سميت (قوات الحملة المصرية)، وفي 9 كانون أول 1917 احتلت رفح على الحدود بين مصر وفلسطين وأخذت القوات البريطانية تستعد لاحتلال فلسطين. ومع

(1) ينظر: عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، ص 385-400

إعلان الثورة العربية أخذت القوات البريطانية تستغل الظروف العربية لتسهيل عمليات الاحتلال العسكري لفلسطين وهزيمة الجيش التركي، وأخذ المسؤولون في القيادة العسكرية البريطانية يجرون اتصالاتهم مع الشريف حسين في مكة ورؤساء القبائل العربية في جنوب فلسطين لحثهم على الامتناع عن تقديم الدعم للأتراك، وبهذه الحنكة والدهاء العسكري البريطاني قد أمنت القوات البريطانية القادمة لاحتلال فلسطين ظهرها لتشكيل حزام عربي مؤيد لها بالإضافة إلى تزايد التأييد لها وللثورة العربية في فلسطين.

وفي عام 1917 تسلّم القائد العام للقيادة العسكرية للقوات البريطانية الجنرال (أدموند اللنبي) وفي مذكرة سرية كتبها رئيس الأركان البريطاني (روبر تسون) في 19 حزيران 1917 قال: "إن العرب يسببون متاعب كبيرة للأتراك وإن على اللنبي الاستفادة من ذلك"⁽¹⁾.

وقد أحسن الجنرال اللنبي الاستفادة من قوات الثورة العربية التي كانت قد سيطرت على ميناء العقبة في 6 حزيران 1917، وكان لضباط بريطانيين أمثال (لورنس) أدوار مهمة في العمليات العسكرية لاحتلال فلسطين وغيرها من الولايات العربية التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية. وأرسل (اللمبي) إلى رئيس الأركان البريطاني قبل بدء العمليات لاجتياح فلسطين بثلاثة أسابيع مشيراً إلى أن كل حساباته في احتلال جنوب فلسطين حتى خط يافا القدس تمت على فرض أن وضع العرب سيستمر مرضياً وأنهم سوف يغطون جناحه واتصالاته من الجهة الشرقية، وأكد أن مسألة استمرار دعمهم تعتمد على استمرار اعتقادهم بأننا سنفي بوعدنا لهم، وحذّر من انتشار أي فكرة مخالفة قائلاً: "إن أي فكرة من هذا النوع سوف تجعلهم ضدنا وتجعل اتصالاتي في خطر"⁽²⁾. وعلى كل حال فمنذ خريف 1917 وحتى نهاية الحرب في خريف 1918 أصبحت العمليات العسكرية العربية (قوات الثورة العربية الكبرى) جزءاً من عمل الجبهة العسكرية البريطانية لاحتلال فلسطين وعاملاً مهماً في انتصارات اللنبي في فلسطين وسوريا⁽³⁾.

وفي نهاية الحديث عن الثورة العربية في الحجاز، ترى الباحثة أن كل ثورة تحسب نتائجها بمقدار ما حققت من أهداف.

(1) محسن محمد صالح، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين، ص55

(2) المرجع نفسه، ص56

(3) محسن محمد صالح، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين، ص60-74

وإذا طرح سؤال: هل نجحت ثورة الحجاز في تحقيق أهدافها بعد تقسيم البلاد العربية إلى دول؟ سيجيب أهل بعض الأقطار العربية التي كانت تحت الحكم التركي: أنّ الثورة نجحت لأنهم حققوا الاستقلال بعد جلاء قوات الاحتلال البريطاني والفرنسي عن بلادهم. لكن ماذا يكون جواب أهل فلسطين؟ الجواب هو: إنّ العرب خسروا فلسطين، وأهل فلسطين كانوا أشدّ خسارة.

3- نص "وعد بلفور" ودوافعه

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى سقطت فلسطين بأيدي القوات البريطانية، وظهرت السياسة البريطانية على حقيقتها.

ففي 1917/11/2 بعد احتلال القوات البريطانية لميناء غزة في فلسطين أصدر (آرثر بلفور) تصريحه المعروف باسمه، وكان التصريح في صورة خطاب وجهه وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد (روتشيلد) أحد أثريائهم اليهود وكان نصه كما يأتي :

"عزيزي اللورد روتشيلد :

يسرني جداً أن أبعث إليكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي ، تصريح العطف على الأماني اليهودية الصهيونية ، الذي رفع إلى الوزارة ووافقت عليه :

إنّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لا يجوز عمل شيء قد يضير الحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها"⁽¹⁾

ويمكن تلخيص الدوافع السياسية التي شجعت بريطانيا إلى إصدار وعد بلفور: أنها أرادت جذب العناصر اليهودية القوية في ألمانيا والنمسا بخاصة وفي سائر أنحاء العالم بعامّة، واستمالة عطف يهود أمريكا

(1) أكرم زعيتير، القضية الفلسطينية، ص45

، ثم إنَّ وعد بلفور يمهد السبيل أمام بريطانيا للمطالبة بأن تكون فلسطين من حصتها لتكون منطقة نفوذ بريطانية تحمي مركزها في مصر وتضمن الاتصال البري بالشرق.

4- تفنيد وعد بلفور:

ومن الجدير بالذكر أن فلسطين لم تكن من أملاك بريطانيا حتى يحق لها التصرف فيها، فهي في وعد بلفور تعد بما لا تملك وتهد ما ليس لديها ، وتبحث في مصير بلد لا سيادة لها عليه. وإنَّ الشخص الذي وجَّه إليه التصريح وقطع الوعد على صورة كتاب موجَّه إليه (عزيزي اللورد روتشلد) لم يكن ذا صفة دولية ، إنه شخص من أثرياء اليهود. وإن عبارة وطن قومي لا تفيد معنىً محدوداً في القانون الدولي، ثم إنَّ اليهود ليس لهم خصائص أمة تجعل منهم ذوي قومية واحدة، فهم ينتمون إلى دين وهناك يهود إنجليز ويهود أمريكيان ويهود فرنسيون، ولقد تشنَّت اليهود منذ ألفي سنة في أنحاء الدنيا تشنَّتاً ذهب بطابعهم القومي، حتى أنَّ معظمهم يجهلون اللغة العبرية⁽¹⁾ . وقد أثبت كثيرون من العلماء والمؤرخين أنَّه لا علاقة لهؤلاء اليهود بالساميين مطلقاً وأنَّ الكثرة من يهود أوروبا الشرقية يرجعون بجنسيتهم إلى قبائل (الخرز) التي اعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي، وانتشرت في شرق أوروبا ووسطها، فهم لا يمتُّون إلى الإسرائيليين القدماء إلا بالدين وهو ما لا يتخذ أساساً لبناء قومية⁽²⁾.

وفي نصِّ التصريح اشتراط ألا يضير قيام الوطن القومي بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين، مع أن يهود فلسطين في ذلك الوقت لم يكونوا يزيدون عن (خمسين ألف) نسمة يقابلهم من العرب (650) ألف نسمة، فإن نص التصريح جعل اليهود هم الأصل، وتجاهل وجود شعب عربي وتجنب ذكر كلمة (عرب) فيه كأنهم هم الأقلية المؤلفة من طوائف متعددة، وكأن اليهود هم الأكثرية.

وإنَّ تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وفتح أبواب الهجرة اليهودية إليها وتسهيل انتقال الأراضي إليهم مما يلحق الضرر بجميع الحقوق العربية، وإن التصريح ذكر الحقوق المدنية والدينية مغفلاً الحقوق السياسية لما في لفظ الحقوق المدنية من غموض وإبهام مع أن نص التصريح لم يغفل عن الاشتراط بألا يؤدي

(1) المرجع نفسه، ص46

(2) ينظر : سهيل زكار، تاريخ يهود الخزر، ص148-150

إنشاء الوطن القومي إلى الإضرار بالحقوق السياسية التي لليهود في بلدان العالم، وهذا مما يضمن لليهود عدم حرمانهم من جنسياتهم في البلدان التي يقيمون بها ما داموا يعملون للصهيونية، ولو هاجروا إلى فلسطين، أما العرب فقد تجاهل نص التصريح حقوقهم السياسية في وطنهم، فوعد بلفور بهذه المغالطات إذن باطل من جميع جوانبه.

وقد أحدث نبأ تصريح بلفور استياءً كبيراً عند العرب، وطلب الشريف حسين بن علي تفسيراً لهذا الوعد، فأرسلت الحكومة البريطانية إليه مبعوثاً رسمياً يؤكد له أنه لن يسمح بإسكان اليهود في فلسطين إلا بالنسبة والعدد الذي لا يتعارض مع حرية العرب السياسية والاقتصادية.

وزاد من طمأنة العرب الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي (ويلسون) في الرابع من تموز 1918، مؤكداً فيه أنّ التسوية التي ستقوم بعد الحرب ستكون على أساس حرية الشعوب في تقرير مصيرها.

وبعد أن احتلت القدس وسقطت فلسطين في يد بريطانيا أعلن الجنرال (النبني) قيام إدارة عسكرية دعيت باسم (الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة) يديرها مدير عام خاضع للقائد العام (النبني).

وفي شهر آب 1918 قامت لجنة صهيونية برئاسة (وايزمن) بزيارة لفلسطين بتحويل وإشراف الحكومة البريطانية، وأخذت تتجول في فلسطين مطالبة بإشراكها في الحكم وإدارة البلاد فوراً، مع أن اليهود لم يكونوا يبلغون حينئذ في فلسطين 6% من مجموع السكان⁽¹⁾.

ولكن الخبث البريطاني في فلسطين لم يتجراً أن يعلن وعد بلفور بصورة رسمية لخطورته حتى عام 1920، فالسلطات العسكرية البريطانية تصورت أن أقل ذكر رسمي لهذا الوعد في البلاد العربية المحتلة قد يعكر صفو السكان العرب فيها، وكان من أولويات السلطات البريطانية تخفيف الاحتكاك مع السكان العرب خوفاً من إعاقة الحرية اللازمة لإتمام العمليات العسكرية في البلاد العربية، ومعنى ذلك أن الحكومة البريطانية أصدرت تصريحاً (وعد بلفور) بلغ من الاستبداد والخطر مبلغاً يعوق سبل تقدم الجيش البريطاني، فكان لا بد من كتمان هذا القرار الخطير الظالم والسكوت عنه⁽²⁾.

(1) ينظر: أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص 45-50

(2) ودبع البستاني، الانتداب الفلسطيني باطل ومحال، ص 166

فإنّ مجردّ طبي تصريح وعد بلفور وتأجيل نشره هو الدليل القاطع على ماهية ذلك التصريح وما فيه من عدم العدالة في معاملة شعب فلسطين.

وفي يوم (1922/7/24) أصدرت عصبة الأمم قرارًا يفرض ما أسمته الانتداب على فلسطين، وعهدت إلى بريطانيا بإدارتها نيابة عن عصبة الأمم ، على أن يبدأ الانتداب من (1923/9/29) وجاء في صك الانتداب ما يأتي : "إن دول الحلفاء وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في (1917/11/2) بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي شريطة أن لا يفعل شيء يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن، ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى"⁽¹⁾.

إن الدارس لمواد هذا الصك يجد أن المادة الأولى منه منحت السلطة التامة للدولة المنتدبة في التشريع والإدارة. وأن المادة الثانية جعلت الدولة المنتدبة مسؤولة عن توفير أحوال سياسية وإدارية واقتصادية في فلسطين تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود فيها، وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان.

وخلاصة القول إن وعد بلفور وصك الانتداب الفلسطيني هما اعتداء على الحقوق السياسية لشعب فلسطين، وعلى الحقوق العربية التي تعهدت بها بريطانيا للعرب أثناء سير المعارك في الحرب العالمية الأولى(1914-1918)، وقد تجاهلت بريطانيا وحلفاؤها التضحيات والجهود التي بذلها العرب في سبيل إزالة السيادة التركية عن الولايات العربية.

وأيقن أغلب الفلسطينيين أن بريطانيا صديقة العرب المزعومة خانتهم، وأن الاستقلال الذي كانوا ينشدونه والذي لولاه ما خرجوا على الترك ولا انضموا لثورة الشريف حسين بن علي أصبح في الخيال. فكانت الخيانة والغدر والمكر من بريطانيا وحلفائها لشعب فلسطين، وبدلاً من أن تتحقق أمنيته في إقامة دولته المستقلة فرض على هذا الشعب سياسة مؤداها استحداث قوم يؤتى بهم إلى قلب البلد من خارجه، ثم يساعدون على إقامة

(1) عارف العارف، تاريخ القدس ، ص145

وطن قومي لهم. وبما أنّ العدوان لا يرد إلا بالدفاع والمقاومة فإنّ تاريخ فلسطين منذ الاحتلال البريطاني حتى اليوم تاريخ نضال وكفاح مستمر دائم.

5- السياسة البريطانية لتهويد فلسطين:

في عام 1920 أعلنت الحكومة البريطانية نص وعد بلفور وانتهاء الإدارة العسكرية في فلسطين، وقيام إدارة مدنية، وتعيين (هربرت صموئيل) أول مندوب سام في فلسطين وهو يهودي ومن أقطاب الحركة الصهيونية، وقد بدأ بوضع فلسطين في حالة سياسية واقتصادية وإدارية تمهد السبيل، وتؤدي إلى قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين فانتهج سياسة تهويدية لتحقيق أهدافه، وجعل على رأس كل دائرة في حكومة الاحتلال موظفاً إنجليزيًا أو يهوديًا، وجعل مدير التجارة العام ومدير الهجرة والسفر يهوديين، واعتبر اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية والبريطانية، وكتبت على الطوابع والنقود (أرض إسرائيل) بالعبرية ترجمة لكلمة فلسطين بالعربية.⁽¹⁾

وترك لليهود أن يستقلوا بإدارة معارفهم ومدارسهم وأشرفت عليها اللجنة التنفيذية الصهيونية، على حين جعلت المدارس والمعارف العربية بيد موظف إنجليزي ومساعدين إنجليز إدارةً وإشرافاً، فكانت إدارة مباشرة وصارمة، في حين كان نظام التعليم عند اليهود مستقلاً بنفسه، وهذا يجعلنا نصف إدارة التعليم في عهد الاحتلال بأنها محابية وعنصرية، إذ كانت ميزانية التعليم لا تسدّ حاجة العرب إلى تعليم أولادهم، ولا تتيح فرص التعليم للكثير من الأطفال الفلسطينيين، إذ لم تتعد موازنة التعليم في عهد الإدارة المدنية في العام الدراسي (1920-1921) مبلغ (78) ألف جنيه، والتي أخذ معدلها السنوي بالهبوط بدلاً من الارتفاع⁽²⁾.

6- طرق نقل الأراضي العربية لليهود:

منذ أن عينت حكومة الاحتلال البريطانية (هربرت صموئيل) أول مندوب سام في فلسطين، انتهج سياسة التهويد تنفيذاً لوعده بلفور، فشرع في عمليات نقل الأراضي إلى أيدي اليهود، عن طريق أراضي الدولة حتى بلغ ما أعطته حكومة الاحتلال لليهود من أملاك الدولة (175) ألف دونم، ثم سهّل شراء اليهود للأراضي

(1) ينظر: أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص 50-64

(2) ينظر: الموسوعة الفلسطينية، 1/530-536

الفلسطينية عبر ثلاث منظمات يهودية مهمة لشراء الأراضي وتوطين اليهود المهاجرين فيها وهي: 1- جمعية الاستعمار اليهودية لفلسطين (البيكا)، تأسست بمساعدة وإنفاق البارون (روتشيلد)، واشترت هذه الجمعية عدة آلاف من الدونمات، وأقامت عدة مستعمرات في فلسطين. 2- جمعية الصندوق القومي اليهودي (كارن كايمت)، بلغ ما استملكته حتى عام 1944 (860) ألف دونم، 3- (الكارن هايسود) تأسست عام 1931، وهي الأداة المالية لبناء الوطن القومي اليهودي، وبلغ ما أنفقته حتى عام 1945 نحو عشرين مليون جنيه، إذ كانت تقوم بإقراض المزارعين اليهود مبالغ مالية لمدة طويلة، وبفوائد زهيدة لإنشاء وترقية المستعمرات.

وأخيراً لجأت سلطة الاحتلال البريطاني إلى رفع قيمة الضرائب على السكان العرب ما دفع كثيرين منهم لعرض أراضيهم للبيع لدفع تلك الضرائب أو التخلص من الديون، أو لسدّ الرمق جراء سوء الأوضاع المعيشية في ذلك الوقت، نتيجة للسياسة الاقتصادية التي انتهجتها سلطة الاحتلال البريطاني في فلسطين⁽¹⁾.

7- المقاومة الفلسطينية:

من خلال تتبع الأحداث في فلسطين أثناء الاحتلال البريطاني وما اتبعته السلطة البريطانية الحاكمة في فلسطين من سياسة تهويد وما ترتب على ذلك من سوء أوضاع عرب فلسطين في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، وحرمان من الحقوق السياسية، وترك باب هجرة اليهود إلى فلسطين مفتوحاً، وتواطؤ الإنجليز معهم في تسهيل تملك الأراضي العربية فضلاً عن دعم اليهود وإمدادهم بالسلاح نجد أن تلك الإجراءات أدت إلى استفزاز مشاعر العرب ودفعتهم للقتال والتصدي لهذا المستعمر الظالم، ما أدى إلى قيام عدة ثورات ضد الاحتلال البريطاني وأهمها: 1- ثورة البراق عام 1929 ونتج عنها عقد مؤتمر في نابلس في الأول من آب عام 1931 إذ قرر العرب استنكار تسليح اليهود، وتنبهوا إلى خطورة هذه السياسة في السلطة المحتلة.

ثم عقد في العام نفسه المؤتمر الإسلامي الأول في القدس وحضره مندوبون عن البلاد الإسلامية والعربية وقرروا فيه تأييد قضية فلسطين، والعزم على الدفاع عن حائط البراق، والمسجد الأقصى، واستنكار السياسة البريطانية في فلسطين. إلا أن استرسال السلطة البريطانية المحتلة في سياستها ضد أهل فلسطين، وتجاهل ما أعدّ من تقارير عقب الأحداث والاصطدامات مع اليهود والخضوع للأطماع الصهيونية، أدى كلّ

(1) ينظر: أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص 63-65

ذلك إلى هياج أهل فلسطين، وتوجيه الكفاح الوطني نحو الاحتلال البريطاني باعتباره أصل الداء، وأساس البلاء وما حلّ بفلسطين من كارثة.

وفي عام 1933 تطلعت البلاد إلى عمل ثوري أوسع، فقررت اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين القيام بتظاهر عام في القدس وأن يرافق ذلك إضراب عام في فلسطين، فحاولت السلطة المحتلة عرقلة هذا القرار وحذرت من القيام بذلك، ولكن هذا كان حافزاً على تنفيذ القرار، فكان الخروج بعد صلاة الجمعة تظاهراً عادئياً ضد الاحتلال البريطاني، وقد استعمل البوليس البريطاني القوة في تفريقهم. وقررت اللجنة برئاسة موسى كاظم الحسيني القيام بالتظاهر الثاني في يافا، وأن تستمر البلاد في التظاهر حتى تستجيب السلطة المحتلة للمطالب الوطنية، ورغم منع السلطة المحتلة التظاهر في يافا إلا أنّ التظاهر حدث بعد صلاة الجمعة، واشترك فيه وفود من دمشق وشرق الأردن، وقد تصدت له قوات البوليس البريطاني بعنف وأطلقت النار على الجمهور الأعزل، فوقع أكثر من ثلاثين شهيداً وأكثر من مئتي جريح من الشعب الفلسطيني، واعتقلت السلطة المحتلة كثيراً من زعماء البلاد وشبانها، ورغم احتجاجات أهل فلسطين المتوالية وسقوط الكثير من الشهداء إلا أن البريطانيين استمروا في سياستهم العنصرية مستخفين بمشاعر أهل فلسطين.

ومما أثار المشاعر العربية في فلسطين عقب تلك الأحداث ما جاء في الخطاب الذي ألقاه وزير المستعمرات البريطاني في حفل صهيوني أقيم لتكريمه إذ عبّر فيه عن مدى سروره وفرحه بتنفيذ (وعد بلفور) وإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين وعدم هجرة اليهود كما كان مقترحاً إلى كينيا في أفريقيا، فعند سماع هذا الخطاب قرّر أهل فلسطين أن يوجّهوا العداء إلى قوات الاحتلال البريطاني، لأنها هي المسؤولة عن تهويد فلسطين وتحقيق أحلام الصهيونية، وقرروا أن تسليح اليهود لا يقابل إلا بتسليح عرب فلسطين.

ولقد تألفت حركة سرية في حيفا برئاسة الشيخ عز الدين القسام هدفها الجهاد، وانتقل مجاهدو هذه الحركة إلى أحرش يعبد بالقرب من جنين وبعد استشهاد قائدها الشيخ عز الدين القسام وأربعة من أتباعه، كانت هذه الحادثة مقدمة للثورة 1936 .

وفي نيسان 1936 تألفت في مدينة نابلس لجنة بادرت إلى دعوة البلاد للإضراب العام المستمر حتى تقف الهجرة اليهودية إذ تزايد عدد المهاجرين اليهود بنسبة كبيرة ودعت هذه اللجنة لتأليف لجان في سائر البلاد للإشراف على سير الإضراب وتنظيم الحركة التحررية، فاستجاب أهل البلاد العرب للدعوة وتألّفت لجان في كل مدينة وقرية كبيرة تقريباً.

عمّ الإضراب فلسطين كلها، وكان الهدف منه تبديل سياسة السلطة المحتلة، وإجبارها على اتخاذ قرارات بمنع الهجرة اليهودية منعًا باتًا، ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود، وإنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي.

توالى التظاهرات في جميع البلاد، فكان هذا الإضراب مقدمة للثورة المسلحة، فاشتد الهجوم على المستعمرات اليهودية، وكثرت عمليات تدمير خطوط السكة الحديدية، ومهاجمة القطارات والمخافر العسكرية. وبدأت السلطة البريطانية عملية تكيل واسعة لقمع الثورة إلا أن ذلك زاد الثورة شدة وضراوة، فتألفت مجموعات جهادية، وأخذ المتطوعون يتدفقون على فلسطين من سوريا والعراق وشرق الأردن، وأصبحت الثورة لها نداءاتها ومعاركها الحربية، وقد اندمجت الأمة كلها في الثورة.

كان الغريب موقف الملوك والأمراء العرب في ذلك الوقت فبدلاً من أن يمدّوا الثورة بالسلاح والعتاد دعوا إلى إيقافها، والسير وراء السياسة البريطانية الخادعة ووعودها الكاذبة. فوجهوا نداءً إلى اللجنة العليا في فلسطين من أجل إيقاف الثورة، وانتظار وعود بريطانيا لانتهاج سياسة جديدة ترضيهم وتحقق أهدافهم. وجاء نداء الملوك والأمراء العرب بالنص الآتي: "لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله ندعوكم للإخلاء للسكينة حقناً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم".⁽¹⁾

وفي شهر تشرين الأول 1936 أعلنت اللجنة العليا في فلسطين وقف الإضراب والثورة، وبات الناس ينتظرون مساعي الوساطة مع بريطانيا.⁽²⁾

والباحث في تاريخ القضية الفلسطينية يجد أن الحكومة البريطانية مضت في تنفيذ مؤامراتها مع الصهيونية فعملت طوال مدة احتلالها لفلسطين على التصدي للمقاومة الفلسطينية وسجنت بعض زعماء الشعب الفلسطيني وأبعدت بعضهم أو نفته خارج البلاد، ثم كبتت كل مظاهر المقاومة، وأنزلت بالمناضلين أشد العقوبات ما أضعف النضال العربي الفلسطيني في حين كانت بريطانيا تُسهّل هجرة اليهود إلى فلسطين تنفيذاً لوعدها بلفور وإقامة الدولة اليهودية.

(1) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص103.

(2) ينظر: أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص99-120.

لم تكن الدول العربية في ذلك الوقت مالكة مصيرها لذلك جاء دعمها للشعب الفلسطيني في نضاله ومقاومته لليهود والاحتلال البريطاني خلال الفترة (1936-1947) قاصراً على المظاهر المعنوية والمشاركة الفردية. وعند نهاية الحرب العالمية الثانية استقلت كل من سوريا ولبنان، ووجدت الحركة الوطنية الفلسطينية في سورية سنداً لها وبدأت تعدّ العدة لمتابعة الكفاح المسلح، فأرسلت إليها منذ أواخر عام 1946 مجموعات من جيش الإنقاذ العربي في دورات تدريب عسكرية.

وعندما شعرت بريطانيا أن اليهود في فلسطين قادرين على شق طريقهم في بناء دولتهم، وبات تنفيذ وعد بلفور وشيكاً، أرادت إلقاء تبعه قيام كيان اليهود في فلسطين على غيرها، فقامت في (1947/4/2) بإحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة. ولما اتضح للعرب ميل اللجان التي شكلتها الأمم المتحدة إلى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، دعي مجلس جامعة الدول العربية إلى الاجتماع للوقوف في وجه المؤامرة على عروبة فلسطين، وكان من أهم القرارات التي اتخذت: تأليف لجنة عسكرية تابعة لجامعة الدول العربية مهمتها مساعدة أهل فلسطين للدفاع عن أنفسهم ووطنهم، وكان من بين توصيات هذه اللجنة فتح باب التطوع أمام الشبان العرب للمشاركة في الكفاح المسلح في فلسطين، وهكذا بدأ تكوين جيش التحرير الذي سمي فيما بعد "جيش الإنقاذ" وأسندت قيادته إلى فوزي القاوقجي اعتباراً من مطلع كانون الأول 1947. وقد تشكل هذا الجيش من متطوعين من: سوريا ولبنان والعراق والأردن ومصر والسعودية واليمن، وحدّد قائد هذا الجيش فوزي القاوقجي الغاية من دخول هذا الجيش إلى فلسطين وهي: إلغاء قرار هيئة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين، وتنفيذ قرارات الجامعة العربية، وتثبيت عروبة فلسطين. وقد دخلت طلائع جيش الإنقاذ إلى شمال فلسطين في (9 كانون الأول 1947) ثم توالى المعارك التي خاضها هذا الجيش مع القوات الصهيونية والهجوم على مستعمراتهم، إلا أنّ هذا الجيش لم يشترك مع القوات البريطانية بناءً على تعليمات الجامعة العربية.

كانت الحكومة البريطانية ترى أن جيش الإنقاذ غير قادر على حسم المعركة بمفرده، وقد اعتبرته تنظيمًا عسكرياً سيمتص قسماً كبيراً من معنويات المجاهدين الفلسطينيين والمقاومة الفلسطينية التي كانت قد انتشرت في كل مكان من فلسطين، ولو تسلحت المقاومة الفلسطينية تسليحاً جيداً ولقيت من الإعداد والتنظيم ما يلزمها لكانت أشد خطراً على اليهود وأكثر تأثيراً في مصير الصراع من قوات جيش الإنقاذ التي أصبح حجمها وتسليحها وأماكن تمركزها معروفة.

ثم إن بريطانيا استطاعت بالطرق السياسية والضغط التي استعملتها الإبقاء على جميع قوات جيش الإنقاذ في القسم العربي من تقسيم فلسطين. وقد صرح قادة القوات البريطانية عدة مرات أنهم مستعدون للتدخل عسكرياً في أية معركة تنشب بين العرب واليهود لمقاتلة مَنْ يعتبرونه معتدياً، وثبت ذلك عملياً في مختلف المعارك التي خاضها جيش الإنقاذ، إذ ما أن يوشك جيش الإنقاذ على السيطرة على مستعمرة صهيونية حتى تتدخل القوات البريطانية المدرعة والجوية لإنقاذ موقف اليهود ومساندتهم بدعوى أن اليهود معتدى عليهم ما يُجبر جيش الإنقاذ على التراجع.

وبعد 1948/5/15 موعداً انسحاب قوات الاحتلال البريطاني من فلسطين والتي كانت قد منعت الجيوش العربية من الدخول إلى فلسطين قبل هذا الموعد، تلقى جيش الإنقاذ الأوامر من الجامعة العربية بإنهاء مهمته، وأن الجيوش العربية النظامية ستدخل إلى فلسطين بدلاً عنه، فكانت النكبة التي خسرها فيها (78%) من أرض فلسطين التاريخية.

الفصل الأول

وعد بلفور في الشعر الحديث

دراسة موضوعية

أولاً - تصوير المؤامرات البريطانية والصهيونية على فلسطين وأهلها ما بين 1917 و1948م

تناول عدد من الشعراء الفلسطينيين وعد بلفور في شعرهم باعتباره واحداً من المؤامرات البريطانية الصهيونية التي نسجت بخبث ودهاء ضد فلسطين وأهلها، وقد جاء حديثهم عن وعد بلفور في محاور عديدة، هي:

1- التنديد بالوعد.

صدر وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام 1917م، فشكل بداية محنة فلسطين، ونذير شؤم على البلاد وأهلها، وقد صوّر الشعر في فلسطين مأساة البلاد بصدور هذا الوعد الذي عملت بريطانيا على تحقيقه، والتتكر للوعود التي قطعتها للعرب، وجاءت الصور التي رسمها الشعر الفلسطيني على النحو التالي:

أ- صورة بلفور

كان الشاعر إبراهيم طوقان⁽¹⁾ في مقدّمة الشعراء الذين سجّلوا كلّ الموضوعات الوطنية والأحداث السياسية التي عاشتها فلسطين في فترة الاحتلال البريطاني، وهذا ما أكدته أخته الشاعرة فدوى طوقان حين

(1) ولد إبراهيم عبدالفتاح طوقان سنة 1905م في نابلس، وتلقى دروسه الابتدائية فيها، وفي سنة 1918م انتقل إلى مدرسة المطران في القدس، ثم انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، ونال فيها شهادة الجامعة في الآداب سنة 1929م. عمل في التعليم بكلية النجاح الوطنية في نابلس، ثم انتقل إلى التعليم في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم عاد إلى نابلس وعمل في إذاعة القدس.

والشاعر إبراهيم طوقان هو أمير شعراء الوطنية في فلسطين في العصر الحديث لتنوع موضوعاته، وصدق ولأته والتزامه بهوم أمته وقضيتها إذ لا يخلو كتاب في الأدب الفلسطيني الحديث، والأدب القومي من ذكر للشاعر إبراهيم طوقان. إلا أنّ القدر لم يمهلّه إذ توفي في ريعان الشباب سنة 1941م.

أعماله الشعرية: ديوان إبراهيم طوقان (ط4، دار العودة، بيروت، 1988)

أعماله الأخرى: الكنوز؛ ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان/ مقالات، أحاديث إذاعية، قصائد لن تنشر، رسائل ومواقف. بحث

وتحقيق: المتوكل طه. (*)

* ينظر: 1- محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص19-30

2- محمد حلمي الريشة، معجم شعراء فلسطين، ص7

قالت: "هو شاعر الوطن الذي سجّل آلام فلسطين وآمالها خلال الاحتلال البريطاني، كما لم يسجّله شاعر فلسطيني من قبل".⁽¹⁾

تغلغل إبراهيم طوقان بقلمه إلى صميم الأحداث، فرفع عنها الستر وبيّن ما خفي وراءه من حقائق مرّة، وانبرى يهاجم الاحتلال البريطاني الذي اقترنت بشاعته بجريمة كان لها أسوأ الأثر في تاريخ الشعب الفلسطيني كلّها، ألا وهي جريمة وعد بلفور الذي يقضي بإقامة وطن قومي لليهود في أرض فلسطين برعاية بريطانية، وقد رسم إبراهيم طوقان في شعره صورة بشعة لبلفور وذلك في حوار ساخر حين قال في قصيدة بعنوان **البلد الكئيب:** "مجزوء الكامل"

فانظر لوجهك إنّه	في الكأس لوّحّه الغضب ⁽²⁾
وانظر عميت، فإنّه	من صرخة الحق التهب
بلفور يومك في السماء	عليك صاعقة السماء
ما أنت إلا الذئب قد	صورت من طين الشقاء
والذئب وحش لم يزل	يُضرّي برائحة الدماء

يؤكد الشاعر أن بلفور لا يستمع للحق بل يغضب من سماعه؛ لأنه مصرّ على المضي في تنفيذ وعده، فيخاطبه داعياً عليه بالعمى.

وينتقل الشاعر المؤمن بحقّه الديني السماوي في هذه البلاد المقدسة، من المخاطبة بالألفاظ الدنيوية إلى المخاطبة بالمعاني الدينية، وذلك يدل على وعيه حقيقة الصراع في فلسطين وإيمانه بأن واقع الحال في فلسطين والوطن العربي ليس له إلا الحل الديني، فيهدد بلفور ويتوعده بما ينتظره في الحياة الآخرة: إذ ستصيبه صاعقة العذاب الإلهي جزاء ما سفك من دماء المسلمين.

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص35

(2) المصدر نفسه، ص118

وصور الشاعر الشيخ إبراهيم الدباغ⁽¹⁾، وعد بلفور حبلاً في أعناق العرب يقادون به كالأسرى ففي قصيدته يا وطني الأول قال⁽²⁾ :

الوطن القومي في أعناقنا حبل به نقاد مثل الأسرى

وقال في قصيدة صوت فلسطين⁽³⁾ :

ردوا على القوم كيّداً وعد بلفور ونسجه بيدي كيّد وتدبير

قد ساء تدبيره عفواً فلو عقلوا لم يفرط الوعد إلا بعد تفكير

فهل لصحوة مأخوذ بغمرته حسّ ينبّه منه عقل مخمور

ندد الشاعر بوعد بلفور وبالدولة التي صدر عنها، لما اتصفت به من غدر بالعرب الذين أزروها ضد الأتراك، وقد نسجت هذا الوعد أيدٍ خبيثة أساءت التدبير ويرى أن أصحاب هذا الوعد لو عقلوا وفكروا لما صدر

(1) ولد إبراهيم مصطفى عبدالقادر الدباغ سنة 1880م في مدينة يافا، ودرس في كتاتيبها، ثم التحق بالأزهر وحصل على شهادة العالمية. ومع أنّ الشاعر عاش في مصر بعد تخرجه من الأزهر، وبقي فيها إلى أن توفي سنة 1946م إلا أنّه بقي مخلصاً لمسقط رأسه وبلده فلسطين، إذ كان يشارك الأمة في كل أحداثها، وترك مجموعة كبيرة من الآثار الشعرية منها:

1- ديوان الطليعة / ج1، القاهرة، 1926م.

2- ديوان الطليعة / ج2، القاهرة، 1937م.

3- ديوان الصبا / عدد 4 (نظمها قبيل الحرب العالمية الأولى حتى العام 1920م)

وأعماله الأخرى هي (*):

1- حديث الصومعة / رسائل في الأدب والفن، يافا 1947م.

2- في ظلال الحرية / رسائل وأدب ونقد، القاهرة، 1954م.

3- شهد وعلقم / مقالات وقصائد، القدس، 1960م.

4- رسائل في التصوف وأبي العلاء.

5- تاريخ الحرية في العالم.

6- الشعراء قديماً وحديثاً في الميزان.

(* ينظر : 1- محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص32-34

2- محمد حلمي الريشة، معجم شعراء فلسطين، ص6.

(2) إبراهيم الدباغ، في ظلال الحرية، ص63

(3) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 42-36/2

عنهم، فهل لصاحب حسّ منهم أن ينبّه ذوي العقول المخمورة التي امتلأت قلوب أصحابها بالكيد والحقّد تجاه العرب والمسلمين، ثم دعا إلى تطهير فلسطين مما لحق بها من دنس وآثام جراء وعد بلفور، فيقول:

وكيف تطهر من رجس ومن دنس إلا إذا غسلت من وعد بلفور
وعد كأمر بشرّ مَنْ تخلف عن إخلافه فليطعه غير مأجور

وبعد ذلك يتوعد بلفور ويؤكد لبريطانيا وغيرها أنّ فلسطين ليست متاعاً يباع ويشترى وأنّ أهلها ليسوا عبداً للإنجليز، وأنّ وعد بلفور سينتهي لا محالة، فيقول:

ليست فلسطين في البلدان عارية تُهدى وتمنح بين العير والعيير
وليس أبنائها ملكاً لمنتدب فوعد بلفور عنها وعد ممرور

ويرفض الشاعر ذاته وعد بلفور، باعتباره أغلوطة يحميها قانون جائر، لا أمراً منزلاً من السماء، ولذا يجب إلغاؤه، وفلسطين ليست وطنًا بلا شعب لتمنح لشعب بلا وطن، وأكد الشاعر أنّ وعد بلفور باطل لا يقوّه دين من السماء، ولا قانون عادل في الأرض، ولا يقبله إلا غبي، فاليهود ليس لهم أي حقّ بأرض فلسطين، وكلّ ما ادّعوه افتراء، فقال في قصيدة فلسطين الدامية⁽¹⁾:
"البيسط"

ما وعد بلفور من أمر السماء ولا في الجذب من أرضنا زرع لمحتطب
هل وعد بلفور تشريع إذا فرطت أغلوطة منه تدعو الناس للعجب ؟
ما حكمه بعد أحكام السماء ولا يرضى به بعد حكم الله غير غبي
يحوطه باسمه القانون معتصماً بنصه، ممعناً كالفيصل الدّرب

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 88/2

والشاعر إسكندر الخوري في قصيدته **وما ضام الفتى ظلم الأعداي** قارن بين حال بلاد الغرب وحال
وطنه فلسطين مستنكرًا الخيانة والحرب التي كانت ضحيتها فلسطين، فكانت الكباش المليح الذي يقدم قربانًا
لليهود فقال: (1)

فلا استعمار عندهم بغيضًا ولا وعد أضاع حمىً وشعبا
ولا حرّية تبلى بطاغٍ يرى حرّية الأفكار ذنبا

فالشاعر صور بلفور طاغية أضاع الحمى والشعب، ولا مكان عنده لحرّية الأفكار.

وأكد الشاعر **محمد علي صالح** (2) في قصيدته **حكومة الطور** أنّ وعد بلفور لم يسبق إليه جبايرة التاريخ
مثل الملك الطاغية نيرون الروماني، وجنكيز خان المعروف بظلمه عند المغول، والملك تيمورلنك السفاح، إذ
قال (3):

ما سطر التاريخ وعدًا كالذي أوعده شعبًا غدا مدحورا
نيرون هل فعلت يداك كهذه أن بعت أرضًا أو كسرت شعورا
كلا ولا جنكيز قام بمثله فتصفحوا التاريخ أو تيمورا

وبهذا إشارة إلى أن وعد بلفور جريمة عظيمة لم يسطر مثلها التاريخ على مرّ العصور.

(1) إسكندر الخوري، آلام وآمال، ص73

(2) ولد محمد علي صالح التائه سنة 1912م في مدينة طولكرم، وتعلم في المدرسة الفاضلية، ثم قصد الكلية الإسلامية في القدس، وأمضى فيها 5 سنوات، بدأ خلالها يقرض الشعر بتوقيع "بدوي الوادي". وعمل مدرسًا في المدرسة الإسلامية في حيفا. وفي سنة 1935م قال في رثاء عزالدين القسام:

افتح بالفداء والآلام منهج الحق يا دم القسام
ومر الناس أن يكفوا عن القول فلم ننتفع بصوغ الكلام

وأثناء ثورة عام 1936م سجنته حكومة الاحتلال البريطاني وحكم عليه بالسجن لمدة عامين. وبعد النكبة عام 1948م عمل مديرًا لمدرسة إعدادية في طولكرم (*). وله ديوان شعر مخطوط، توجد عنه صورة لدى الدكتور مشهور الحبّازي.

(*) محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص361-362

(3) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

والشاعر **وديع البستاني**⁽¹⁾ في قصيدة **بلفور في دمشق** التي نظمها عام 1925 بمناسبة زيارة "اللورد بلفور" لمدينة دمشق لم يفته التثديد بوعد بلفور عندما تحدث فيها عن خيانة بريطانيا وغدرها بالعرب مؤكداً أنه ليس ضيفاً فقال: (2)

"الخفيف"

لا يحل القري لمثلك ضيفاً

سمّه مفسد لمخ الطعام

سد باب الأقصى بوجهك سداً

والذي سده أمير الكرام

ثم يصفه بناقض العهود للعرب ومبرمها لليهود ويوضح له أن العرب ليسوا كما يظنهم نعاماً لا يعي ولا يهتم بما يحيط به من مؤامرات، قال: (3):

إن تحدث عن حادث الأيام

مبرم الوعد ناقض العهد حدث

فإذا هم في الطير غير النعام

قد حسبت الأعراب طيراً نعاماً

(1) وديع البستاني: ولد عام 1886م وتوفي عام 1954م في لبنان، فهذا الشاعر لبناني المولد والنشأة ولكنه قضى في فلسطين نحو ثلاثين عاماً من عمره، فقد وفد إلى فلسطين في شهر تشرين الثاني عام 1917 في الشهر نفسه الذي صدر فيه وعد بلفور. وكان يعمل في بداية الأمر في منصب حكومي مع السلطات البريطانية المحتلة وكان من كبار موظفي الحكومة فرأى في سراي الحكومة في يافا غرفة كتب على بابها "الجمعية اليهودية" فنظم في الأسبوع الأول من وصوله إلى فلسطين أبياتاً بعنوان "الدولة الرضيع"، قال فيها يخاطب الإنجليز:

فتحننا لكم صدراً، مددنا لكم يداً

وإني لأخشى أن تديروا لنا ظهراً

أرى الوطن القومي يعلو بناؤه

أرى غرفة في القصر تحجبه قصراً

ولكنه لم يستطع المضي في عمله الحكومي أكثر من ثلاث سنوات، فاستقال من عمله عام 1920 وأثر العمل مع إخوانه عرب فلسطين في قضيتهم القومية. وديوانه "الفلسطينيات" سجل واضح يبدو فيه تجاوب الشعر في فلسطين مع أحداثها القومية. وقد أرخ قصائده باليوم والشهر والسنة، وأورد مناسبة كل قصيدة، وذيل الأبيات بإشارات توضح الأحداث السياسية والاجتماعية.

في هذا الديوان نحو خمس وأربعين قصيدة ومقطوعة نظمها الشاعر خلال ثلاثة عشر عاماً من عام 1917 حتى عام 1930م وهذا الديوان طبع ونشر بببيروت عام 1946م (*)

*- ينظر: ناصرالدين الأسد، الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص 262-263

(2) وديع البستاني، الفلسطينيات، ص 163-164

(3) المصدر نفسه، ص 163

كنت أوفى قدرًا وأعلى مقامًا
وتدهورت يا علي المقام
مبرم الوعد ناقض العهد ماذا
بعد برد من نارنا وسلام
ذاك الوعد كان نقض زمام
كيف يرعاه ناقض للزمام

خاطب الشاعر "بلفور" قائلاً: إن القرى لا يحل لضيف مثلك، فإن سمك قد أفسد الود الذي بين العرب وبريطانيا، فيا من أبرمت الوعد المشؤوم إنك قد نقضت العهد معنا وهذه خيانة كبرى ستتحدث عنها الأيام على مر الزمان، وإن كنت حسبت الأعراب طيراً ضعيفاً كالنعام فقد خاب ظنك، إنهم من الطير القوي، فلن تلق بعد يومك هذا البرد والسلام وإنما ستلقى الحديد والنار.

ومن أبرز الشعراء الذين رسموا أروع اللوحات الشعرية التي تنبض بالحس الوطني، وتجسد أبلغ المعاني الوطنية الصادقة الشاعر **هارون هاشم رشيد⁽¹⁾**، الذي نذر شعره وإبداعه لخدمة الوطن، ومن إبداعاته المقترنة

(1) ولد هارون هاشم رشيد سنة 1927م في مدينة غزة الفلسطينية ونشأ فيها إذ مثلت غزة وجهة روحه ومنبع طفولته. ونال دروسه الأولى في مدارسها، وأنهى دراسته في كلية غزة، وحصل على شهادة المعلمين العليا عام 1947م. وعمل معلماً ثم مديراً لمكتب إذاعة صوت العرب بقطاع غزة. وتابع دراسته وحصل على درجة الدكتوراه في الأدب في موضوع الشاعر "حسن البحيري". عاش الشاعر أحداث النكبة عام 1948م بكل معانيها، ومن لم يعيش في قطاع غزة لم ير النكبة على حقيقتها. ومن آثاره الشعرية:

- 1- مع الغرباء، سنة 1954م.
 - 2- عودة الغرباء، سنة 1956م.
 - 3- غزة في خط النار، سنة 1957م.
 - 4- أرض الثورات، سنة 1959م.
 - 5- حتى يعود شعبنا، 1966م.
 - 6- سفينة الغضب، 1968م.
 - 7- رسالتان، 1968م.
 - 8- الرحلة العاصفة، 1969م.
 - 9- فدائيون، 1965م.
 - 10- الرجوع، 1977م.
 - 11- مفكرة عاشق، 1980م.
 - 12- المجموعة الشعرية الكاملة (دار العودة، بيروت، 1981م)
 - 13- يوميات الصمود والحزن، تونس، 1983.
 - 14- النقش في الظلام، (عمان، 1984)
- يتبع

بفلسطين وعذاباتها قصيدة أرض الثورات، وهي ملحمة شعرية بلغ عدد أبياتها ما يقرب من خمسمائة بيت من وزن واحد مع تنوع في القافية، وضمت ستة أناشيد، يقص الشاعر في النشيد الثاني منها، الذي يتألف من ثمانين بيتاً انتهز اليهود نشوب الحرب العالمية الأولى لتحقيق أطماعهم في إقامة دولتهم في فلسطين، واتصالهم بالسلطان العثماني السلطان عبدالحميد الثاني محاولين شراء البلاد، ثم اتجاههم للغرب وتدبيرهم المؤامرات مع بريطانيا التي أصدرت لهم الوعد المشؤوم وتبنت حلمهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين.⁽¹⁾ قال الشاعر واصفاً "بلغور" ووعده: (2)

وتحمس القدر الخسيس

الوعد "بلغور" الوزير

ورمى بوعد الشر

ألقى بالندير

وعد تزلزلت الجبال

له ... ومزقت السطور

..... تابع

15- عسافير الشوك، (مسرحية، القاهرة، 1990)

16- ثورة الحجارة، (تونس، 1991)

17- طيور الجنة، (دار الشروق، عمان، 1998)

18- وردة على جبين القدس، (القاهرة، 1998)

أعماله الروائية : سنوات العذاب، (القاهرة، 1970)

الدراسات : 1- الشعر المقاتل في الأرض المحتلة، (صيدا، 1970)

2- مدينة وشاعر، حيفا والبحيري، (دمشق، 1975)

3- الكلمة المقاتلة في فلسطين، (القاهرة، 1973)

(*) ينظر : 1- محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص463-467

2- محمد حلمي الريشة، معجم شعراء فلسطين، ص276.

(1) ينظر : كامل السوافيري، الاتجاهات الفنية، ص383

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص313-314

وبدت بريطانيا .. على

علاقتها .. خلف البحور

وعد .. سيصق كل

إنسان على "بلغوره" ...

الحقد في كلماته ...

والذل ملء سطوره ...

وعد بتوطين اليهود

فيا لذل مصيره ...

وعد .. سيقى سبوة

التاريخ عبر دهوره ...

استخدم الشاعر عبارات تعكس ما انطوى عليه وعد بلغور من الشر تجاه العرب، فخاطب "بلغور" ذامًا ما خطت يده وما ألقى لسانه، متعجبًا من منطقته الغريب، وما اتصف به من الدهاء والمكر عندما قرّر أن تكون فلسطين وطنًا لليهود الغرباء وجاد عليهم بأرض لا يملكها، إنّها ملك العرب الذين لن ينسوا هذا الأسي ولن ينسوا هذه الجريمة البشعة التي اتخذت بحقهم.

وأشار سمير شحادة التميمي في كتابه "حسان فلسطين سليم أبو الإقبال اليعقوبي" إلى أن عددًا من الدارسين للشعر الفلسطيني الحديث، أمثال ناصر الدين الأسد، في كتاب "الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن"، وعبدالرحمن ياغي في كتابه "حياة الأدب الفلسطيني الحديث"، وكامل السوافيري، في كتابه "الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين"، أنهم أغفلوا الحديث عن شعر أبي الإقبال اليعقوبي، الذي استوعب القضية الفلسطينية من وعد بلغور حتى وفاته، وإنّ هذا الإغفال نجم عن عدم إلمامهم بكل ما كتب الشاعر اليعقوبي من شعر في هذه المرحلة، وسبب ذلك صعوبة وصولهم إلى شعر اليعقوبي، فكل شعره موجود بحوزة

ابنه رشاد في القاهرة، وهو مخطوط مجموع في أكثر من مجلد لم يقدر لابنه أن يطبعه، ولم يقدر لأحد أن يصل إلى مخطوط شعر اليعقوبي قبل بحثه في حياة وشعر اليعقوبي، إذ قال إنه في بحثه حاول أن يحفظ لهذا الشاعر موقعه بين شعراء فلسطين، إذ استطاع اليعقوبي بشعره إيصال مشاعره وأحاسيسه الفلسطينية ورأى الخطر المحدق ببلده، وحاول أن يدرأ هذا الخطر من خلال قصائده التي جسدت حسنه الاجتماعي والوطني والقومي.

ومما جاء في قصيدته الدالية الواردة في ديوانه المخطوط قوله⁽¹⁾ :

بلفور لولا وعده والوعد أشبه بالوعد "الكامل المجزوء"

لرأى من العرب الحفا وة في التهائم والنجد

رأى الشاعر اليعقوبي⁽²⁾ في تصريح بلفور وعيداً لا وعداً وجهه الغرب للعرب، وبين أن بلفور قد أصبح مكروهاً عند العرب بوعده لا بشخصه، ووقف الشاعر من بلفور موقف النافر، المشمئز، عندما قال:

(1) سمير شحادة التميمي، حسان فلسطين أبو الإقبال اليعقوبي، ص158.

(2) ولد سليم حسن اليعقوبي سنة 1880م في مدينة اللد بفلسطين، وتعلم في كتاتيبها، ومن ثم في الأزهر في مصر، وعاد إلى مسقط رأسه، وعين مفتياً لمدينة يافا.

كنيته أبو الإقبال واختار لقب "حسان فلسطين" توقيفاً أدبياً لقصائده. نفته حكومة الاحتلال البريطاني بعد احتلال فلسطين إلى معتقل "سيدي بشر" بالإسكندرية، لأنه كان من الداعين إلى الجامعة الإسلامية، ووقف يقاوم الثورة العربية التي دعا لها شريف مكة حسين بن علي.

وكان اليعقوبي في طليعة الشعراء الذين قاوموا "وعد بلفور" وتنبهوا إلى خطورة دور الشعر في النضال ومقاومة الاحتلال البريطاني والصهيوني. وفي عام 1946م قصد مكة المكرمة معتمراً، فتوفي ودفن هناك.

أعماله الشعرية :

1- حكمة الإسلام ، 1907

2- النظرات السبع، القاهرة، 1933

3- حسنات اليراع، القاهرة، 1954

4- الاتحاد الإسلامي

الأبحاث :

1- حسان بن ثابت

2- المنهج الرفيع في المعاني والبيان والبيدع

(*) قام نجله رشاد بجمع قصائده التي لم تنتشر في دواوينه وطبعها في القاهرة، 1991م يتبع

بلفور، لا أهلاً ولا سهواً — ألا بلفور اللدود

واعتبره عدواً لدوداً للأمة العربية جميعها، ومنكراً للجميل، والمتآمر على العرب بإعطاء فلسطين لليهود،

إذ قال :

الغادر العرب الأباة الناكر الماضي المجيد

الضارب الحسب الصحيح بكل شيطان مريد

الجاعل الوطن المؤيد بالعروبة لليهود

ورأى الشاعر أنّ سوء حظ بلفور انتسابه إلى قوم يزعمون أنّهم أهل ذمّة، ووفاء وعهد، وما هم في

حقيقتهم سوى ناقضين لعهودهم، مخلفين لوعودهم، إذ قال⁽¹⁾:

في عهد قوم يزعمو ن بأنهم أهل العهود

وهم الألى نقضوا العهو د وأخلفوا كل الوعود

ودعا الشاعر الله تعالى أن يشل اليد التي منحت هذا الوعد، وعدت على المسجد الأقصى واغتصبته،

وبعثت لأهله وأبنائه عدواً جباراً ظالماً، لم يفرق بين مسلم ومسيحي. فقال:

شلت يد عملت على ما فيه تمزيق القيود

وعدت على البيت المقدّ س من مهبط المجد التليد

ورمت بنيه المخلصين بكلّ جبار عنيد

وقضت على قبر المسيد ح ومهده خير المهود

..... تابع

(*) ينظر : 1- محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص176

2- محمد حلمي الريشة، معجم شعراء فلسطين، ص123.

(1) نقلاً عن سمير شحادة التميمي في كتابه، حسان فلسطين أبو الإقبال اليعقوبي، ص158-160

وفي ختام هذه القصيدة أخذ يمّتي أبناء فلسطين بالأمني، فطلب منهم أن يصبروا على ما أصابهم،

فقال:

صبرًا بني وطني فما بعد الهبوط سوى الصعود
بالله ما الأمر الذي نرجوه بالأمر البعيد
فالخير أقرب للصبور الحر من حبل الوريد

ولا شك أنّ هذا القول يحمل في ثناياه تهديدًا واضحًا لدولة الاحتلال البريطاني، ولوزير خارجيتها بلفور.

والشاعر سليم أبو الإقبال اليعقوبي كان في طليعة الشعراء الفلسطينيين الذين قاوموا الوطن القومي اليهودي، وكان أكثر شعره في القضية الفلسطينية، إذ نّمّ الغرب المستعمر الظالم، فحكمه غير محمود، وكيف يحمد حكم الغرب وكلّ ما في الغرب ظالم غاشم حتى المولودون الصغار، وخير دليل على ذلك، إعطاؤهم اليهود وعد بلفور، شر الوعود في التاريخ كلّه، قال: "الرملة المجزوء"

إنّما الغرب، وظلم حكمه، غير حمود⁽¹⁾

كل من فيه ظلوم من وليد وولود

وبحسب الغرب ظلّمًا وعد بلفور اللدود

إنّه والشّر يجري فيه من شرّ الوعود

صوّر الشاعر وعد بلفور بأنّه عدو لدود وأنّ الشّر يجري فيه وأنّه من شرّ الوعود.

وتحدث اليعقوبي برؤيا صادقة، ونبوءة واقعة عن الأثر المترتب على وعد بلفور، وعن المصير الذي

ينتظر فلسطين وأهلها، فقال:

(1) سمير شحادة التميمي، حسان فلسطين: سليم اليعقوبي، ص 167

سلبونا خير دار ليس فيها من جرود⁽¹⁾
في فلسطين رياض ذات آسٍ .. وورود
ما لنا والماء فيها إت ظمئنا من ورود
ولو أنّ الماء يجري وبه خصب النجود

وتحققت النبوءة، وسلب اليهود العرب أفضل أراضيهم في فلسطين، واستأثروا بأسها وورودها، وعذب
مائها.

ب- الحث والتحريض على المقاومة:

يتوعد الشاعر إبراهيم طوقان بلفور بمقاومة وعده، ومنع تنفيذ هذا الوعد المشؤوم، وأنه سينتهي هو
ووعده إلى جهنم وذلك وعد إلهي، قال في قصيدة البلد الكئيب : "الكامل المجزوء"

إخساً بوعدك، إنّ وعــــدك دونـه رب القضاء⁽²⁾
وإلى جهنم أنتمأ حطب لها طول البقاء
إخساً بوعدك لن يضير الوعد شعباً هب ناهض
لا تنقض الوعد الذي أبرمته فله نواقض
أبرمته فله نواقض

ويختم قصيدته ببيان استعداد أسود فلسطين، والأمة العربية لافتداء فلسطين بأرواحهم :

ويل لوعد الشيخ من عزمات آساد روابض
أتضيع يا وطني وهما عرق العروبة فيّ نابض

(1) سمير شحادة التميمي، حسان فلسطين: سليم اليعقوبي، ص167

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

فلأذهبن فداء قومي في غمار الموت خائض

الشاعر إبراهيم طوقان يؤمن بقوة الشعب الفلسطيني وبحقه في فلسطين وقد تنبّه إلى ضرورة عقاب بلفور في الحياة الدنيا، فبعد أن وضح لبلفور عقابه المنتظر في الآخرة، أراد أن يعجل له عقابه في الدنيا على أيدي الأبطال الفلسطينيين والعرب، ويتوجه إلى بلفور متوعدًا فيقول: "إنّ الشعب الفلسطيني المجاهد لن يضيره هذا الوعد، إذ لديه وسائل عديدة لتقض هذا الوعد ومنع تحقيقه على أرض الواقع، ويقسم أن فلسطين لن تصبح وطنًا لليهود ما دامت الدماء تجري في عروقه، ويرسم للشباب الفلسطيني الطريق لإفشال الوعد وهو الجهاد ولا شيء غيره.

وردّ الشاعر وديع البستاني اللبناني الأصل على خضوع الشاعر معروف الرصافي العراقي الأصل في قصيدة كان نظمها ومدح فيها آرثر بلفور، صاحب الوعد المشؤوم، ومما قاله معروف الرصافي في تلك القصيدة:

لدى محفل في القدس بالقوم حافل تبوّأه هرب صموئيل في الصدر⁽¹⁾
دعاهم رئيس القدس ذو الفضل راغب إليه فلبوا دعوة من فتى حرّ
فإن شئت يا هرب صموئيل فاختر خلائق منا لا تميل إلى الغدر

وأكد الشاعر وديع البستاني لبلفور أنّ العرب وأهل فلسطين لن يقبلوا بوعده مهما امتدّ الزمن،

قال: "الطويل"

أنؤمن في "بلفور" بعد محمد وعيسى وموسى والوزير من الوزر⁽²⁾
وربك: لا، فالوحي في الذكر صادق يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص104

(2) المصدر نفسه، ص110

لقد أبت نفس الشاعر العزيزة الخضوع والذل للعدو الذي اغتصب البلاد وألحق بأهلها الويلات والعذاب،
فانبرى يرد على الرصافي مستكراً أقواله ومواقفه من الذل الذي لقيه بالعز والبشر.

والشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة (أرض الثورات) قال متوعداً⁽¹⁾:

بلفور ... يا بلفور
كل العرب لن ينسوا أساك
يا بئس ما ألقى لسانك ...
بئس ما خطت يداك ...
عجباً لمنطقك الغريب
وما تفتق عن دهاك ..
قررت للأغراب أرضاً ..
كان يملكها سواك ...
وعد تزلزلت العروبة
منه ... واشتعل الضرام
وجلجل الشعب الهمام ..
عار علينا أن يكون ..
فدونه الموت الزؤام ..
عار علينا أن يكون

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص314

فلن نكل ولن ننام

الشاعر يخاطب "بلفور" ذامًا ما خطّته يداه وما نطق به لسانه، متعجبًا من منطقته الغريب وما اتصف به من الدهاء والمكر ويوضح أثر الوعد على العرب بعامة، إذ أثار فيهم نار الجهاد، وأقسم أن يزيل هذا العار الذي حلّ به متوعّدًا بلفور بأنّ الشعب لن يخضع أو يستسلم، وأنه سيفدي وطنه بالأرواح.

ولمحمد العدناني⁽¹⁾ قصيدة بعنوان (وعد بلفور) ندد فيها بالوعد المشؤوم الذي كان ثمرة خيانة بريطانيا

وغدرا بالعرب فقال : "البحر البسيط"

يا وعد بلفور! قد أيقظتتا فم على الضغائن والأحقاد والنقم⁽²⁾

جمعت صهيون من صوب ومن حذب لتصبغ الشـرق من أبنائهم بدم

غداً نسير على أجداثهم زمراً من أمتي، ترهب الآساد في الأجم

أوجز العدناني في أبياته الثلاثة ما فصله غيره مستخدمًا أسلوب الحوار المليء بالسخرية والتهديد، فقد عرف العرب مدى حقد بريطانيا عليهم من خلال هذا الوعد الذي قرّرت فيه جمع شتات الصهاينة بهدف سفك الدماء في العالم الإسلامي، لكنّه هدّدها بأن جحافل العرب والمسلمين ستدوس جثث الصهاينة فالعرب أمة لا تهاب الموت بل تهابها الأسد في غاباتها.

(1) محمد خورشيد العدناني (1903-1981م)، ولد في مدينة جنين بفلسطين، وتلقى علومه الابتدائية في جنين، وطولكرم، وغزة، ودمشق (بسوريا)، وصيدا (لبنان)، وأتم دراسته بمدرسة الفنون الأمريكية بصيدا، ثم درس الآداب في الجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج فيها عام 1927. وعمل أستاذًا في دار المعلمين ببغداد، وفي عام 1931 عاد إلى فلسطين وعمل أستاذًا للأدب العربي بكلية النجاح الوطنية في نابلس ثم انتقل إلى القدس وعمل في الكلية الرشيدية، ومكث 9 سنوات. وكان معروفًا باسم "محمد خورشيد" نسبة إلى جده لأبيه حتى عام 1936، وأصبح يعرف باسم "محمد العدناني" نسبة إلى جد الأسرة البعيد.

أكثر شعره في القضية الفلسطينية ومأساة شعبها، وفي تمجيد الأمة العربية والدعوة إلى تحقيق وحدتها الكبرى. جمع دواوينه الشعرية في 3 مجلدات باسم "العدنانيات" الأول يضم دواوينه الأربعة : فلسطين، واللهيب، وفجر العروبة، والثوب. والمجلد الثاني يضم: ملحمة الأمومة، ودواوينه الثلاثة: سلمى، وقلب، ووجي الفؤاد. ويضم المجلد الثالث دواوينه: الروض، والعبير، وزهر، والغروب^(*).

* - ينظر: راضي صدوق، شعراء فلسطين في القرن العشرين، ص544-545.

(2) محمد العدناني، العدنانيات، 168/1

وخاطب الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة بعنوان (أيها الأقوياء) الاحتلال البريطاني بأسلوب ساخر
قائلاً:

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالة) وختمنا لجنذكم بالبسالة! (1)
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً كيف ننسى انتدابه واحتلاله
وخجلنا من (لطفكم) يوم قلتم: وعد بلفور نافذ لا محالة
كل (أفضالكم) على الرأس والعيــــــــــــن، وليست في حاجة لدلاله!
ولئن ساء حالنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حالة ..
غير أن الطريق طالت علينا وعليكم ... فمالنا والاطالة؟!
أجلاء عن البلاد تريدون فنجلو أم محقنا والازالة؟

جاءت هذه الأبيات بأسلوب ساخر من عدالة الاحتلال بسلبه حقوق شعب فلسطين وإرسال جنده لسفك
دماء الأبرياء من الشعب الفلسطيني، ووفاء الحكومة البريطانية بمنح فلسطين لليهود. ويبلغ به القهر إلى وضع
فضائل بلفور السابقة على الرأس والعيــــــــن إشهاراً لها، ويؤكد إيمانه بحقيقة أهداف الاحتلال البريطاني إذ يقول
للحكومة ساخراً ومستهنئاً : إننا نعلم أنكم تسعون إلى تحقيق أحد هدفين : إما تهجيرنا من فلسطين أو قتلنا
وذلك لتسليمها لليهود أرضاً بلا شعب.

ورسم الشاعر إبراهيم طوقان بكلماته لوحة دامية ملطّخة بفضائح الاحتلال البريطاني وجرائمه في
فلسطين، رابطاً بعض الحقائق والمواقف معاً، فهو يلطّخ هذه اللوحة بطين الطوفان الذي أغرق مدينة نابلس
وضواحيها عام 1935، مطلقاً اسم (زيادة الطين) على هذه اللوحة التي تشوبها ألوان الشؤم التي جلبها الاحتلال
على البلاد، فأرهب أهلها فقراً وجوراً وفساداً⁽²⁾.

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 213

(2) ينظر: حسني محمود، شعر المقاومة الفلسطينية، ص 102

ويربط بين طوفان السماء وطوفان الهجرة اليهودية الذي طغى بفضل وعد بلفور على هذا الوطن،
محوًا إياه إلى كارثة من فصول مأساوية لا تنتهي. يصفها في هذه الأبيات الشعرية قائلاً: (1) "البسيط"

بفضلكم قد طغى طوفان "هجرتهم" وكان وعدًا تلقيناه إيعادا

واليوم من شؤمكم نبلى بكارثة هذا هو الطين والماء الذي زادا

ويفضح إبراهيم طوقان كذب بريطانيا وخيانتها لليهود ويستنهض نخوة الشباب العربي وهمهم
ويحرضهم على قتال اليهود فداءً للحرمة وساحاته ودفاعاً عن المقدسات. يقول: (2) "السريع المجزوء"

لا تسمعوا كذب الوعود أعداؤنا خانوا العهود

دوسوا على روس اليهود فدى البراق والحرمة

ويلجأ إبراهيم طوقان إلى ضرب الأمثلة في النضال من أجل حرية الوطن وسلامة أراضيه وسيلة لحثّ
الشعب على الجهاد ورفع إيمانه بقضيته، قال مصورًا قتال ألمان مقاطعة (السنار) (3) ضد الاحتلال الفرنسي:

"الخفيف"

ليت لي من جماعة (السنار) قومًا يتفانون في خلاص البلاد

أو كإيمانهم رسوخًا عميقًا ثابت الأصل في قرار الفؤاد

مثل هذا الإيمان يضمن للأوطان عزًا، ومثل هذا التفادي

لا كإيمان من ترى في فلسطين قصير المدى، كليل الزناد

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص214

(2) المصدر نفسه، ص258

(3) حادثة جماعة (السنار) هذه تتلخص في أن ولاية من أراضي ألمانيا على الحدود الفرنسية وقعت أثناء الحرب العالمية الأولى تحت سيطرة فرنسا وعاش سكانها تحت الحكم الفرنسي، وبعد ذلك جرى استفتاء لأهالي سكان هذه الولاية للاختيار بين البقاء تحت الحكم الفرنسي أو الانضمام إلى ألمانيا فاختار أهالي هذه الولاية انضمامهم لألمانيا، وذلك نابع من إيمانهم الوطني وحبهم لبلادهم ووطنهم.

يتداعى إذا تسلط وعد أو وعيد عليه عند العوادي

كان الشاعر إبراهيم طوقان يغمتم كل حادثة يجعلها مناسبة لتنبية قومه وتحذيرهم من المصير الذي تساق إليه فلسطين، إذ كانت حكومة الاحتلال البريطاني تسعى إلى تحطيم المعنويات عند أهل فلسطين للقضاء على روح المقاومة، فراح إبراهيم طوقان يدعو إلى نبذ الخلافات بين الأحزاب والزعامات في فلسطين، وإلى الإخلاص في خدمة الوطن، وإلى تعزيز معاني البطولة في النفوس، ومقاومة التخاذل ورفع الإيمان الوطني وأخذ العبرة من موقف الألمان ضد الاحتلال الفرنسي في ولاية السار بعد الحرب العالمية الأولى.

وحذر الشاعر إبراهيم الدباغ، في قصيدته (يا وطني الأول) أهل فلسطين والعرب في الشام مما سيؤولون إليه في حال تم تنفيذ وعد بلفور المشؤوم، قال : "الرجز"

قل لفلسطين وما جاورها من أزرع الشام، إلى وادي حرا⁽¹⁾
مشرد جاء لحرث أرضنا نوشك أن نرعى لديه البقرا

لقد أشار الشاعر إلى وعد بلفور المشؤوم الذي أعطى اليهود وطناً قومياً في فلسطين، فأصبحوا أصحاب الأرض بعد أن سلبت من أصحابها العرب، ويخشى الشاعر أن يصبح العرب أصحاب الأرض المسلوقة رعاة للبقر عند أعدائهم اليهود وهذا مما ينذر به وعد بلفور المشؤوم.

ويحمل الشاعر إسكندر الخوري⁽²⁾ بريطانيا في قصيدته (ثورة فلسطين) المسؤولية الكاملة في نقض العهود التي قطعتها على نفسها للعرب، وتبنيها وعد بلفور ويدعو على الواعدين ويتمنى لو ماتوا قبل إصدار هذا الوعد الذي خطه الظلم وحمته القوة وأخرجته إلى عالم الحقيقة فكان مثار خطوب وأهوال.

(1) إبراهيم الدباغ، في ظلال الحرية، ص63

(2) ولد إسكندر بن الخوري جريس بن يعقوب البيتجالي سنة 1890م في بيت جالا وإليها نسبته. وأنهى دراسته في بيروت سنة 1906م ثم درس القانون في معهد الحقوق بالقدس. وكان يحسن عدة لغات غير العربية، هي : التركية، واليونانية، والروسية، والفرنسية، والإنجليزية. بدأ قول الشعر مبكراً وبقي يقوله حتى وفاته في بلدته سنة 1973م. أعماله الشعرية:

1- الزفرات، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1919م.

2- الداء والدواء، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1921م.

..... يتبع

يقول الشاعر: (1)

"الرملة"

ضيعته لندن في وعدها ليت قبل الوعد مات الواعدونا
أو هذا كل ما نأمله من رجال ويحهم قد حالفونا
حسبتنا لندن أرملة ما لها حام كما قد عيروننا

أما الشاعر عبدالرحيم محمود⁽²⁾، فقد أبدع بأسلوبه المتميز في نقش ذلك الوعد في ذاكرة الأجيال، قال في قصيدته (وعد بلفور):

"الكامل"

..... تابع

3- دقات قلب، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1933م.

4- مشاهد الحياة، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1957م.

5- آلام وآمال، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1960م.

6- العنقود، مكتبة فلسطين العلمية، القدس، 1961م.

الترجمات:

1- العنقود المقدس، ترجمة، 1946م

2- غبريلا الحسناء، رواية فرنسية في جزئين.

3- الفتاة للفارس، رواية روسية تاريخية.

أعماله الأخرى:

1- المثل المظلوم، قصائد على أسنة الطير والحيوان، القدس

2- الحرب العالمية الثانية، تاريخها نظمًا وشعرًا مع الرسوم، القدس، 1945.

(*) ينظر: محمد حلمي الريشة، معجم شعراء فلسطين، ص33.

(1) اسكندر خوري، العنقود، ص100-101

(2) ولد عبدالرحيم محمود سنة 1913م في بلدة عنبتا بقضاء طولكرم، وتعلم في مدرسة بلدته ومدرسة طولكرم، وكلية النجاح الوطنية

بنابلس. وفي ثورة عام 1936 كان اليد اليمنى للقائد عبدالرحيم الحاج محمود، وخاض معه معارك عديدة، وعندما توقفت الثورة سنة 1939 توجه إلى العراق ودخل الكلية الحربية في بغداد، ثم عاد إلى فلسطين وعمل معلمًا في كلية النجاح الوطنية بنابلس. وعند صدور قرار التقسيم عام 1947م انضم الشاعر إلى صفوف المجاهدين وخاض معارك ضارية، واستشهد في معركة الشجرة بقضاء الناصرة في 13/6/1948م

والشاعر أُرخ للقضية الفلسطينية منذ انضم العرب إلى الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وحاربوا الأتراك، وبين الجزء الذي لقيه العرب على ما قدموا إذ كان الغدر بهم، وأكبر غدر هو وعد بلفور الذي استثنى فلسطين من استقلال البلاد العربية ليقدمها هدية إلى اليهود الصهاينة الغرباء ويطرد شعبها الأصيل منها.

لم يجمع الشاعر شعره في ديوان قبل وفاته، فجمع من بعد تحت عنوان "ديوان عبدالرحيم محمود" سنة 1958، ونشره كامل السوافيري سنة 1974، ومكتبة بلدية نابلس سنة 1975م، وطبعه نافع عبدالله سنة 1979 في رسالة ماجستير من الجامعة اليسوعية في

غدر الحليف وأي وعد صانه يوماً وأية ذمّة لم يخفر⁽¹⁾

لما قضى وطراً بفضل سيوفنا نسي اليد البيضاء ولم يتذكر

بين الشاعر الجزاء الذي لقيه العرب على ما قدموه لحلفائهم الغربيين من مؤازرة في حربهم ضد الأتراك، فكان الجزاء من جنس العمل، فالحلف نفسه كان فاحشة وساء سييلاً لأنّ العرب عقدوا الحلف مع مَنْ شأنه الغدر، فكان الذنب ذنبهم وليس ذنب بريطانيا، فالشاعر في البيت الأول خبّر عن الماضي السابق للحلف، إنه حلف بين الذئب والغنم، فلا يلام الذئب في عدوانه.

فهو هنا يؤكد غدر بريطانيا والحلفاء بإعطاء فلسطين إلى اليهود وكأنها قطعة من ممتلكاتهم، ولا سبيل إلا الجهاد.

ويشير الشاعر عبدالرحيم محمود في قصيدته (عيد الجامعة العربية) بصراحة أكبر إلى وعد بلفور ويلوم العرب والأقربين قبل لوم الأعداء ، فهو يرى أن قومه هم السبب بما حل بالبلاد من ضيم وتكيل واعتداء على الأراضي والمقدسات، بسبب استكانتهم لعدوهم وأن كارثة الوعد التي حلت على فلسطين ومن فيها كانت بسبب فرقتهم، قال:

"الكامل"

ظللنا نغرر بالوعد وينظلي كذب ويفعل فعله الإبهام⁽²⁾

خرجوا لنا "بالسحب" من أقسامنا يا ويلنا إن الهول أقسام

بلفور ما بلفور ماذا وعده لو لم يكن أفعالنا الإبرام.

هنا ينبه الشاعر شعبه بقوله: كفانا ما انظلي علينا من كذب أعدائنا البريطانيين، فكثيراً ما ظللنا نغرر بوعودهم الكاذبة وعباراتهم المبهمة، فنراه يتساءل:

..... تابع

بيروت. وطبع بتحقيق عزالدين المناصرة في دمشق سنة 1988م بعنوان "الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود" القصائد والمقالات.

(*) ينظر: محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص238-242

(1) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص42

(2) المصدر نفسه، ص25

ما قيمة وعد بلفور لو لم نكن قد أبرمنا العهد مع من أصدر ذلك الوعد المشؤوم؟ فيا ويلنا بسبب استكانتنا لهم! فراح يسلط الأضواء على قضية شعبه وأمتة العربية يرسم طريق الحرية الذي يعتمد على وحدة الصف ومحاربة الفرقة والشقاق.

أما صاحب الحضور الخاص المقترن شعره بفلسطين وكفاحها ضد الغزو الصهيوني، الشاعر **محمد علي صالح**، الذي حذر من وعد بلفور المشؤوم في قصيدة (ليلي وبلفور) التي نظمها يوم مجيء آرثر بلفور إلى فلسطين عام 1925م، لمتابعة نتائج وعده، فقال⁽¹⁾:
"الرمل"

قل لهم (بلفور) يأتكم غدًا هل تكاتتم إلى هذا الخبر
انفروا للقدس هيا، وثقوا رفقتي (بلفور) من خلف البحر
وأبرقوا رفضاً لوعد جائر لرجال الغرب وامحوا ذا الأثر

حث الشاعر شعبه على التكاتف والوقوف صفًا واحدًا في وجه هذا الزائر الظالم الذي سيأتي إلى فلسطين غدًا، فعليهم أن يحتجوا على هذه الزيارة لهذا العدو الماكر، بالنفير إلى القدس للتظاهر والاحتجاج والاستنكار والتثديد بوعده، الذي يهدد كيانهم ووجودهم في وطنهم.

كما ندد بوعد بلفور الشاعر **عطا سليمان رموني** فقال⁽²⁾ :
"الرمل"

شرّ خلق الله في الأرض ابتلينا
لعنة الله الذي كان السبب
وعد بلفور غدا شؤم علينا
طغمة الأشرار حق يغتصب

(1) محمد علي صالح، ديوانه، ص20

(2) عطا سليمان رموني، <http://pal-stu.com/vb/showthread.php?t=36063>

أهل مكر وخداع كم لقينا

منهم الآلام نلنا والنصب

ندد الشاعر بوعد بلفور الذي غدا شؤماً على شعب فلسطين، لأنه هياً لليهود الأشرار، أن يغتصبوا أرض فلسطين، وما كان لهم ذلك لولا وقوف بريطانيا بجانبهم ومساعدتهم في تحقيق أطماعهم، فعملوا مع بريطانيا بسياسة المكر والخداع والتدليس والغدر بالعرب لتحقيق أهدافهم الاستعمارية في البلاد العربية ما كان لذلك من أثر سلبي على أهل فلسطين وما لحق بهم من المآسي والويلات والتشرد من الأوطان.

ج- استحضار الوعد والتنديد به في كل مناسبة :

كان تأثير وعد بلفور على الشعراء الفلسطينيين كبيراً، بإذ أنه لم يقتصر على لحظة صدوره، بل تعدى ذلك إلى سنوات بعد صدوره، وذلك لخطورة هذا الوعد التي تمثلها الشعراء بحسهم المرهف ووعيهم العميق واستشرافهم للمستقبل، وقد ظهر استحضار الشعراء الفلسطينيين لوعد بلفور وتنديدهم به في مناسبات منها:

1- الذكرى السنوية

وقف الشاعر إبراهيم طوقان أمام الوضع الكئيب، الذي جرّ الخراب والكآبة إلى البلاد، فعكست قصيدته (البلد الكئيب) عظم الجريمة والمصاب الذي حل بفلسطين وأهلها والتي نظمها في الذكرى الثانية عشرة للوعد عام 1929. فقال مخاطباً بلفور، موضحاً حقيقة وعده الذي يحتفل به: (1)

بلفور كأسك من دم	الشهداء لا ماء العنب	“الكامل المجزوء”
لا يخدعك أنّها	راقت وكلّها الحب	
بلفور فحبابها الأرواح قد	وثبت إليك كما وثب	

إنه في هذه الأبيات يجعل بلفور يشرب دماء الشهداء في احتفالاته السنوية بهذا الوعد.

أما الشاعر عبدالرحيم محمود في قصيدته (أحاجي) التي ألقاها في فندق فلسطين بمناسبة ذكرى وعد بلفور التي عبّر فيها عن ظلم البريطانيين ومساندتهم للصهيونية، وضرورة الثورة ضدهم فقال: (2)

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

(2) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص97-99

وهب الشحاذ ما ليس له
يا لطيب النفس والقلب الكبير! "الرمل"
لا أسميه فمن يحزره
إن من أعني هنا جد شهير
كلكم يحزره فهو غدا
علماً للكذب عنواناً لزور

جاء تنديد الشاعر بوعد بلفور على هيئة أحجية فطلب من مستمعيه معرفته بعدما سرد لهم بعض صفاته.

ويستكر الشاعر **محمد علي صالح** الوعد المشؤوم في ذكره السابعة في قصيدة (يوم 2 نوفمبر)، فيصف ذلك اليوم رافضاً الوعد قائلاً⁽¹⁾:

يا ال قحطان "وعداً" واضح الضرر
لا بارك الله في ذا اليوم إنَّ به
يُعلم بأننا أسود الموقف الخطر
قد قام "بلفور" فيما تعرفون ولم
فيما دمَاءٌ ولا نرضاه من خبر
تالله لا نقبلن "الوعد" ما برحت
أهل العروبة من بدو ومن حضر
إنا لنرفض هذا الوعد أجمعنا
في كل عام سيأتينا بلا خور
كما رفضناه في عام مضى وكذا
قد أنكر الحق (بالصمصامة) الذكر
بيعت فلسطين في ذا اليوم من رجل
"قبيلة القهر" لا تبقي سوى الضرر
لا تياسوا من مبيع "العلاج" موطنكم

يدعو الشاعر على يوم وعد بلفور لما انطوى عليه من ضرر واضح بحق شعب فلسطين، وإن من أصدر ذلك الوعد لم يعلم حقيقة العرب الذين تأبى نفوسهم الذل والخضوع لعدوهم فهم أسود، ويقسم الشاعر بأن العرب جميعاً من بدو وحضر لن يقبلوا بهذا الوعد الخسيس ما دامت دماؤهم تجري في عروقهم، فهم يستكرون الوعد ويرفضونه أبداً دون كلل؛ لأنه وعد بيع فلسطين صدر من رجل ودولة خائنة غادرة منكرة لحق

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

العرب في بلادهم ثم يستبشر الشاعر خيرًا، فيدعو أمته إلى عدم اليأس، ففلسطين بلادهم ولن يكون للوعد إلا الضرر الزائل.

وندد حسن البحيري⁽¹⁾ في قصيدة (الداء والدواء)⁽²⁾ فقال :

"الكامل المجزوء"

يا أيها الزارون تنديدًا على (بلفور) وعدا

أين الذي أعدتموه لتتقدوا الوطن المفدى

خاطب الشاعر العرب فرسم لهم طريق الخلاص من قيد الاحتلال موضحًا أن القول باللسان وإلقاء الخطب الرنانة لا يجدي نفعًا، وتساءل متعجبًا من سلبية الدور الذي قام به العرب ولا يزالون تجاه فلسطين إذ أنهم لم يعدوا شيئًا لإنقاذها من يد الاحتلال البريطاني والصهيوني، وتخليص شعبها مما لحق به من ويلات ومصائب.

(1) ولد حسن بن حسن البحيري سنة 1921 في مدينة حيفا. مات أبوه وهو رضيع، ودرس في المدرسة الابتدائية بحيفا، وبسبب فقره لم يكمل تعليمه في المدارس وإنما اعتمد الدراسة الحرة، فأقن الإنجليزية والعبرية. وهاجر إلى دمشق، وعمل مراقبًا في القسم الأدبي في إذاعة دمشق.

كان بيته مكتبة ومتحفًا للتراث الفلسطيني، وقرر قبل موته أن يجعله مركزًا ثقافيًا عن حياة فلسطين، والشاعر لم يتزوج، وبقي شديد الحنين إلى مسقط رأسه حيفا.

من آثاره الشعرية:

- 1- الأصائل والأسحار، سنة 1943م.
- 2- أفراح الربيع، سنة 1944م
- 3- ابتسام الضحى، سنة 1946م
- 4- حيفا في سواد العيون، سنة 1973م
- 5- لفلسطين أغني، سنة 1979م
- 6- ظلال الجمال، سنة 1981م
- 7- الأنهر الظمأى، سنة 1982م
- 8- تبارك الرحمن، سنة 1983م

(*) ينظر: محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص107-110

(2) حسن البحيري، الأنهر الظمأى، ص67

2- افتتاح الجامعة العبرية

عندما افتتحت الجامعة العبرية عام 1925 أتى اللورد بلفور ليشهد حفل الافتتاح، التي اعتبرها الشاعر إسكندر الخوري ثمرة من ثمار المطامع الصهيونية، وركيزة لدعم الوطن القومي لليهود، فحذر من خطر هذه الشعارات البراقة التي تبطنها المطامع الصهيونية والمآرب الغربية في البلاد، فنظم قصيدة حول افتتاح هذه الجامعة سماها (الجامعة العبرية) وجّه فيها إصبع الاتهام إلى اللورد بلفور؛ لأنه أصل فاجعة أهل فلسطين، فقال: (1) "الكامل المجزوء"

من لندن هرولت تضرم نار هذي الواقعة
يا لورد ما لومي عليـك فأنت أصل الفاجعة

3- رثاء المناضلين

سيطرت مخاطر وعد بلفور على الشاعر إبراهيم طوقان في كل أحواله حتى في رثاء أعزاء عليه، فقال شارحاً حال فلسطين في قصيدته (رثاء أبي المكارم) عبدالمحسن الكاظمي بعد رحيله:

تجد قوياً وفي وعد الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب⁽²⁾
ومر سبع وعشر في البلاد له وحكمه مزج ترهيب وترغيب
قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده مصيرنا رهن تدريب وتجريب
حال أرى شرها في الناس منتشراً وخيرها للمطاييا والمحاسيب

صوّر الشاعر في الأبيات السابقة وعود بريطانيا الكاذبة التي وصفها بوعد عرقوب، ووفائها بوعد الدخيل الغاصب للبلاد، وقد مرّت سبع عشرة سنة عليها وهي تحكم فلسطين حكماً يقوم على المزج بين أسلوب الترهيب والترغيب أو العصا والجزرة في السيطرة على الشعب الفلسطيني وقهر تطلعاته الوطنية.

(1) إسكندر خوري، العنقود ، ص249

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص

ومن شعراء فلسطين أيضًا الذين نددوا بوعد بلفور الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي⁽¹⁾ وذلك في قصيدة (إيه يا يوم الثلاثاء) التي نظمها في رثاء شهداء ثورة عام 1930 على أثر محاولة اليهود إقامة شعائر تلمودية عند حائط البراق في القدس عام 1929، فنشبت ثورة في جميع أنحاء فلسطين اعتقلت سلطة الاحتلال البريطاني على إثرها عددًا كبيرًا من شباب فلسطين وحكمت عليهم بأحكام مختلفة، منها الإعدام لثلاثة شباب هم: فؤاد حجازي من صفد، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل، ونفذ حكم الإعدام فيهم يوم الثلاثاء في 17 حزيران عام 1930 وكان كلّمًا أعدم أحدهم يؤذن المؤذنون، وتدفّق أجراس الكنائس في جميع أنحاء فلسطين.⁽²⁾ قال مندّدًا بالوعد: "الرمّل المجزوء"

قل لمن في لندن آواهم القصر المشيد⁽³⁾

أبهذا حكم العدل وهل ترضى اليهود؟

أم لديكم بعد قتل النفس بالجور مزيد؟

بينما العرب تمنّينهم من الغرب الوعود

فإذا الوعد وعيد وإذا الثعلب سيد

وإذا هذا سجين وإذا ذاك شهيد

(1) ولد محيي الدين الحاج عيسى الصفدي سنة 1897م في مدينة صفد وتعلم فيها وفي مدارس عكا، وفي دمشق وبيروت، وأخذ التعليم العالي في المدرسة الصلاحية بالقدس. اشتغل في التعليم في نابلس وصفد. وبعد عام 1948 قصد مدينة حلب في سوريا وعمل في التعليم حتى سنة 1961. وتوفي سنة 1974م
أعماله الشعرية:

1- مصرع كليب، مسرحية شعرية، القاهرة، 1947م

2- أسرة شهيد، مسرحية شعرية، دمشق، 1966م

3- من فلسطين وإليها، شعر، حلب، 1975م

(*) ينظر: 1- محمد محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، ص 397

2- محمد حلمي الريشة، معجم شعراء فلسطين، ص 247.

(2) ينظر: محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوانه: من فلسطين وإليها، ص 13.

(3) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوانه: من فلسطين وإليها، ص 13.

خاطب الشاعر الساسة البريطانيين في لندن مستكراً سياسة الظلم والجور والقتل التي يتعاملون بها مع عرب فلسطين، في حين أن زعماء العرب تمنىهم الوعود الكاذبة من الغرب، في الوقت الذي أصدرت فيه بريطانيا وعد بلفور الذي حمل في عباراته الوعيد والشؤم لأهل فلسطين، وسمح لليهود أن يستقوا ببريطانيا على العرب وتتبدل حالهم من ثعالب إلى أسود بمساعدة سلطة الاحتلال البريطاني التي عملت على تنفيذ وعد بلفور ومارست سياسة البطش والتنكيل بعرب فلسطين. إلا أن نغمة التهديد والوعيد من الشاعر لسلطة الاحتلال البريطاني ظاهرة في القصيدة إذ يتوعد قائلاً مهما سقط من الشهداء في سبيل الشرف فإن هذا لا يضعف عزيمة شعب فلسطين.

2- التحذير من بائعي الأراضي وسماستها:

لمشكلة الأراضي في فلسطين علاقة وثيقة بمستقبل البلاد السياسي والاقتصادي، وذلك لارتباطها بمشروع الوطن القومي اليهودي أولاً، ولأن فلسطين بلاد زراعية تتوقف حياتها على الوسائل الزراعية ثانياً.

وكانت سياسة حكومة الاحتلال البريطاني في فلسطين قائمة على وعد بلفور، فقد جاءت بمشاريع ترمي إلى وضع البلاد في حالات من شأنها تسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي، ومما ساعد على ذلك أن نسبة كبيرة من مساحة الأراضي في فلسطين هي أراضٍ أميرية.

وكان امتلاك الأرض ركناً ضرورياً لقيام العمران عليها تنبعت المنظمات الصهيونية لذلك فجمعت الأموال لتشتري الأراضي في فلسطين، وتقيم عليها المستعمرات والإنشاءات وكان إغراؤها بالمال يتجه أولاً إلى كبار الإقطاعيين الذين يملكون مساحات واسعة من الأراضي في فلسطين. وكان من أرباح الصفقات التي فازت بها شراؤها مساحات واسعة من (مرج ابن عامر) من آل (سرسق) الصيارفة اللبنانيين بثمن بخس ما بين سنة (1922 و1925) وهو أخصب سهول فلسطين على الإطلاق.⁽¹⁾

وكان موقف العرب إزاء تملك اليهود للأرض واستيطانهم خليطاً من الذعر والسخط وتوقع الخطر الوشيك على الأوطان والأرزاق. فيما كان موقف اليهود مزيجاً من الفرح والشعور بالراحة وبلوغ الآمال وإشراق المستقبل، فليس للصهيونية وطن لتحزّره من احتلال أجنبي، وإنما أمامها بلد تحاول تملكه وشراءه كاملاً إن

(1) ينظر: عبدالرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 84-85

أمكن بمختلف الوسائل تحت رعاية سلطات الاحتلال البريطاني وبدعمها الكامل، فاستخدموا أسلوب الرشوة على نطاق واسع، وبذل اليهود كل غالٍ ونفيس ليتملكوا أرض فلسطين بتواطؤ بعض المسؤولين فيها.

وبهذه السياسة استطاع اليهود أن يحوزوا مساحات كبيرة من أخصب الأراضي وأجودها، ودفَعوا بأهلها العرب إلى البقاع المقفرة، وهدموا مواطن مجدهم التاريخي. وساق الاستيلاء السريع على الأرض إلى طمع اليهود في الاستيلاء على فلسطين كلها لإقامة الدولة اليهودية ودرح العرب خارج فلسطين ليعيشوا حياة التشرّد والشتات.

وكان للشعر في هذه الفترة وقفات طويلة مع تجار الأرض والسماسة معرّيًا زيفهم وكاشفًا ضعف نفوسهم وخيانتهم، فانبرى جيل من شعراء ما قبل النكبة لمهاجمتهم وفضح أفعالهم المشينة، وقد طبع هذا الجيل بالطابع القومي والحماسي والتحريضي.

وقف في مقدمة شعراء فلسطين إبراهيم طوقان، إذ كان يشعر بالمصير الذي تساق إليه بلاده حتى ليلمسه بيده لمسًا، ويراه رأي العين، ويحاول بمفرده أن يردّ عنها البلاء الزاحف، وهيئات أن يدفع فرد مصير أمة، فتأمل، أيها القارئ الكريم، كيف خاطب شاعر فلسطين الاحتلال البريطاني، عدو شعبه إذ قال⁽¹⁾:

أجلاءً عن البلاد تريدون فنجلو، أم محقنا والإزالة!؟

حقاً إننا اليوم ندرك الروعة في عمق الشعور لدى الشاعر طوقان من خلال هذا البيت وحده، إذ خرق حجب الغيب وأطل على المستقبل وبيّن لشعبه بخاصة وللعرب بعامة ما أراده البريطانيون واليهود قبل أكثر من عشر سنوات من وفاته عام 1941.

هذه الرؤية لمصير فلسطين ليست رؤيا حالم، وإنما هي استشراف للمستقبل تمّ له بصفاء الوجدان ولا أدل على شاعرية إبراهيم طوقان وصفائها من موقفه أمام مأساة بلاده التي كانت تجري فصولها في واقع الحياة من حوله، وكان خياله دائماً يحوم فوق خاتمته، فانطلق من رؤية الخاتمة، وراح ينادي باتخاذ الوسائل الكفيلة بعدم الوصول إليها: من نبذ الخلافات بين الأحزاب والزعماء، إلى الإخلاص في خدمة الوطن، إلى تعزيز

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص213

معاني البطولة في النفوس، إلى مقاومة التخاذل والاقْتداء بالشعوب التي تحافظ على حقوقها وتؤمن بأوطانها، وكان إبراهيم طوقان يرى في كل حادثة على الصعيد الدولي أو الصعيد الداخلي مناسبة يغتمها لتبنيه قومه وتحذيرهم من المخاطر التي تحيط بهم، فكان على رأس شعراء فلسطين الذين حذروا من خطر بائعي الأراضي وسماستها فدعا إلى وقف بيع الأراضي لليهود المستعمرين. قال في قصيدة (يا سِراة البلاد):⁽¹⁾

يا جناةً على البلاد بدعوى	الخير والبرّ، لا نعمتم رُقادا
قام من بينكم سماسرة السوء	فهل تشتكون ثمّ اقتصادا
في غَدٍ ينشأ الصغار فيبعون	تلاذًا وما تركتم تَلادا
بعتموه إلى العدو فمن أين	يلاقون ملجأً ومهادا
أنتم اليوم تزرعون فسادًا	وغدًا سوف يثمرُ استعبادا

خاطب الشاعر سراة البلاد وأسيادها واصفًا إياهم بالجناة المجرمين لما ألحقوه بها من شقاء وبؤس وضياح بدعوى الخير والبرّ، فصبّ سخطه بالدعاء عليهم بأن لا ينعموا في نومهم وحياتهم إذ وجد بين هؤلاء السراة سماسرة السوء الذين يتاجرون بالأراضي، ويبيعونها لليهود أعداء الوطن والعباد، وتجاهل أولئك السماسرة الخطر الكبير الذي سيلحق بالبلاد وأهلها نتيجة هذا العمل المشين الذي لا يقوم به إلا كل فاقد شرف ودين وعديم النظر لمستقبل بلاده ويتاجر بوطنه وشعبه لحساب مصالحه الشخصية التي ستبوء عليه وعلى أولاده من بعده بالدمار والخراب. فعندما يكبر الصغار لا يجدون إرث آبائهم وأجدادهم التليد جراء بيع الأرض لليهود عن طريق أولئك السراة السماسرة الخائنين، فيا للعار لكم أيها السراة الخونة فأنتم اليوم تزرعون الفساد والشر في البلاد، وسيكون ثمر هذا الزرع استعباد شعب فلسطين وتشريده من أوطانه.

والشاعر محمد علي صالح في قصيدة (ليلي وبلفور) سار على درب إبراهيم طوقان في هذا الموضوع

الذي لعب دورًا كبيرًا وخطيرًا في قضية فلسطين فحذر من خطر بائعي الأراضي وسماستها، فقال:⁽²⁾

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 58

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص 20

قل لهم سوف تلاقون غدًا بائع الأرض بواديكم خطر
وستغدون رفاقي طلبًا بعد هذا اليوم أفناه المطر

3- التحذير من خطر هجرة اليهود:

أشارت الباحثة في الموضوع السابق إلى السياسة الصهيونية التي سعت إلى تملك الأراضي في فلسطين لتهددها، وتنفيذ المشروع الصهيوني وفق ما جاء في وعد بلفور. وهناك أمر آخر أولته الصهيونية اهتمامًا ألا وهو العنصر البشري إذ هو المركز الأهم الذي ينهض عليه بناء الوطن القومي لليهود.

شغلت الهجرة اهتمام المستعمرين اليهود، فنشطت حكومة الاحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية في تهيئة الوسائل وتذليل الصعوبات لتسهيل هجرة اليهود وضمان تدفقهم على فلسطين، فارتفع عدد اليهود فيها من خمسة وستين ألفًا في بداية الاحتلال البريطاني 1917 إلى نحو عشرة أضعاف هذا العدد سنة 1948.⁽¹⁾

وكانت هذه الهجرة عملاً استبداديًا غير مشروع؛ لأنها كانت مخالفة لإرادة أهل البلاد العرب الشرعيين إلا أن حكومة الاحتلال كانت تعمل جاهدة لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.

وقد ضج العرب من هذه الهجرة، التي تهدد وجود الشعب العربي في وطنه، وكانت على حساب أقواتهم وأرزاقهم، فكانت الأرض تؤخذ من العرب ويحلّ اليهود محلهم بمساعدة سلطة الاحتلال ليقوموا باستثمارها والاستيطان فيها وقد تجاهلت حكومة الاحتلال رغبة ومشاعر العرب حتى أنها حاربت عودة أبناء فلسطين الغائبين إلى بلادهم.⁽²⁾

أدرك عدد من شعراء فلسطين ما يصحب الهجرة من غضب وقمع لتثبيت الوطن القومي اليهودي وبنائه وحمايته على أنقاض أرض أهل فلسطين الشرعيين، وأمام هذه الأخطار نطق الشعر بهواجس الناس حول أطماع اليهود، وقد عبّر الشاعر إبراهيم طوقان عن ذعر الناس من هذه الهجرة المتدفقة بطرق شتى ونبه

(1) ينظر، عبدالرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص 86-87

(2) ينظر حسني محمود، شعر المقاومة الفلسطينية، ص 95-100

إلى الكارثة التي تجرّها معها هذه الهجرة في أكثر من قصيدة، ففي قصيدة (زيادة الطين) شبّه شؤم الهجرة على البلاد بالطوفان الذي أغرق مدينة نابلس وضواحيها عام 1935م، رابطاً بينهما من حيث الخراب والفساد والتعاسة

فقال (1):

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعداً تلقيناه إيعاداً
واليوم من شؤمكم نبلى بكارثةٍ هذا هو الطين والماء الذي زادا

ومن الشعراء الذين حذروا من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ونبهوا إلى الخطر الذي يبيت لأهلها، وما يشكل ذلك من تهديد لحقوق العرب، الشاعر وديع البستاني، في قصيدته "الرد على الرصافي"، إذ قال (2):

أجل عابر الأردن كان ابن عمنا ولكننا نرتاب في عابر البحر
أيهجر أوروبا ليبنى بيته على قبة بين مهدي والقبر
عهدناك عباساً بوجه أعزةٍ فكيف لقيت الذل بالعز والبشر

نعم إنّ مَنْ جاء من اليهود عبر الأردن، وسكن فلسطين قديماً هو ابن عم لنا ولا نخشاه ولا نرتاب منه ولا عداء بيننا وبينه ولا يشكل خطراً على بلادنا وحياتنا، ولكنّ الخوف والحذر والريبة من أولئك اليهود الصهاينة الذين هجروا أوروبا لأطماع استعمارية وجأؤوا عبر البحر من أجل تنفيذ وتحقيق وعد (بلفور) وإقامة الدولة اليهودية في بلادنا وعلى حساب حقوقنا ولنهب خيرات بلادنا، فالحذر كل الحذر من أولئك اليهود الأشرار الذين لا تربطنا بهم أية رابطة، ولا يليق بك أيها الشاعر الكبير أن تبادلهم عبارات الود والاحترام، إنّنا عهدناك وعرفنا عنك يا شاعرنا العظيم أنك عبوس بوجه الأعزة الكرام، فما بالننا نراك وقد تغيّرت حالك، وقابلت الأعداء أهل الذل واللؤم والحقّد بالبشر والود؟! إنّ هذا العمل مشين يندى له الجبين.

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص214

(2) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص107

وممن سار على نهج الشاعر وديع البستاني، وحذر من خطر اليهود، وتدفعهم على البلاد وأن فلسطين قد ضاقت بهم ذرعاً، وأنهم رمز الشؤم والدمار والخراب، الشاعر محمد علي صالح في قصيدة (ليلى وبلفور) التي قال فيها⁽¹⁾:

هجرنا الغرب إلينا وامتلأ
سهلنا واكتظ ذرعاً ذا الوعد

وترى الباحثة أنّ إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين قائم على الاستيطان واغتصاب أوطان الآخرين وطردهم منها، ونقل اليهود الصهاينة من مختلف الدول إلى فلسطين وتوطينهم بدل السكان الأصليين. إذ أن الخطة الصهيونية تعرف منذ البدء أنها عنصرية طائفية لا تستطيع أن تتعايش بسلام مع الآخرين ولذا جندت القوى المختلفة لتنفيذ خطتها الماكرة بالاعتماد على البطش والإرهاب وممارسة الخداع والتضليل وتسخير الأموال لتسهيل الهجرة اليهودية والاستيطان، وشراء الأراضي والذمم، وخلق الأجواء المناسبة لاستمالة الرأي العام وإقناعه بعدالة الصهيونية وإنسانيتها.

ومن أوضح جرائم الهجرة الصهيونية على شعب فلسطين العربي امتلاك اليهود لأراضي العرب، وطرد الفلاحين منها، وإثارة المذابح الطائفية والعنصرية بين العرب واليهود، وتهديد الشعب العربي الفلسطيني بضياع وطنه ومصيره، وسحق الثورات الوطنية بالقمع والقوة العسكرية، وجعل فلسطين مسجلاً للدماء خلال 30 عامًا أثناء حقبة الاحتلال البريطاني لفلسطين، ولا يزال الجرح الفلسطيني ينزف حتى أيامنا الحاضرة.⁽²⁾

ثانياً: مهاجمة العدوان الأوروبي الغربي على فلسطين وتمثل في:

أ- شجب خيانة بريطانيا والحلفاء وتآمرهم على العرب وأهل فلسطين:

ترجع البدايات الأولى لفكرة إنشاء وطن خاص لليهود يجمع شتاتهم ويكون حارساً لمصالح دول أوروبا الاستعمارية في الشرق، إلى أواخر القرن التاسع عشر، عندما التقت المصالح الاستعمارية الأوروبية مع المصالح الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود، وقد وصلت المحادثات البريطانية الصهيونية ذروتها في خريف عام 1917، عندما أخذت وزارة الحرب البريطانية تبحث رسمياً في مسألة تحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين، وفي غضون هذه المفاوضات والمحادثات صدر وعد بلفور، وقد ظن بعض الدارسين لأول وهلة

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

(2) ينظر: عبدالرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص78-80

أنّ هذا الوعد كان عملاً بريطانيًا محضًا، لكن ما أثبتته الوثائق فيما بعد أظهر أن نص وعد بلفور كان قد عرض سابقًا على الرئيس الأمريكي (ويلسون)، وأنه وافق عليه قبل إعلانه، وفور إعلان هذا الوعد سارعت دول أوروبا وعلى رأسها إيطاليا وفرنسا إلى تأييده.

وفي شهر كانون الأول عام 1917 دخلت الجيوش البريطانية القدس بقيادة الجنرال (النبّي) الذي قال حينها مقولته الشهيرة "الآن انتهت الحروب الصليبية"⁽¹⁾.

وكان لصدور هذا الوعد وإعلانه رسميًا في الصحافة البريطانية وقع الصاعقة في البلاد العربية، وتراوحت ردود الأفعال عليه بين: الدهشة والاستنكار والغضب، فيما وقعت في فلسطين صدامات بين العرب واليهود، وتشكّلت جمعيات عربية ضد المشروع الصهيوني عندما أراد اليهود الاحتفال بمرور عام على وعد بلفور، فهذّب العرب بالتظاهر غير أن المندوب السامي البريطاني (هربرت صموئيل) هذّب بإلقاء القبض على كل عربي يتظاهر.⁽²⁾

لم يكن غريبًا أن تقف قصائد شعراء فلسطين عند الحقيقة المرعبة المسماة وعد بلفور، فتخاطب الاحتلال البريطاني المستعمرين وما جرّوه على البلاد من آلام وتشرد وويلات، بهجرة اليهود إليها، فما هو الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته (أرض الثورات) يهاجم بريطانيا ويشجب خيانتها وتآمرها مع الحلفاء على العرب وأهل فلسطين، قال⁽³⁾:

والخوف في إنجلترا

خوف التخلف والهزيمة

ألقى بسياستها فرائس

للمؤامرة... الوخيمة

(1) ينظر: محمد عزيز شكري، البعد الدولي للقضية الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، 13-10/6

(2) ينظر: المرجع نفسه، 13-10/6

(3) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص312

فمضوا يحيكون الدسائس

في معاهدة ... لئيمة

لفنائنا ... ولقتاننا

ولذلك أمتنا ... العظيمة

يهاجم الشاعر في هذه الأبيات بريطانيا المتآمرة على العرب، ويشجب فعلتها الخسيصة في معاهدتها اللئيمة التي حاكتها مع زعماء الصهيونية في أثناء الحرب العالمية الأولى.

والقارئ في قصيدة (أرض الثورات) يجد أن قائلها الشاعر **هارون هاشم رشيد** لم يهاجم ويشجب خيانة بريطانيا وحدها بل شجب وهاجم خيانة الحلفاء وغدرهم للعرب بعامة وأهل فلسطين بخاصة، فيقول:

وتلكم الحلفاء... أحلاف

الحسين... اليعربي

وتحدثوا .. عن حقنا

في حكم موطننا الأبوي

وتحدثوا... وتفننوا

في القول والكلم الوضي

وتمزقت ... آمالنا

في المجد والعيش الهني

ومضى... هباء كل

ما قالوا... وما قد فندوا

وتعاهدوا ما بينهم

لشقائنا ... وتعدوا

فإذا حقيقة أمرهم ...

سوداء ... يكشفها الغد

وإذا همو ... رجس

يمور به الشقاء.. ويزيد

قد قدروا تمزيق سوريا

وشطر ... الأردن

وبناء (إسرائيل) في وطن السلام المؤمن.

ها هي الخيانة تظهر على حقيقتها من بريطانيا وحلفائها، فأين وعودهم التي قطعوها للعرب على أنفسهم ساعة الحرب خوفاً من الهزيمة، فقد عضوا يداً مدت إليهم لتتقدم من الغرق وهذا ديدن الغرب في تعاملهم مع العرب. ولنا وقفة أخرى في قصيدة (أرض الثورات) تكشف لنا الخيانة والتآمر من بريطانيا وحلفائها،
فها هو الشاعر هارون هاشم رشيد يقول⁽¹⁾:

أو بعد هذا أيها الحلفاء!؟

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص317

يا أهـل ... الفتن؟!!

بعد السلامة ... تقلبون

لشعبنا ... ظهر المجن

وتقـررون لغيرنا

في أرض أمتنا وطن

أفـهذه... يا أيها الحلفاء

نصـرتكم إذن؟

أين الوعود سخية

من مكـمبون إلى الحسين

بل أين آمال السلامة؟

أين؟؟ يا حلفاء أين؟؟

كذب لعمري كل ما قد

قلتمو كذب ... وميـن

الشاعر في هذه الأبيات يتساءل مستنكراً ومتعجباً من جرائم الحلفاء وتآمرهم وخيانتهم ، فهم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وقد تحقق لهم النصر والغلبة قد قلبوا ظهر المجن للعرب ونقضوا وعدهم لمساعدتهم ونصرهم لنيل حقوقهم وحررياتهم، وليس هذا فحسب بل سلبوا فلسطين من بلاد العرب وأقروا فيها وطناً لليهود.

والشاعر عبدالرحيم محمود رأى عالمًا مجرمًا يتآمر لاغتيال شعب ووطن، فاندفع يجاهد بشعره وسلاحه،
قال في قصيدته (وعد بلفور): (1)

وبنت له أسيافاً صرحاً فلم يحفظ جميل العرب يا للمنكر!
في ذمة الرحمن صرعى جندلوا وعلى ثرى بدم الرجال معصفر
لما قضى وطراً بفضل سيوفنا نسي اليد البيضاء ولم يتذكر
وإذا الدم المهراق لا بمراقه جدوى ولا بنجيعة المتحدر

عندما جنى الحلفاء ثمار تلك الحرب نسوا يد العرب البيضاء التي مدت إليهم، وكان نصيب العرب
من هذا النصر الغدر والخيانة والتآمر على بلادهم وحرمانهم من نيل حريتهم، فكانت هذه القصيدة بمثابة جرس
إنذار ينبه فيها الشاعر بني قومه من غدر الحلفاء الشنيع الذي كانت نتيجته إعطاء فلسطين لليهود وكأنها
مدينة من مدنهم. ونلمس في القصيدة تهديداً ووعيداً للمستعمر الطامع في أرض العرب وفلسطين ونهب خيراتها.

وفي قصيدة (عيد الجامعة العربية) قال الشاعر (2):

مرت بنا الأيام بين تطل بغد فضاعت بالرؤى الأيام
ظلنا نقول غداً غداً هل حقت للائبين على غد أحلام
ظلنا نقول غداً يفيق ضمير من فقد الضمير ويعدل الظلام
ظلنا نقول حبايب ضربتهم مقبولة ما إن لها إيلام

(1) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص42

(2) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص25

إنّ رؤى شعب فلسطين وأحلامه قد ضاعت بعد أن مرت أيام طويلة والناس على أمل أن تحقّق بريطانيا وحلفاؤها ما وعدوه لهم بنيل حريتهم بعد أن تحمل عرب فلسطين الكثير من المصاعب في سبيل ذلك، ولكن هيهات لمن فقد الضمير أن يعدل، فكانت نتيجة الوعود للعرب كلها إيهام وكذب وغدر وخيانة وتغريب.

وشجب الشاعر عبدالرحيم محمود خيانة بريطانيا وتأمّر الحلفاء على العرب بأحجية فقال⁽¹⁾:

ذكر الراوي وطالت قصة	أمهلوني أرو عنه ما ذكر
نسي الشحاذ والكفر به	شيمة كم أنعم كبرى كفر
نسي المعروف من أسياده	إن نسيان يد إحدى الكبر
ورد البئر صدى حتى ارتوى	ثم ولى ورمى فيها الحجر
كان كالذئب تغذى حلبًا	من شياه فتعدى فبقر
أعمل المخلب في سيده	أما في طريق العقال عبر
من ترى يعرف ما أعني؟ نعم!	إنها ليس بحاج للفكر
إنها أحجية مكشوفة	كلكم يعرف مثلي ما الخبر؟

تصور هذه الأبيات نقض بريطانيا للوعود التي قطعتها للعرب قبل صدور وعد بلفور، وشجب هذه الخيانة والتأمّر على العرب، فيروي قصة الخيانة على شكل أحجية.

إنّ بريطانيا اعتادت المكر والخيانة في تعاملها مع العرب، ونسيت الساعة التي أعطت فيها وعودها للعرب عندما كانت في أمس الحاجة إليهم ليقفوا إلى جانبها في أثناء الحرب العالمية الأولى في محاربة الأتراك. ولكن ماذا كانت النتيجة؟

(1) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص99

بقرت بريطانيا بطن العرب بعد أن رضعت من حليبهم، وأعملت مخابها في جسدكم بعد أن قوي عودها،
فقد ارتكبت الكبائر في حق عرب فلسطين.

وشجب الشاعر إسكندر الخوري في قصيدته (حول وعد بلفور) خيانة وتآمر بريطانيا والحلفاء على
العرب، فقال⁽¹⁾:

مهلاً بني (التايمز) بالأعراب والأمل الوطيد
لا تعبتوا بالله بالود القديم وبالعهود
أيعبث بالود الذي ما بيننا كف الحسود
أو تؤثرن على العروبة ود ناعمة الخدود
أم أنكم قد بعتم ود الأعراب بالنقود
أولم نساعدكم على الأتراك والخصم اللدود
لولا تعشقنا لكم لبقيتم خلف الحدود
ولما دخلتم أرضنا بالإنجليز وبالهنود

شجب الشاعر السياسة البريطانية الساعية إلى تحقيق مصالحها على حساب العرب، إذ غدرت بهم،
ولم تف بعهودها لهم، ووقفت إلى جانب الصهيونية في تنفيذها لوعده بلفور، وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين،
على حساب شعبها وحرمانه من حقه في وطنه.

(1) إسكندر الخوري، مشاهد الحياة، ص246

وندد الشاعر إسكندر الخوري بخيانة بريطانيا وتآمر الحلفاء على العرب في قصيدة (ثورة فلسطين)⁽¹⁾،

قال⁽²⁾:

لم ير التاريخ خطبًا كالذي	دهم العرب وشقى المسلمينا
حسبوا العرب متاعًا يشتري	في فلسطين فراحوا يشترونا
ساوموا في مشترانا دولة	عبثت بالعهد لما عاهدونا
ثورة كانت صدى البيع على	أثرها بيعت نفوس الثائرينا
شهداء قَدّموا أرواحهم	ثمنًا أفسد عقد العاقديننا

تحدث الشاعر هنا عن مساعي المنظمات اليهودية لدى بريطانيا إذ سعت لأخذ وعد بلفور وراحت تشتري الأرض في فلسطين وتقيم مؤسساتها حولها، فانطلقت الثورة التي باع فيها الشعب الفلسطيني نفسه رخيصة في سبيل الحفاظ على وطنه وإفشال وعد بلفور.

و يرى الشاعر أنّ انطلاق الثورة كان ردّة فعل على سياسة بريطانيا العنصرية التي انتهجتها في فلسطين منذ احتلالها عام 1917، والتي تمثلت في تهيئة السبل لإنشاء الدولة اليهودية وحرمان عرب فلسطين من حقوقهم السياسية، وما ألحقته بهم من بطش وتكيل وبؤس وشقاء، فالشاعر شجب هذه السياسة الاستعمارية تجاه العرب التي لم ير التاريخ مثيلاً لها.

وقد سقط عدد كبير من الشهداء الذين أروت دماؤهم الزكية تراب فلسطين ليكون ذلك ثمنًا لنيل الحرية وتحقيق أمانى هذا الشعب الأبى الذي ضحى ولا زال يضحى لأنه يرفض أن يكون سلعة تباع وتشتري.

(1) عنوان هذه القصيدة يشير إلى ثورة عرب فلسطين الكبرى التي اندلعت نيرانها في صيف عام 1936، وبقيت ملتهبة إلى أواخر عام

1939

(2) إسكندر الخوري، العنقود، ص 99

وفي قصيدة (الجامعة العبرية) يستعظم الشاعر إسكندر الخوري أن يكون هدف الزيارة هو افتتاح جامعة بل هو أعظم من ذلك، فقال⁽¹⁾:

الله أكبر كل هـ ذا في سبيل الجامعة؟!
إن السياسة أوجد تها والسياسة خادعة
من لندن هرولت تضد رم نار هذه الواقعة

يؤكد الشاعر أن للجامعة العبرية في القدس أهداف سياسية لا تربوية، أولها وضع أسس للوطن القومي اليهودي الذي سيشعل نار الحرب في فلسطين.

كما ندد الشاعر محمد علي صالح في قصيدة (2 نوفمبر)، قال⁽²⁾:

لا يهضم الحق ما زلنا نطالبه فالحق أبلج وضّاح على البشر
لكن علينا بأن نسعى إلى عرضٍ بنفيه مسعى أولي الإقدام والنظر
وأن نكون حيال الغرب في حذرٍ فإنهم ورثوا منظومة التتر

يؤكد الشاعر أنّ حق أهل فلسطين في وطنهم واضح لا مرأى فيه لكنّه يحتاج إلى شجاعة وحكمة، شجاعة في قتال العدو الغادر وريث المغول، وحكمة في التعامل مع العدو والحذر من مؤامراته.

وشجب الشاعر وديع البستاني في قصيدته (الرد على الرصافي) خيانة بريطانيا وغدرها بحلفائها العرب، الذين أزروها في الحرب العالمية الأولى ضد الأتراك، قال⁽³⁾:

ففي الحرب أبلينا بلاءً موفقاً تسطر نوراً فوق ألوية النصر

(1) إسكندر الخوري، العنقود، ص106

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

(3) وديع البستاني، الفلسطيينات، ص104

وراقهم التقسيم أجراً موزعاً
وعز جهاد العرب عن ذلك الأجر
بلى فصموا وثقى العرى ليعولوا
على عروة في الرث تتبوا عن الزر
بلى قسّموها لا اثنتين وحيدةً
ولكن إلى خمس فخمس إلى عشر
فبغداد في قطر ومكة وحدها
وعكا في قطر وصيداء في قطر

لم يكن للعرب في نهاية الحرب أجر على ما بذلوه إلى جانب الحلفاء حتى تحقق النصر وأخذوا بلاد العرب غنيمة حرب من الدولة العثمانية بعد هزيمتها، فلم تحافظ بريطانيا على ودها وعلاقتها مع العرب، ولم تف بما أعطتهم من عهود ومواثيق لنيل حريتهم واستقلالهم بعد الحرب، في الوقت الذي حافظت فيه على علاقاتها مع الصهيونية، وشرعت في تنفيذ المشروع الصهيوني وبناء الوطن القومي لليهود في فلسطين على ما جاء في وعد بلفور .

ولم تقف هذه الخيانة عند فلسطين وحسب، وإنما تعدّتها إلى بقية البلاد العربية التي حرمت من الوحدة وقيام الدولة العربية، على الأراضي التي سلخت من الدولة العثمانية بعد نهاية الحرب، وأقدمت بريطانيا على تقسيمها إلى دويلات هزيلة، لا حول لها ولا قوة، فهناك دولة في بغداد وأخرى في لبنان، وأخرى في الأردن... والشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدته (يا وطني الأول) ندد بخيانة بريطانيا وغدرها بحلفائها العرب، إذ قال(1):

يا وطني الأول لسنت وطناً
إلا لتفريق الحديث المفتري
بريطانيا شيدت استقلاله
ودكت استقلاله بريطانيا
كم أطلعت من ألقها وقدها
أخت ثريا غيبوها في الثرى

(1) إبراهيم الدباغ، في ظلال الحرية، ص63

هنا يندد الشاعر بسياسة الكذب والتلفيق التي تعاملت بها بريطانيا مع العرب أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، إذ وعدتهم بالدولة العربية الكبرى المستقلة بعد انتهاء الحرب، ولكن هذا الاستقلال الذي شيده للعرب قد دكته وأبادته فلا وجود له في حياة العرب.

كما ندد الشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدة (صوت فلسطين) بخيانة بريطانيا وغدرها بالعرب فقال⁽¹⁾:

حتّام يخلبنا برق السياسة مشفوعاً برعد وغيث غير ممطور
وفيم يخدعنا مكر يكذبه ما يشهد العدل من إفك ومن زور

تساءل الشاعر متعجباً مستكزراً السياسة البريطانية تجاه العرب، فقال: حتام نبقي في خداع تغرر بنا السياسة البريطانية الكاذبة التي تشبه الرعد الذي لا يتبعه غيث ولا مطر؟! وإلى متى يخدعنا البريطانيون بكذبهم ومكرهم، فكفانا غدر وخيانة يا أمة العرب.

والشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدة "فلسطين الدامية" شجب أيضاً غدر وخيانة بريطانيا للعرب إذ

قال⁽²⁾:

العدل بشعر خيالي حقيقته في ذمة الظلم والتدليس والكذب
يظله باسمه القانون مبتدعاً يجري وينفذ فيها أمر مغتصب
يحرك النفس قانون له عرب وليس يحكيه قانون بلا عرب
تكاد أرجله تعدو بكل يد خفيفة اللمس قبل النبع والغرب
عداك يا حصن عدل القوم قائده وجنده وجنود الله في الطلب

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 42-36/2

(2) إبراهيم الدباغ، الطليعة، ص 88

وضح الشاعر في هذه الأبيات أن البريطانيين قد خرجوا عن قاعدة العدالة والوفاء بعهدهم للعرب، وحجتهم الواهية وعد بلفور الفظيع فإذا التزم البريطانيون جانب الوفاء بهذا الوعد فلا يكون التزامهم ملزماً أو مرغماً لأنوف العرب. فقلوب الشعوب لا تشتري بالوعد الكاذبة.

ويعجب الشاعر سليم اليعقوبي في قصيدة بعنوان (الغريون لا ينصفون) من موقف الغرب، ونكرانه للجميل العربي، فقال⁽¹⁾:

ما لأهل الغرب لما ينصفوا أهل الجهود
من بني الضاد وكانت منهمو كل الرقود
يوم كان الغرب يخشى في الوغى بأس الأسود

ووصل الشاعر من العجب إلى حد السخرية، حينما ذكر خيانة الغرب للعهد الذي قطعه على نفسه، ولم يف به، فقال⁽²⁾:

عاهدوا العرب ولكن لم يوفوا بالعهود
جعلوا العهد عقوداً ثم ضنّوا بالعقود

ب_ رفض الانتداب⁽³⁾ وشجبه:

قبل عام 1948 كانت بريطانيا الدولة العظمى الأولى التي وقفت إلى جانب المنظمات اليهودية العالمية وأيدت اتجاهاتها، وتبنت الحركة الصهيونية وحملت بإصرار عبء تحقيق أهدافها وأمانيتها بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

(1) سمير شحادة التميمي، حسان فلسطين: سليم أبو الإقبال اليعقوبي، ص166

(2) المرجع نفسه، ص166

(3) الانتداب: فكرة كانت ترمي إلى تقنين استعمار الأقاليم والشعوب التي سلخت من يد الدول المنهزمة في الحرب العالمية الأولى وتوزيعها كغنيمة حرب بين الحلفاء المنتصرين^(*).

*- ينظر: محمد عزيزشكري، البعد الدولي للقضية الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، 15/6-16

وعندما تحقق احتلال فلسطين أنشأوا فيها إدارة عسكرية لحكم البلاد، وقد بادرت هذه الإدارة منذ إنشائها إلى تسهيل استيلاء الصهيونيين على أراضي البلاد، أما نصيب العرب سكان البلاد الأصليين فكان الاضطهاد والحرمان من العمل السياسي فضلاً عن إيجاد الوسائل لجعلهم ضعفاء أمام السياسة الاستعمارية اليهودية.

وعندما وضعت فلسطين عام 1922 تحت الانتداب البريطاني، تجاهل صك الانتداب الذي فرض على فلسطين حقوق شعبها الفلسطيني الذي يفترض أن الانتداب أقيم من أجل إيصاله إلى الرفاهية والتقدم والاستقلال. ونال العرب من عنت السلطة المنتدبة وتعسفها واضطهادها ما نالهم، فقد حرّموا من كل حق في المساهمة والمشاركة في الإدارة والحكم والتشريع، وجعلت جميع الأنظمة والقوانين في خدمة المصلحة الصهيونية والاضرار بمصلحة العرب وكيانهم، وقد رفضت سلطة الاحتلال البريطاني إنشاء حكومة وطنية كان من المفروض أن تشكل في فلسطين، في حين قامت حكومات وطنية في الاقطار العربية الأخرى الموضوعة تحت انتداب مماثل مثل (سوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق).⁽¹⁾

وهذا دفع عرب فلسطين لرفض الاحتلال وشجبه والتصدي له. والدارس لشعر النكبة ومأساة فلسطين يجد كثيراً من القصائد التي تضمنت أبياتها رفضاً وشجباً للانتداب البريطاني، ومن أولى القصائد التي سأتناولها بالدراسة في هذا الموضوع قصيدة (أرض الثورات) للشاعر هارون هاشم رشيد يقول فيها:

طلعوا علينا بالجناية⁽²⁾

بالقرار... الأرعن

وبالاحتلال وبالوصاية

وحوت صكوك الاحتلال

جريئة... شتى الغرائب

وأتوا على الدنيا

(1) ينظر: المرجع نفسه، 6/10-16

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص315

بآلاف المصائب والعجائب

قالوا فلسطين تهيأ

لليهود ... بها المناصب

وتقام فيها ... دولة

أخرى تشاجر وتشاغب

يشجب الشاعر في هذه الأبيات قرار الحلفاء فرض الانتداب والوصاية على فلسطين، ويصور صك الانتداب بأنه جريمة وفيه الغرائب والعجائب فقد أتى بآلاف المصائب على أهل فلسطين وأرضها، أولها تهيئة فلسطين وطنًا قوميًا لليهود وآخرها جعل ذلك الوطن رأس حربية للغرب في المشرق الإسلامي.

ولا يكتفي الشاعر برفض الانتداب بل يعلن الثورة عليه باعتباره احتلالًا حتى دحره، قال:

رغم المدافع والحراب⁽¹⁾

سنزيح هذا الأجنبي

نزيل عار الانتداب

الموت حق في النضال

العرب أصحاب إرادة قوية لا تستسلم ولا تقبل الذل والهوان، وهم في الوقت نفسه لا يعتدون على أحد، إنما هدفهم طرد الأجنبي الباغي، فالشاعر مجدّ ثورة أهل فلسطين، في أسبابها وأهدافها، قال:

الحق ألهبها تريد⁽²⁾

عدالة وتحررا!

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص324

(2) المصدر نفسه، ص334

وتريد طرد الأجنبي

تريد طرد بريطانيا

بريطانيا تلك التي

تبغي لنا أن نقهرا

وتريد أن تعطي العدو

سهولنا والأنهرا

هذه سياسة بريطانيا الاستعمارية القائمة على قهر العرب وظلمهم، وسلب أرضهم لتكون وطننا لليهود الغرباء، ولهذا رفض العرب الجريمة التي ارتكبت بحقهم زورا وبهتانا وسميت الاحتلال البريطاني.

وقد رفض الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة (وعد بلفور) الاحتلال البريطاني، إذ قال (1) :

العرب ما خضعوا لسلطة قيصر	يوما ولا هانوا أمام تجبر
لا يصبرون على ذل مهما يكن	والحر إن يسم الأذى لم يصبر
غدر الحليف وأي وعد صانه	يوما وأية ذمة لم يخفر
تغلي الصدور وليس في غليانها	إلا نذير العاصف المتعجر
ولقد تصبرنا عليك فلم نطق	منك المزيد ولات حين تصبر
هذي البلاد عريننا وفدى لها	من ولد يعرب كل أسد هصر

(1) عبد الرحيم محمود، ديوانه، ص 39

يهدد الشاعر بريطانيا من خلال سرده ماضي أمته التي لم تخضع لمحتل فالعرب يرفضون هذا الاحتلال على فلسطين، عرين الاسود التي تضحي بأعلى أبنائها من أجل حريتها وكرامتها، فليس من طبع العرب قبول الذل والاهانة، والخضوع لسلطات القياصرة.

والشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدة (فلسطين الدامية) عبر عن رفضه للانتداب البريطاني في فلسطين بعد زعزعة الثقة ببريطانيا إذ قال (1) :

لما انتدبتم حسبنا خير منتدب	موفق وابتلينا شر منتدب
ملأتم الأرض من عدل وأغنية	عنه فهل أخذتها هزة الطرب
ردّد أغانيك في كل البلاد وخذ	ما شئته من حقول الأرض واحتطب
يظله باسمه القانون مبتدعًا	يجري وينفذ فيها أمر مغتصب

ندد الشاعر بالاحتلال وعبر عن رفضه له من خلال قوله : لما انتدبتم حسبنا خير منتدب، ولكن في الحقيقة ابتلينا بشر منتدب، هذا الاحتلال الذي ملأ الأرض كذبًا وزورًا بعدله، في الوقت الذي مارس فيه سياسة اغتصاب الأرض باسم القانون الذي ابتدعه ليجري وينفذ ما يريده من عدوان.

والشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في قصيدة (إيه يا يوم الثلاثاء)، عبر عن رفضه للاحتلال البريطاني، قال (2):

أيهذا الساكن الطور تحييه الوفود
لا يغرّتك زمان أقبلت في السعود
إنّما الريح إذا هبت لها يومًا ركود

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 88/2

(2) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، من فلسطين وإليها، ص13

وإذا ابيضّ نهار فالليالي هي سود

أبهذا حكم العدل وهل ترضى اليهود؟

خاطب الشاعر سلطة الاحتلال البريطاني التي اتخذت مدينة القدس مقرّاً للحكم، ويلاحظ في خطاب الشاعر نغمة الرفض والتنديد والوعيد، إذ قال لا يغرنكم ما أنتم فيه من القوة والتسلط على الشعوب المقهورة في زمان حالكم فيه الحظ، إلا أن الحياة والدنيا لا تستقر على حال، فالريح إذا هبت لها ركود، وبياض النهار يتبعه سواد الليل، وهكذا هي طبيعة الحياة تتغير وتتبدل.

ج_ التنديد بقرارات عصبة الأمم:

قبل أن تنتهي الحرب العالمية الأولى عام 1918 تمكنت بريطانيا بالاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا من إنشاء عصبة الأمم ووضع ميثاق لها، وقد وجدت دول الغرب المستعمرة في إنشائها لهذه المؤسسة سبيلاً لبلوغ هدفها، فضمنت ميثاقها فكرة الاحتلال شكلاً قانونياً يغطي الاحتلال، وفي الرابع والعشرين من شهر تموز عام 1922 اجتمع مجلس عصبة الأمم وقرر وضع فلسطين تحت الاحتلال، كما أقر في الاجتماع نفسه صكاً للانتداب البريطاني على فلسطين.

وظلت سلطة الاحتلال في فلسطين تنتهج سياسة استعمارية معادية للعرب لتنفيذ وعد بلفور وإنشاء دولة يهودية، وتعارض كل تدخل أجنبي وترفض نقل مسألة فلسطين إلى المحيط الدولي حتى عام 1946م حين أيقنت أن الظروف الدولية باتت مواتية لتحقيق إنشاء الدولة اليهودية، فرفعت قضية فلسطين بالتواطؤ مع الصهيونية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية إلى هيئة الأمم للنظر فيها، وفي أعقاب ذلك صدر قرار التقسيم في (1947/11/29) ، وبالرغم من أن بريطانيا تظاهرت بالحياد عند النظر في موضوع التقسيم وامتنعت عن التصويت عليه ليقينها بحصول المشروع على الأكثرية اللازمة، فإنها كانت في الحقيقة الفريق الأول والأساس في التخطيط، والإعداد لهذا التقسيم ومن ثم تحقيقه.

ولمّا اشتعلت الثورة الفلسطينية ضد التقسيم سارعت بريطانيا وقواتها المسلحة إلى قمعها ومساعدة اليهود بالرجال والسلاح⁽¹⁾.

وشجب الشاعر هارون هاشم رشيد تندد ما صدر عن عصبة الأمم من قرارات الخيانة والتآمر على شعب فلسطين، إذ قال⁽²⁾:

وتوقف التاريخ يكتب

ذلة المتآمرين

في عصبة الأمم الدنيئة

عصبة المستعمرين

وهناك طأطأ رأسه

خزيا من المتعاقدين

ومضى يسجلها سطورا

بالدماء وبالأنين

الانتداب على فلسطين

لقد مضى التاريخ مطأطئا رأسه يكتب ويسجل سطوراً يشوبها الذل والعار على دول الغرب التي عقدت اجتماعها في عصبة الأمم، لتقرّ الاحتلال البريطاني على فلسطين، فكانت جريمتهم التاريخية التي لا تغنفر على مرّ الدهور.

(1) محمد عزيزشكري، البعد الدولي للقضية الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، 6/12-15

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص316

فالشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور، وما صدر عن عصبة الأمم، ومن بعدها هيئة الأمم من قرارات وحتى الآن دفع ثمنًا باهظًا جدًّا ولا زال يدفع لمواجهة ما صدر من قرارات جائرة بحق شعب فلسطين.

ثالثاً: تصوير حياة الفلسطينيين

لجأ الشعراء الفلسطينيون في حقبة الدراسة إلى تصوير حياة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال البريطاني من خلال بيان ما ألحقته بهم حكومة الاحتلال البريطاني وجيشها وبقية أجهزتها من: قتل، وجرح، وأسر، وتشريد، وهدم منازل، ومصادرة أرض، وغيرها. ومن خلال بيان لؤم اليهود وخستهم. وقد تحدثت عن ذلك على النحو الآتي:

أ- وصف جرائم الاحتلال البريطاني

كانت محنة فلسطين مصدر وحي وجد فيها الشعراء مجالاً رحباً فاستوحوا كل مظهر من مظاهرها، وقبل أن نبدأ بدراسة القصائد التي صورت ما لحق بفلسطين وأهلها من بؤس وشقاء وتشرد وضياع نلقي نظرة سريعة على مظاهر هذه المحنة التي تتلخص في: أن البريطانيين وعدوا اليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين، ومن أجل هذا احتلوا في الحرب العالمية الأولى، وحكموا أهلها بالحديد والنار، وسخروا كل إمكانياتهم لإنجاز هذا الوعد، في أقصر مدة من الزمن، ولكن جهاد عرب فلسطين أخر تحقيق هذا الوعد، فخلال حقبة الاحتلال أغرق البريطانيون البلاد بسيل من المهاجرين اليهود وملكوهم أرض العرب، وأمدهم بأسباب القوة، وأذاقوا أهل البلاد ضروب الأذى وأنواع العذاب بعد أن أبعدهم عن تولي شؤون بلادهم، وحرموهم المناصب الرئيسية، فكتموا الأفواه، وأخرسوا الألسنة، وانتزعوا الأرزاق، وحصدوا الأرواح بالمدافع، وأعدموا بالرصاص، وعلى أعواد المشانق، وملؤوا السجون والمعتقلات بالآلاف، وشردوا ونفوا وأبعدهم، ودمروا المباني ونسفوا القرى، وفرضوا الغرامات، وسنّوا أقصى التشريعات، وفرضوا أشد العقوبات.

وعلى الرغم من كل هذا قاتل عرب فلسطين وخاضوا المعركة ضد البريطانيين واليهود، وقدموا مئات آلاف الشهداء والجرحى والمعاقين والمعتقلين.

ولقد أثرت هذه الأحداث في شعر أبناء المحنة أبناء فلسطين، ولم يكتف هؤلاء الشعراء بتسجيلها وعرض مظاهرها، ولو وقف شعرهم عند هذا الحد لقلنا إنه لم يصور محنة فلسطين ولم يعبر عنها وإنما نجدهم

عرضوا أسباب العواطف ودواعيها من حزن وفرح وحب وبغض وإعجاب واحتقار، وشجب وتنديد وحماسة،
ورسم طريق الخلاص.(1)

ومن الشعراء الذين استوحوا شعرهم من مظاهر البؤس والشقاء التي لحقت بالفلسطينيين على أثر
محنهم الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة (أرض الثورات) التي قال فيها:

تلاحقت في موطني طلائع الشرور(2)

حاملة إليه الشؤم والدمار والندير

وطني فلسطين الحبيبة

كل قلب كاد يفتـر

فالسخط في أعماقنا

يا أرضنا دوى تفجر

هذا شهيد في الطريق

وذاك في الأغلال يؤسر

والذل أفـرخ في ذرانا

والبغاث بها تنسـر

والشر إن الشر لـوح

كانت فلسطين مواطن السرور وأهلها يعيشون بسلام، وبيوتها كالقصور، ولما جاء وعد بلفور ذهب
الصفو والهناء، وجاءت طلائع الشرّ تحمل الشؤم والدمار، وبدأت قصتها الحزينة عندما سار البريطانيون
وحلفاؤهم في طريق الغدر والخيانة بحقّ شعبها، فكل قلب مخلص لفلسطين كاد ينفطر، فالغضب والسخط في
أعماق أهلها دوى وتفجّر، وهب كل الشعب من أجل النفير، مدافعاً عن حماه، فهناك من سقط في ساحة الوغى
شهيدا، ومن وقع في الأسر وقيدته الأغلال في سجون البريطانيين الطغاة.

(1) ينظر كامل السوافيري، الشعر العربي في مأساة فلسطين، ص355-359

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص320

ثم قال الشاعر في مقطع آخر من هذه القصيدة:

أين السلاح سلاح⁽¹⁾
دولة الانتداب مع اليهود
ساروا به يتتمّرون
ويعتدون على الأسود
يا للذالة يا لها
من دولة ترعى العهود
أعطتهمو حق التسلح
والتمرد والجحود
ومضت تهددنا
بأصناف المقاصل والقيود

ومضت تفتش في الكهوف
وفي الجبال وفي المنازل
عن ذلك الشعب القوي
وذلك الشعب المناضل

هل هنالك عنصرية أكثر من عنصرية البريطانيين ومحاباتهم لليهود؟! فهذه العنصرية والسياسة الاستعمارية الماكرة كان من ثمارها كل ما لحق بأهل فلسطين من شقاء وبؤس، وما حلّ بهم من مأساة، فدولة الاحتلال منعت عرب فلسطين من حمل السلاح في الوقت الذي حصل فيه اليهود على كل ما يريدون من سلاح وعتاد وبهذا السلاح ساروا يتتمّرون ويعتدون على العرب أسود البلاد.

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص343

وأخذت دولة الاحتلال تهتد وتتوعد كل عربي يحمل السلاح من أجل الذود عن حماه، ومضى جند البريطانيين يفتشون المنازل، والكهوف والجبال عن كل تائر يحمل لواء الشرف والحرية لشعبه وبلاده، وقد أعد البريطانيون المشانق والسجون للقضاء على إرادة شعب فلسطين المناضل القوي وحرمانه من نيل حرته واستقلاله.

وصور الشاعر هارون هاشم رشيد مشهداً آخر من مشاهد البؤس والشقاء التي لحقت بعرب فلسطين على يد المحتلين، فقال⁽¹⁾:

ومضت فيالقها تدمر
في القرى حرقاً وهدما
فتروع الودعاء تشتيتا
وتشريدا ويتما
كم أفزعت تحت الظلام
بجيشها طفلا وأما
كم أحرقت... كم دمرت
كم هزت الأحياء رجما

كانت قرى ومع الصباح
ركام أنقاض ترى
أين القرى؟ بل أين؟
يا أحرار مكان القرى؟

هذه أبيات شعرية غاية في روعة التعبير، تعكس الواقع الذي عاشه عرب فلسطين في عهد الاحتلال البريطاني لبلادهم، ففيها تصوير لأشكال التكيل والبطش التي مارسها البريطانيون أثناء احتلالهم فلسطين

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص335

وسعيهم الحثيث لتنفيذ وعد بلفور، جادين بكل الطرق للقضاء على هبة شعب فلسطين الذي انتفض في وجه حكومة الاحتلال البريطاني.

أما المشهد الأخير من قصيدة (أرض الثورات) فكان تسجيلًا دقيقًا يعكس مظاهر الرعب والعذاب التي أذاقها الإنجليز المحتلون أهل البلاد قال الشاعر:

يا للنساء الوالعات⁽¹⁾

وراء أستار السواد

أطفالهن مروّعين

من البنادق والجياد

ومن الحوافر في الدروب

تدق أشلاء العباد

ومن السياط الكاتبات

على الظهور بلا مداد

من مظاهر الرعب والعذاب التي أذاقها الإنجليز لأهل فلسطين: نساء خائفات في خدورهن، أطفال مروّعين من مناظر الجنود وأفعالهم، تعذيب الكبار.

وفي مقطع آخر من القصيدة عبّر الشاعر بسخرية وتحذّر يبلغ مداه لجيش المستعمرين البريطانيين،

فقال:

هاتي بريطانيا بقية⁽²⁾

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص337

(2) المصدر نفسه، ص338

جيشك المستعمر
وتحكمي في الأمنين
الوادعين تجبري
واستبدي واغدي
هيا انصبي سود المشانق
للشباب النير

هاتي الجنود وطوقني
(حلحول) بالجيش الكبير
فالليل فيها وادع
النسمات هيمن العبير
وصغارنا رقدوا مع
الأحلام في نوم قرير
هاتي حرابك أفزعهم
بالبنادق والصريير

ثم عبر الشاعر في مقطع آخر عن أثر جرائم الاحتلال وصداها، فقال:

حلحول صبرًا إن⁽¹⁾

في سلوان تدمير ونار

وفظائع للانجليز

تهز أفئدة الحجاز

الإنجليز مع الظلام

على ساكنها أنمار

(الفرقة السوداء) تعصف

بالشيوخ .. بالصغار

جاءت لإيقاظ النساء

على البنادق والغبار

وعلى اللظى المشبوب

يلتهم المساكن والديار

حلحول أختك (سيلة الظهر)

القوية لا تزال

رغم العداة الغاديين

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص340

قوية مثل الجبال

إن البؤس والشقاء والدمار والتشرد والضياع الذي ابتلي به عرب فلسطين أثناء الاحتلال البريطاني لبلادهم، يملأ القلب كرهاً واشمئزازاً لهذا العدو الخبيث، الذي امتلأ صدره غدراً وخيانة لشعب فلسطين الآمن في وطنه قبل أن تدنس أقدام الاحتلال ترابه الطاهر الذي ارتوى بدماء الشهداء منذ قرون خلت، فما أن وطأت أقدام ذلك المحتل الماكر أرض فلسطين حتى أخذ يكشر عن أنيابه ويسير في ظلمة الليل تحت قرقعة السلاح، يدخل إلى القرى والمدن العربية الآمنة، ينشر الرعب ويروع من فيها من أطفال وأمهات بسياطه التي تخط بلا مداد عبارات الحقد والكراهية على ظهور شباب فلسطين الأحرار، الذين رفضوا الذل والاستكانة لهذا العدو الخائن.

ولم ينس الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة (زيادة الطين) أن يسجل ما حلّ بوطنه من شؤم ودمار وخراب عندما احتله الإنجليز، فقال:

منذ احتلتم وشؤم العيش يرهقنا
فقراً وجوراً وإتعاساً وإفساداً⁽¹⁾

خاطب الشاعر في البيت السابق البريطانيين معتبراً احتلالهم بلاده نذير شؤم، فقد ربط بين ما حلّ ببلاده من جور وظلم وفساد وفقر وإرهاق للعيش، وما حدث من طوفان في مدينة نابلس وضواحيها عام 1935م. والشاعر في قصيدة (رثاء أبي المكارم) رغم موضوع الرثاء الذي تناولته القصيدة إلا أنه أشار في بعض أبياتها إلى ما لحق بالبلاد من شر، وما عاش فيه الناس من ويلات على يد الاحتلال البريطاني الظالم، قال⁽²⁾:

هل في فلسطين بعد البؤس من دعة أم للزمان ابتسام بعد تقطيب

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 214

(2) المصدر نفسه، ص 230

ومن الشعراء الذين صوروا حال البلاد أثناء الاحتلال البريطاني، وعكست أشعارهم الواقع المرير الذي عاشه الناس بعد صدور وعد بلفور الشاعر محمد علي صالح، قال في قصيدة (ليلي وبلفور)⁽¹⁾:

أنا لا أندب قصرًا شدته أو رجالا بلغت حد الكبر
إنما أندب أطفالا بلا موطن يأوون فيه أو مقر
خبّر الأعراب عن ليلي وقل إنها ليست بحسن يذكر
غادر الحسن محياها وقد كانت الحسنة في كل البشر

تعكس الأبيات السابقة إحساس الشاعر العميق تجاه ما حل بوطنه أثناء الاحتلال البريطاني، فكانت بلده فلسطين غادة جميلة، والحسن ظاهر على محياها بما يميزها عن غيرها من البلاد، ولكنها بعد أن انتهك الاحتلال حماها تبدّل حالها، وعاشت حياة الشقاء لما أوقعه الإنجليز بأهلها من عذاب وويلات، والشاعر حزين، وأشد ما يحزنه أنه يرى أطفال فلسطين أصبحوا مشردين بلا مأوى يأوون إليه، وحرموا من العيش في أحضان وطنهم الذي سلب منهم غصبا وزورا، وسكنه اليهود الدخلاء.

وفي قصيدة (أحاجي) لعبد الرحيم محمود تصوير لما لحق بشعب فلسطين من بؤس وشقاء على شكل أحجية، قال فيها⁽²⁾:

ومشى المحروم في روض المنى واشتهى لو نال من بعض الثمار
كلما مد يداً يجني انتثت يده ملأى بغرم وخسار

تعكس الأبيات السابقة حال الفلسطيني الذي يعاني من الحرمان، بعد أن احتل البريطانيون وطنه، فهو يمشي فيه كمن يمشي في روض مليء بالثمار، ولكنه محروم من أكلها، فنفسه تشتهي لو نالت بعضها، إلا

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

(2) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص99

أنه يقف عاجزاً لا يستطيع تحقيق مناه، فكلما مدّ يده ليحني ثمرة انثنت يده ورجعت ومنع من غايته واتهمه من حوله بالسرقة، فيا ويله وخسارته.

وفي قصيدة (الداء والدواء) للشاعر حسن البحيري، تصوير جديد لما لحق بأهل فلسطين من بؤس وشقاء على يد الاحتلال البريطاني الذي أخذ يعمل جاهداً بعد احتلال البلاد عام 1918 لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة اليهودية. قال الشاعر⁽¹⁾:

الشعب يتقله الضنى	وينوء بالأغلال جهدا
والفقر يغمره بما	يُيكى فؤاد الصخر وجدا
والجهل يلبسه من	الآلام والأسقام بُردا
والياس دون مناه في	سُبل الحياة يقوم سدا
فالحق يؤخذ بالصفاح	تؤدها الأبطال أدا

الشاعر حذر شعبه من المخاطر التي جعلته يعيش حياة الفقر والجهل والضنى مثقلاً بالأغلال والقيود في سجون الاحتلال البريطاني مما ييكى فؤاد الصخر. والشاعر وضّح لشعبه طريق الخلاص مبيناً أن الحق لا يؤخذ إلا بقوة السلاح وتضحيات الأبطال والشهداء، فالمجد والكرامة لا تكون إلا للقوي، فلا كرامة ولا مجد للضعيف.

والشاعر إبراهيم الدّباغ في قصيدة "فلسطين الدامية" صور ما لحق بالفلسطينيين من ويلات وبؤس على يد الاحتلال البريطاني واليهود الصهاينة إذ قال⁽²⁾:

يا دار حزني وآلامي ومنتجعي	لا دار أنسي ولا كأسى ولا طربي
تطيب ذكراك في سمعي يرتلها	قلبي فيشقي بها حظي ولم تطب

(1) حسن البحيري، الأنهر الظمأى، ص 67

(2) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 88/2

تجول ذكراك في صدري فأقذفها	سخطاً على القوم أو شعراً مع الشهب
أمست فلسطين أما جدّ جازعة	على ابنها يوم سيم الضيم كل أبي
قوم غضاب لحق قد تقسمه	أيدي العدا بين جبار ومنتهب
إبك الدّوارس منها إن جزعت لها	بأدمع الغيدق الهطال وانتخب
تحت الرغام أباة الضيم من بطل	حرّ وشيخ وطفل مثخن وصبي
وارحمتا لهم في الردم غالهم	على الطوى فقد أم برة وأب
إن يستغيثوا يغاثوا باللظى كرما	وقد يداوى عضيض الكلب بالكلب

لقد عبر الشاعر في الأبيات السابقة عن مشاعره وأحزانه العميقة لما أصاب بلاده من ويلات ومصائب على أيدي الاحتلال البريطاني والصهاينة، فتبدلت حال الدار من أنس وطرب ومرح إلى دار حزن وآلام وذلك إثر ما قام به عدوهم من اعتداء على الأرض من سلب ونهب، وما مارسه من سياسة البطش والتكيل بأهل البلاد الشرعيين، فهدم العديد من القرى والبيوت، وشرد من فيها من أصحابها العرب مما ألحق النذل والهوان بالشيوخ والنساء والأطفال الذين عانوا من الجوع أو اليتيم لفقد أم برة وأب.

ب) وصف جرائم المنظمات الصهيونية

مع بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939 كان الرأي العام في العالم الأوروبي والأمريكي يكره ألمانيا وإيطاليا (النازية والفاشية) ويعتبر كل من يعمل معهما عدواً للغرب. واعتماداً على هذا الشعور، واستغلالاً له انطلق اليهود لإثارة الرأي العام العالمي ضد الفلسطينيين، يشنون حملات قاسية، ويسندون إليهم تهمة التعاون مع النازية والفاشية، فوجدت هذه الدعاية المسمومة أرضاً خصبة لشرورها وأكاذيبها في الغرب، وشعر اليهود أن نتائجها ستدفع الغرب كله وبريطانيا خاصة إلى التمسك بمشروع وعد بلفور، والتسريع في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.⁽¹⁾

(1) ينظر: إيميل الغوري، فلسطين عبر 60 عاماً، ص 170-171

هذه سياسة اليهود القائمة على الدعاية والإعلام الكاذب، فالدعاية المسمومة ليست بالشيء الجديد عليهم، وإنما هي ديدنهم على مرّ العصور، ففي عهد الاحتلال البريطاني لفلسطين عندما قامت الدعاية الصهيونية بدورها لتحقيق وعد بلفور، وإنشاء الدولة اليهودية على أرض الآباء والأجداد زوراً وكذباً، نشرت الجريدة اليهودية (دوار هايوم) قصيدة لشاعر اليهود (رئوبين) نقلتها إلى العربية جريدة (فلسطين)، وعنوان القصيدة (أنشودة النصر) أتى فيها الشاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين، مشيداً بذكر اليهود وشجاعتهم، مزرياً على العرب (أبناء هاجر وإسماعيل) وحشيتهم متهماً إياهم باللصوصية وقطع الطرق، وبأنهم أهل خيانة وغدر، فهذا الافتراء الكاذب يعكس نفسية اليهود المريضة وما تتسم به من الخسة والذل واللؤم، ويشهد القرآن الكريم عليهم بأنهم بدّلوا كلام الله تعالى، فكتاب (التوراة) الذي يعتمدون عليه الآن في مزاعمهم وافتراءاتهم ما هو إلا من نسج خيالهم وأمهات أفكارهم، قال تعالى:

" فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ " (1)

وقد نظم شاعر فلسطين إبراهيم طوقان قصيدة عنوانها (رد على رئوبين شاعر اليهود) وهي ردّ على قصيدة (أنشودة النصر) التي سبق وأشرت إليها في مقدمة هذا الموضوع، قال الشاعر (2):

أي رئوبين أين ألواح موسى	والوصايا فكلهن قويم
وعكستم آياتها فإذا القتل	والفسق فيكم عميم
وهضمت حق الجوار وصحتم	أيها الناس حَقُّنا مهضوم
كلكم شاهد على الحق زوراً	هل أتاكم من شأنه تحريم
ناد أبطالك الذين تواروا	في الشبايبك إنهم لقروم
يرقبون الأطفال منا فإن	لاحوا رموهم فهالك وكليم

(1) البقرة، 79 / 2

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص113

نادهم يقذفون القنابل واصرخ
شعب صهيون أعزل مظلوم
أي رؤبين أي شعب تنادي
إن رباً أباده لحكيم

لم يتعرّض الشاعر في هذه الأبيات وباقي أبيات القصيدة كثيراً إلى الحوادث بقدر تعرضه إلى تاريخ اليهود وما عرفوا به من قبل وما هم عليه اليوم من الادعاء الباطل واللؤم والغدر ونكران الجميل، مما يناقض كل ما ادّعه شاعر اليهود في (أنشودة النصر) وما وصف به قومه من المزايا والأخلاق.

فالأبيات السابقة تعكس صورة حقيقية لطباع اليهود وما جبلوا عليه من خيانة وتزوير للحقائق، وما اعتادوا عليه من مكر، والشاعر خاطب (رؤبين) قائلاً له إن الرّب الذي أباد الشعب اليهودي وجعله يعيش حياة الشتات لأكثر من ألفي عام خلت إنه لربّ حكيم عليم.

وقصة أصحاب السبت التي ذكرها القرآن الكريم من الشواهد على حيل اليهود وكذبهم، وعدم الاستجابة لأمر الله تعالى، قال تعالى:

" وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " (1).

وتناول الشاعر هارون هاشم رشيد تاريخ المؤامرة الصهيونية على فلسطين منذ انعقاد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا عام 1897 الذي أقر فيه اليهود أن تكون فلسطين مقراً للدولة اليهودية، وسمّوها أرض إسرائيل، فقال الشاعر (2):

في بال في سويسرا هناك تجمعوا

من كل أنحاء الوجود تجمعوا

مثل النفايات التي يلقي بها المستنقع

الأرض من إجرامهم تتزعزع

(1) البقرة، 65 / 2

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص308

والظلم من أعماقهم يتوزع

والذل فوق ظهورهم يتربح

واليوم...

ماذا يا ترى؟

في بال ماذا يرسمون؟؟

ماذا تراهم يصنعون؟ المجرمون الآثمون

يتآمرون على الوجود بشعبهم يتآمرون

ومع الخيالات الدنيئة يسرحون ويسبحون!

حكماء إسرائيل ماذا؟ غير درب الشر ماذا

يرسمون؟

والعالم المسكين غاف ليس يدري ما يكون

أعمى يسيره الصهاينة الكلاب الماكرون

وإلى الدمار به وبالدينا الجهولة يدفعون

قد قرروا في بال تدمير الكنائس والمساجد

قالوا سنمتهن الشرائع والمحارم والعقائد

قالوا سنزرع إذنا سرنا المظالم... والمفاسد

سندمر الدنيا... سنتركها مجامر أو مواقد

ولسوف نحكمها ونظلمها ونملأها مكائد
ولسوف ننصب عبر مشرقها ومغربها المصائد
سنكيل للأحرار ضربات ... سنتركهم طرائد
ولسوف نحمي الفاسدين المفترين... من الأماجد
ولسوف نورد كل مَنْ يطغى على أحلامنا أفسى الموارد
سنسير والشيطان حاد في الدروب لنا وقائد

قد قرّروا بالمال أن يستعبدوا كل البشر
قد قرّروا أن يشتروا حتى الضمائر والفكر
حتى الصحافة والاذاعة والخيالة والصور
بالمال قالوا سوف نحكم سوف نمتهن البشر
سنذل الدنيا سنحكمها سنملأها شرر
ونكون نحن الراجحين الناجحين لنا الظفر
بالمال سوف نذل الدنيا جميعاً والبشر

(يا هوه) شاء بأن يكون الناس خداماً لنا
وبأن تكون الأرض كل الأرض من أملاكنا
وبأن يجوع الناس كي يرضى ويهنأ شعبنا

وبأن يذوق الذل كل الكون إلا قومنا

(يا هوه) شاء وسوف نبلغ ما أردنا بعزمنا

بالمال بالإرهاب بالإفساد في كل الدنيا

بالفتك بالتدمير نبلغ ما نريد وبالخنا

سنبيع في سوق الرذيلة كل شيء عندنا

وسنشترى كل الوجود سنشتريه بمالنا

كتب الشاعر هارون هاشم رشيد قصة بلاده وما حيك حولها من مؤامرات تجسّد حقد اليهود ولؤمهم ومكرهم ليرونها للأجيال على مر الزمان، وهذه القصة المأساوية لم يكتبها بالمداد كما تكتب القصص عادةً وإنما كتبها بدمه الثائر ليعبر عن إحساسه العميق ومشاعره الملتهبة تجاه ما حل بوطنه وشعبه الحبيب من ويلات وإرهاب، فصور في الأبيات السابقة لؤم اليهود وحقدهم الدفين منذ آلاف السنين تجاه شعوب الأرض بعامة والشعب العربي والإسلامي بخاصة، فبعد أن باء اليهود بلعنة ربهم في العالمين وتشتتوا في مختلف بقاع الأرض قبل أكثر من ألفي سنة، عادت جماعة منهم لتجتمع وتعدّ مؤتمراً في مدينة بال بسويسرا عام 1897م لترسم مؤامرة إجرامية ضد أهل فلسطين لتكون وطناً لليهود بعد أن يشرّدوا شعبها، فكل ذلك ينم عن لؤم وحقد دفعهم لارتكاب جريمة نكراء تنتزع الأرض من أهلها، وكل ذلك نابع من خيالهم الدنيء، الذي يسرح ويسبح فيه حكماء إسرائيل الذين شقوا طريق الشر للعالم كله.

والشاعر وديع البستاني رسم صورة أخرى للؤم اليهود وخستهم في قصيدته (الرد على الرصافي) إذ

قال(1):

هنالك سرر والحقيقة بالجهر

هنالك للإسلام أول قبلة

وفيه نصلي في العشيّة والفجر

فهيكلكم يا للكرامة مسجد

(1) وديع البستاني، الفلسطينيات، ص104

فما بالكم تبكون خلف جداره وتذرون هاتيك على الصخر
فما بالهم تاهوا وضلوا وضلوا ولم يفقهوا ما جاء في حكمة السفر
(أورشليم) دار الحشر والنشر حولها تقومون في يوم القيامة والحشر

فالمسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى في صلاتهم ويصلون فيه لله تعالى ويذكرونه ويسبحونه وذلك مما يعطي هذا المكان قدسية وكرامة كبيرة، إلا أن اليهود لا يقرّون بذلك ويسمونه جبل الهيكل زوراً وكذباً ويعتدون على قدسيته وطهارته ويسعون لتدنيسه بأجسادهم وأقدامهم ويزعمون أنه بني على أنقاض هيكل نبيهم سليمان، عليه السلام، فهم ينكرون حق المسلمين في مسجدهم، ويسعون لخرابه وهدمه وبناء هيكلهم المزعوم مكانه، بدافع اللؤم والحقد الدفين في صدورهم فهم تائهون ضالون مضلون لغيرهم، ولم يفهموا ما في كتابهم المقدس، فأنكروا أن القدس هي أرض المحشر والمنشر يوم القيامة، فلا يراعون قدسية هذا المسجد الذي تنزل فيه قرآن كريم من فوق سبع سماوات.

رابعاً: الحز على الثورة والكفاح المسلح لمقاومة الاستعمار والصهيونية.

أ- استنهاض الهمم:

رافق الشعر الفلسطيني الثورة، ومدّها بالقوة، فقد كان الشعراء الثوريون يشكلون خطراً يهدد حكومة الاحتلال البريطاني في فلسطين، وكانت أشعارهم أسلحة يحسب لها المستعمر كل حساب، لما تحمله من توعية للجماهير وتنويرها، فعمدت حكومة الاحتلال البريطاني إلى مطاردة الشعراء والأدباء وضيق عليهم الخناق، وأصدرت ضدهم أحكاماً جائرة لخنق أصواتهم.

ودعا الشعر الفلسطيني في حقبة الاحتلال البريطاني إلى الكفاح المسلح والرفض للمستعمر، كما قاوم الضغوط الاقتصادية والسياسية والثقافية التي مارسها المستعمر للسيطرة على مقدرات الإنسان الفلسطيني، والقضاء على شخصيته واقتلعه من تراثه ووطنيته، واستمر الشعر يدعو للتحرر والاستقلال وتماسك الصف والارتقاء بالوطن عن كل المطامع الاستعمارية، ونقله من حالة التخلف والانطواء إلى حالة أخرى من التقدم والانفتاح، وهو المسؤول كذلك عن تأسيس القاعدة الجماهيرية الواعية التي تؤمن بأبعاد الثورة.

وكان من أهم العوامل التي عملت على التهيئة النفسية للثورة ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية، واستنهاض الهمم والدعوة إلى المقاومة، دعوة الشيخ المجاهد عز الدين القسام إلى الجهاد، فقد تولى الخطابة في جامع الاستقلال بحيفا عام 1925 وبهذا امتك أداة فعالة استخدمها في اطار مخططه الجهادي فجعل من دروسه في المسجد وسيلة لاستنهاض الهمم، وصقل النفوس، وتهيئتها للثورة ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية، وقد جعل القسام من انتهاك الإنجليز لإنسانية العرب واعتدائهم على شبابهم بالإعدام والسجن بعد هبة البراق عام 1929 موضوعاً لخطاباته في المسجد.

وعمل الشيخ إلى جانب الخطابة على توسيع قاعدة اتصالاته بالسكان العرب من خارج حيفا وقضائها، فقام في شهر أيار عام 1928 بتأسيس فرع لجمعية الشبان المسلمين في مدينة حيفا لتقوم بإذكاء الروح الوطنية في البلاد، ونستطيع القول إن نشاط الشيخ القسام كان له دور كبير في إنجاز مهمة التهيئة والتحصير للثورة المسلحة. فقد كتب أحمد الشقيري في مذكراته : "وقد مضت بضعة شهور والبلاد تترنح بين دعوات الأحزاب ومهاتراتها حتى قبل عام 1935 وانطلقت دعوة الثورة والجهاد على يد عالم جليل ومجاهد كبير خط بدمه الزكي صفحة جديدة في تاريخ النضال"⁽¹⁾

ومن الشعراء من واصل خطّه الواضح في المزاجية بين النضال الفكري والعسكري فكان عبد الرحيم محمود شاعرًا ومناضلاً يغذي الثورة بزاد فكري، فهو من الأعلام البارزين في الحقبة بين (1930 و1948) فإنه مع الشعارين إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي يعدون في طليعة الذين أناروا عقول شعب فلسطين ودعوا في قصائدهم إلى استنهاض الهمم وحثوا على الثورة والنضال عام 1936 ضد الاحتلال البريطاني واليهود⁽²⁾.

ومن نماذج شعره التي حثّ فيها على استنهاض الهمم ودعا إلى الثورة والكفاح المسلح ما جاء في قصيدة (عيد الجامعة العربية) التي قال فيها⁽³⁾ :

نحن الضحايا لا نريد مثوبة وأقلها التعريف والإعلام

(1) ينظر : سميح حمودة، الوعي والثورة، دراسة في حياة وجاهد الشهيد عزالدين القسام، ص 57-61

(2) ينظر : محمود الشلبي، عبد الرحيم محمود شاعرًا ومناضلاً، ص 36

(3) عبد الرحيم محمود، ديوانه، ص 25

أو ليس من دور لنا نلهي به إلا وداع حافل وسلام
قل لا واتبعها الفعال ولا تخف وانظر هنالك كيف تحنى الهام
اصهر بنارك غل عنقك ينصهر فعلى الجماجم تركز الأعلام
وأقم على الأشلاء صرحك إنما من فوقه تبني العلا وتقام
وأغصب حقوقك قط لا تستجدها إن الأولى سلبوا الحقوق لثام
هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قلبك القسام

في الأبيات السابقة انطلق صوت الشاعر مذكراً العرب بخيانة بريطانيا وغدرها بهم وبسياسة التدليس التي انتهجتها لتنفيذ وعد بلفور، بعد أن انكشف القناع عن الخديعة والتغريب بهم، وما تبع ذلك من بؤس وويلات حلت بالعرب بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد خاطب قادة العرب الشرفاء ليقوموا بدورهم تجاه فلسطين وشعبها، وتوعية الأمة وتعريفها بالمخاطر التي تحيط بها من قوى الاستعمار والصهيونية، وإلى جانب هذه الدعوة يستنهض همم شعبه، ويزرع في نفوسهم روح المقاومة والنضال والثورة، والابتعاد عن مجرد الأقوال والاحتجاجات التي لا تجدي نفعاً مع هذا العدو الماكر الذي لا يفهم إلا لغة القوة، فراية الحرية لا ترتكز إلا على جماجم الشهداء، ولا يفك القيد ولا يصهر الاغلال إلا حمل السلاح ومواجهة العدو بالنار، وعلى الشعب الفلسطيني أن لا يحيد عن طريق الجهاد، فقد سار فيه من قبل الشيخ المجاهد عز الدين القسام، طيب الله ثراه، الذي خطّ بدمه الزكي صفحة جديدة في تاريخ النضال والكفاح المسلح .

ودعا الشاعر هارون هاشم رشيد إلى استنهاض همم الشعب لمقاومة الاستعمار والصهيونية بالنضال والكفاح المسلح والثورة لاستعادة الحق بالقوة والبعد عن الاستجداء، إذ قال⁽¹⁾:

شهداء يافا ... الأبرياء

لواء ثورتنا ... المطهر

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص320

شهداء يافا... جلجلي
يا أرض... فالبركان زمجر
فالموت ... ليس يخيفنا
كلا وليس الموت يقهر
وتكلم ... الشعب الكبير
وهب ... للشهداء يثار
الموت حق في النضال
عن المصائر والرغاب

أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى الثورة التي اندلعت في مدينة يافا في شهر آذار عام 1921 على أثر السياسة العنصرية التي عملت بها سلطة الاحتلال البريطاني، إذ فتحت أبواب الهجرة لليهود ووقفت إلى جانبهم ضد مصالح العرب السكان الشرعيين في البلاد، فقد انقضت سكان يافا على مركز المهاجرة الصهيونية، وقتل بعض اليهود، ثم هجم الثوار العرب على المستعمرات اليهودية بين يافا وطولكرم، وكانت القوات العسكرية والبوليس البريطاني إلى جانب اليهود.⁽¹⁾

فمجد الشاعر شهداء يافا الذين أشعلوا لهيب الثورة، ومن ثم أخذ يستنهض همم الشعب ليواصلوا ثورتهم ضد الاحتلال واليهود، ليثأروا للشهداء، فهؤلاء هم لواء الثورة المطهر.

ويواصل الشاعر قائلاً في قصيدته :

وهناك حول ربي (جنين)

الخضر حان الموعد

(1) ينظر أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص65

وتحفز الأحرار للثأر

الجموح ... وأرعدوا

الإنجليز... هم العدو

المستبد... الأئكد

صبوا عليه شواظ

ناركمو الغداة تمردوا

ولأجل عزة أرضكم

موتوا بها واستشهدوا

كونوا لها حصنا حصينا

لا تكل له يد

أحرار هذا يومكم

فابنوا عليه وشيدوا

صونوا الحياة كريمة

لصغاركم... وتوقدوا

الله أكبر ... رددوا

عبر الفضاء وأنشدوا

وتدرعوا بالحق وامضوا

للكفاح... وزغردوا

وتبسم الشيخ الكريم

وثارت الهمم الأبية

وتكلمت في سهل جنين

بنادقه ... القوية

ألقت خطابًا رائعًا

حلوا كريم العبقريّة

أشار الشاعر في مقدمة هذا المقطع إلى ثورة الشيخ عز الدين القسام في ربي جنين إذ حدد معسكر الأعداء بقيادة بريطانيا، في وقت كانت قوى وطنية تشير إلى اليهود فقط كأعداء وإلى إمكانية التحالف مع بريطانيا لتحقيق مكاسب جزئية.

فقد كان القسام يشتعل غضبًا ويعدّ للثورة المسلحة وكانت كلماته من على منبر جامع الاستقلال في حيفا تلهب المشاعر والهمم، وكأنها حمم من نار، فكانت حركته أول حركة في فلسطين تعتمد المواجهة المسلحة الجريئة مع السلطات البريطانية، وعلى هذا يمكن اعتبارها مقدمات أساسية للثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936.⁽¹⁾

لقد تحفّز الأحرار في ربي جنين للثأر من العدو فكانوا كالرعد المزلزل وهي صورة توحى بشدة المقاومة وإظهارها وتعكس نفسية الشاعر الثائر على الظلم والاستبداد والذل. فالعدو هم الإنجليز فعلى أهل فلسطين أن يصبوا غضبهم عليهم كشواظ النار لتحرقهم، وعليهم أن يتمرّدوا ويثوروا لأجل العزة والكرامة، وتحقيق الأمن والسعادة للأجيال القادمة، وعليهم أن يتسلحوا بالإيمان وبقوة الله تعالى، وينشدوا ويرددوا الله أكبر، فهم أصحاب حق وهو درعهم الذي سيحميهم من عدوهم إذا ساروا في طريق الكفاح والنضال.

(1) ينظر: سميح حمودة، الوعي والثورة، دراسة في حياة وجهاد الشهيد عز الدين القسام، ص 130

فالشيخ القسام قد تهلل وجهه بشراً عندما ثارت النفوس الأبية، ورأى النصر قادماً على أيدي الأبطال أصحاب الشهامة والحمية، وها هي بنادقهم تتكلم بصوت قوي في سهل جنين وتلقي خطاباً رائعاً يفوق كلام العباقر، يستنهض الهمم ويدعو إلى الثورة والكفاح المسلح.

والشاعر يواصل كلامه في النشيد الرابع في قصيدته قائلاً:

قد أضرب الشعب الكبير

توقفت أعماله

ما العيش ما معناه؟

أن تجتثه أغلاله

وإلام يبقى صابراً؟

أيموت فيه نضاله

أين السلاح، وكلنا ثرنا

ولبيننا...الكفاح

أين السلاح...وكل شبر

في فلسطين...مباح

أين السلاح...نرد

عن أوطاننا غدر الوقاح

أشعل الشاعر حماس الشعب من أجل الثورة والدفاع عن الوطن، فالشعب قد أعلن الاضراب الذي شمل كل أنحاء فلسطين، توقفت الاعمال، فلا معنى للعيش والحياة تحت النذل والقييد، ويتساءل الشاعر حاثاً شعبه على التضحية والبطولة فقال: إلام يبقى هذا الشعب خانعاً للمحتل الغاصب!! فالشاعر بأسلوب الاستفهام يستتكر أن يموت النضال بين أبناء شعبه، فقال: لا، إن هذا الشعب قد مشى بكل فئاته تقوده آماله معلناً الثورة في كل مكان من وطنه، فقد فجر الثورة بركانا في وجه عدوه الظالم مردداً الله أكبر، ودعا الشاعر شعبه ليعلمها ثورة مسلحة في وجه الإنجليز الذين غدروا بأهل البلاد، فهذا العدو متجبر وقح، لا بد من حمل السلاح والوقوف في وجهه كالاعصار الذي يجلبل الأرض من تحت أقدامه فالإنجليز خونة لا ضمير لهم، يمدون اليهود بالسلاح وكل أشكال العون والمساعدة في الوقت الذي يفتشون عن السلاح عند العرب، ويهددون ويتوعدون بالعقاب لكل عربي يحمل السلاح ويقاوم الاحتلال.

والشاعر إسكندر الخوري في قصيدة (ثورة فلسطين):⁽¹⁾ يستنهض همم الشعب الفلسطيني ويحثه على مقاومة الاستعمار والصهيونية ويدعو إلى الثورة والكفاح المسلح، قال:⁽²⁾

يا أمين العرب مهلاً إننا لعلى عهدك إنا يا أمينا⁽³⁾
لست فرداً أنت لكن أمة أنت إن تشك شكونا أجمعينا
الفلسطيني فيها باع ما ملكت كفاه مالا وبنينا
ووفى عهدك بل عهد الأولي عنك في سيشل* باتو مبعدينا

أشار الشاعر إلى قائد الثورة الفلسطينية الكبرى، الحاج أمين الحسيني الذي اضطر على أثر ملاحقته من سلطة الاحتلال البريطاني إلى مغادرة فلسطين، واللجوء إلى لبنان، وإدارة الثورة من هناك، فشعب فلسطين لا يزال مخلصاً وفيّاً لثورته وقائده سائراً في درب الكفاح لنيل الحرية والكرامة.

(1) ثورة عرب فلسطين التي اندلعت نيرانها في البلاد في صيف عام 1936.

(2) إسكندر الخوري، العنقود، ص100

* سيشل : الجزيرة التي اعتقل فيها أعضاء اللجنة التنفيذية العربية عام 1937 وتقع في المحيط الهندي

(3) يا أمينا : إشارة إلى سماحة المفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني.

واستهض الشاعر هم شعبه أيضًا للسير في طريق الكفاح المسلح لنيل العزة والكرامة، إذ فقال⁽¹⁾:

وما ضام الفتى ظلم الأعادي ولكن ظلم ذي رحم وقربى
وهل دول ثمانية عليهم غدا رفع المذلة عنه صعبا؟!
إذا لم نمح هذا العار عنا سنلبسه طول العمر ثوبا!

حقًا إن ظلم الأعادي لا يضيف المرء إنَّما الذي يضيفه ظلم ذوي القربى، فإن لم نستطع نحن العرب مقاومة عدونا وطرده من بلادنا، فسيبقى هذا عار علينا، وسيكون ثوبا من الذل نلبسه طوال عمرنا، فعلىنا جميعا أن نسير في طريق الكفاح ونشعلها ثورة تحقق آمالنا.

ومن الشعراء الذين استوقفتني قصائدهم في موضوع استنهاض الهمم والدعوة إلى المقاومة والثورة المسلحة للوقوف في وجه الاحتلال البريطاني والأطماع الصهيونية لسلب فلسطين، الشاعر محمد علي صالح في قصيدة (ليلى وبلغور) التي قال فيها⁽²⁾:

قل لهم : أن ينهضوا أو يتركوا أرضهم للمستبدين التتر
قل لهم قد آن أن تستيقظوا وانزعوا من فكرهم هذا الخور
بلغ السيل الزبي يا قومنا فاقتفوا الليث إذا الليث زأر
حالنا بين الورى أعجوبة ضحك البدو عليها والحضر
أي بني عمي وقومي سارعوا باتفاق حسن يردي الضرر

(1) إسكندر الخوري، آلام وآمال، ص71

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

خاطب الشاعر شعبه يستنهض همهم ليستيقظوا مما هم فيه من غفلة ومما يجري حولهم من مكر
وخداع من قبل أعدائهم، فلا طريق أمامهم إلا الثورة وأن يكونوا كالأسود في وجه عدوهم الماكر، فاستنهض
هم قومه، وحثهم على الوحدة والوقوف صفاً واحداً يستطيع مواجهة عدوهم من البريطانيين واليهود.

والشاعر في قصيدة (حكومة الطور) حذر من خطورة مشاركة بلفور في افتتاح الجامعة العبرية في
القدس واستنهض همة شعبه وحضه على مقاومة الاحتلال البريطاني ومواجهة الأطماع اليهودية في البلاد،
فقال(1):

سحقاً لهذا الشعب يبغي أرضنا	في ماله سحقاً له ودثورا
سنريك يوماً أسود تلقى به	سوء المصير فحاذر التبذيرا
يا آل قحطان الأباة إلى العلا	هبوا لننقذ مجدنا المأسورا
هبوا زرافات وطيروا في الفضا	واسعوا لنحيي في البلاد ذكورا
إنا أباة النفس لا نرضى الأذى	أجدادنا حكموا البلاد عصورا
ولئن نسام الخسف لا تلقى بنا	إلا قساورة تهد السورا
نلقى شبا الهندي في أكبادنا	ونطيح منكم هامة ونحورا
يكفي سباتا قد هجعنا مدة	قرنا ونمنا أعصرا وشهورا
فلنستق من غفلة متنا بها	دهرا، فنادوا في البلاد نشورا

صَبَّ الشاعر جام غضبه على الشعب اليهودي فدعا عليه بالهلاك والموت لأنه يسعى لاغتصاب
أرضنا وسلبها، والشاعر يستنهض همة العرب بقوله يا آل قحطان، فهم أمة أبية ترنو إلى العلا فعليهم أن

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص28

يهبوا لإنقاذ مجدهم وشرفهم الذي أسره الأعداء . وللشاعر رؤية جديدة إذ يرى سبيلاً آخر للمقاومة والجهاد وبناء الوطن المستقل، إذ قال:

سيروا إلى العلم الذي نسمو به للفرقدين وأفصحوا التعبير
بالعلم نبني في البلاد حضارة ونشيد عزا خالدا وقصورا
ونعيد للأوطان مجداً شاده آباؤنا فاستشعروا التطويرا
وإذا تعلمنا نزيل وساوساً ونضم عقلا بئدا مبذورا
فيرى العدو حماسة تسري بنا وتصول في عرض البلاد صقورا

الشاعر رسم لقومه طريق الخلاص لما هم فيه من سوء الحال ، وذلك بالسير في طريق العلم ، فبه تسمو الشعوب وتبني حضارتها وعزتها وبذلك يعيد العرب لأوطانهم المجد الذي شاده الآباء والاجداد في عصور خلت، فبالعلم نزيل الوسوس والجهل وننير عقولنا مما يجعل عدونا يخشاننا ولا يجرؤ على اغتصاب أرضنا عندما نكون كالصقور في القوة والشجاعة نصول ونجول في بلادنا.

واستهض الشاعر **محمد علي صالح** همم العرب أيضاً لمقاومة الاحتلال البريطاني واليهود الصهاينة، إذ قال⁽¹⁾:

يا نسل عدنان ما هذا السبات وما فيكم ألمّ ألا تشكون للضجر؟
وظالبوا في عهد العرب أجمعكم فالحق للقوم معروف من الأثر
الاحتلال أضر العرب كلهم فقاوموه ولا تخشوا أذى الجدر
ويكتب القوم يا أرضاً مطهرة فكي القيود ولا تبقي ولا تنذري
يا قوم وادعوا إلى تحقيق مأربكم رباً رحيماً يقيكم فتكة الغير

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص25

وأخلصوا في دعاكم يستجب لكم رب الحنيفة فادعوا يا بني مضر

دعا الشاعر العرب إلى مقاومة الاحتلال البريطاني واليهود الصهاينة، وألا تشكل الحدود التي صنعتها بريطانيا بين بلاد العرب حاجزاً يمنع وحدتهم ووقوفهم صفاً واحداً في وجه هذا العدو الذي يسعى لنهب البلاد وخيراتها.

وحرص الشاعر محمد العدناني العرب على الجهاد وحثهم عليه إذ يراه سبيلاً وحيداً للثأر للشهداء ودحر الاحتلال، قال (1):

فندرك الثأر والتاريخ يرقمه بالنور، يكسف نور الشمس، لا القلم
ولن نبقي دياراً يراوغنا ويشهر الغدر والتكيل في الظلم
ودير ياسين، إنا سوف نرفعها على جماجمهم تتهل كالذيم
ولا يكشف الشر في ليل الخطوب سوى هيجاء تكتسح الظلماء بالضرم

الشاعر حرص قومه على مقاومة الاحتلال البريطاني الذي انتهج سياسة التدليس والمراوغة والغدر بالعرب، ووقف إلى جانب الصهيونية في ممارسة جرائمها تجاه العرب، فتظهر في الأبيات نغمة التهديد والوعيد للانجليز واليهود، وأن العرب سيثأرون منهم لجرائمهم كمجزرة دير ياسين التي تمثل وصمة عار في تاريخهم الأسود .

والشاعر يقرر في البيت الأخير أن الشر لا يكشفه سوى الحرب التي تشتعل ناراً لتكتسح الظلام.

ودعا الشاعر حسن البحيري إلى الثورة والكفاح المسلح وشجع على العلم لمواجهة الاحتلال البريطاني والإعداد لكل ما يلزم لدحره، إذ قال (2) :

ما نال ذو حق هوى بالدمع يغرق منه خدا

(1) محمد العدناني، العدنانيات، 168/1

(2) حسن البحيري، الأنهر الظمأى، ص67

فالحق يؤخذ بالصفاح تؤدها الأبطال أدا
والمجد بينيه القوي وما بنى ذو الضعف مجدا
يا من جهرتم بالكلام فأز في الأفواه رعدا
لا يمحي جرح العروبة من فؤاد كاد يردى
بالقول نمقه اللسان فسال للأسماع شهدا
أو بالمنى رفت على سنة يراح بها ويغدى
أو بالتشكي من صروف سيرت نحسا وسعدا
جرح العروبة طبه عمل من العلم استمدا
وحصين خلق لا تروجه المفاسد أن ييدا
والعلم نبراس الأولى نهذوا إلى العلياء نهذا
والخلق أسّ الصرح يعمده بناءة المجد عمدا
أين المدارس تزخرون بنورها الألباب رشدا
أين المصانع تلبسون حديدها حلقا وسردا
أين الفيالق تصرعون ببأسهاالخصم الألدّا
كل امرئ يجري إلى يوم الهياج بما استعدّا
إن شئتمو سبل الحياة تنمّروا شيئا ومردا
لا تخذعنكم السياسة تجعل الأشواك وردا
كي تركنوا لمنى سراب لاح للصادين بردا

فلرب شهد في كؤوس رضاها بالسم مدًا

قومي : أجدوا فاز مشتملٌ ردا صبرٌ أجدًا

واستعذبوا ورد الردى يا طيبه بالعز وُردًا

جدوا وشدوا واستبدوا مات شعب ما استبدا

خاطب الشاعر شعبه الذي أثقلته الجراح وعاش حياة الشقاء بسبب ما لحقه من ويلات على يد الاحتلال البريطاني، فأراد أن يزرع الأمل والتفاؤل في نفوس أبناء شعبه، فحثهم أن يكفكفوا دمعهم لأن البكاء لا يجدي نفعًا، فصاحب الحق لا ينال حقه بالدمع الذي يغرق خده، فالشاعر استنهض هم شعبه لينالوا حقهم بقوة السلاح لا بالقول والكلام، فجرح العروبة في فلسطين طبه العمل والبذل والفداء والتضحية، وللشاعر رؤية جديدة للجهاد وبناء الوطن تتمثل في طلب العلم والبعد عن اليأس فالعلم نبراس الأولى نهدوا إلى العلياء، فعلى شعب فلسطين أن يتسلح بالعلم ويعد الجيش القوي بعدته وعتاده ليستطيع مواجهة عدوه الماكر، فعلى هذا الشعب إن أراد الحياة الكريمة الحرة أن يهب بجميع فئاته شبيًا ومردًا وأن يكونوا بقوة النمر والأسود ليواجهوا عدوهم من البريطانيين واليهود وألا تخدعهم السياسة الماكرة التي تجعل من الأشواك وردًا وعليهم أن يستعذبوا الموت والشهادة فهذه هي طريق العزة والمجد فلا يبني المجد إلا الأقوياء فعليهم جميعًا أن يشدوا ويجدوا ويستبدوا فالشعب الذي لا يستبد يموت.

واستنهض الشاعر إبراهيم الدباغ هم شعبه لمقاومة الاحتلال البريطاني بالثورة المسلحة، إذ قال (1) :

فيا رجال الربى هانت رجالكم هب الفراش ليغشى مهبط النور

هل تملكون له دفعًا فيقعدكم عن خلية النحل تهاتف الزنابير

في عقر داركم هنتم فهان بكم سيف تقلدتموه غير مشهور

لا يقعد الحر في غاب وغادره يبغي الفريسة في جنح الدياجير

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 42-36/2

ألم تكن جنة الدنيا بأنعمها مأوى الأسود ومرعى العين والخور
يا ليت شعري أمبكى العرب في غدهم ويومهم في امتناع غير مخفور
هل ذبت يا صخرة الوادي المقدس في سبيل الطغاة فذلت عزة الطور
وهل غدا جبل الزيتون منصداً لما خبى في خباها مشرق النور
تحركت لك أشواقي فما سكنت هبي إذا سكن الهدار أو ثوري

خاطب الشاعر أبناء شعبه مستهزئاً همهم لمقاومة أعدائهم من البريطانيين واليهود بعدما وقعت فلسطين في قبضة الاحتلال البريطاني وأخذ يعمل لتنفيذ وعد (بلفور)، وهذا ما ألحق الذل والهوان بأهل البلاد في عقر دارهم، وهانت سيوفهم التي لم يشهروها في وجه أعدائهم، فالحر لا يقعد عن قتال عدوه وبيته مهدد بالخطر ليقع فريسة في يد عدوه، وهمة الأسير هي التي تقرر مصيره بين أن يموت ذليلاً أو يحيا حياة حرة كريمة.

واستهزئ الشاعر همّة شعبه أيضاً لإسعاف البلاد الجريحة وإنقاذها مما حل بها من شقاء وبؤس على يد الاحتلال البريطاني الغادر والصهاينة الماكرين، إذ قال (1) :

وهل لها من يد الفاروق عارفة تقيلها من عثار الترك والعرب
وكان قدما صلاح الدين فاز بها قربي إلى ربه من أعظم القرب
ويوم حطين كم هلت أهله ولم يعد عودها صلباً على الصلب
له ملوك النصارى كلها اعترفت بالعدل والبأس والتدبير والغلب

أشار الشاعر إلى المأساة التي حلت ببلاده، وشعبه بسبب الاحتلال البريطاني فاستهزئ همم أبناء شعبه قائلاً : هل من يد كيد الفاروق عمر، رضي الله عنه، لتقيل عثرة البلاد وأهلها وتحقق النصر كما تحقق

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 88/2

سابقًا عندما فتحت القدس بعد مقارعة الأعداء بالسيوف والرماح؟! وهل من قائد كصلاح الدين يفوز بنصر على الأعداء كما فاز المسلمون من قبل بالنصر يوم حطين الذي اعترفت له ملوك النصارى بالعدل والبأس والتدبير والغلبة؟!!

ولكن الشاعر واثق بعزيمة شعبه وكله أمل بالنصر، فاستنهض هم شعبه ليكونوا كالنجوم الحارقة عند مواجهة أعدائهم، فأبناء البلاد هم أمل الأمة ونور الغد المشرق إن شاء الله تعالى.

ب) الدعوة إلى مؤازرة الجهاد

كان من نتائج الأحداث المريرة التي مرت بها فلسطين منذ عام 1917 وحتى النكبة عام 1948م، والمعاناة التي مر بها الشعب الفلسطيني أن قامت في فلسطين عدة اضطرابات وصدامات مسلحة، وثورات كثورة النبي موسى عام 1920 والبراق عام 1929 وثورة القسام عام 1935 والثورة الكبرى عام 1936 حتى عام 1939، والتي كانت جميعها ثورات على الاحتلال البريطاني والصهيونية في فلسطين دفاعًا من الشعب عن أرضه وعقيدته، اتصف خلالها بالبسالة والشجاعة النادرة بأدلاً الغالي والنفيس في سبيل قضية وطنه، وكانت سلطة الاحتلال البريطاني تستخدم ضد العرب كل وسائل الإجرام لقمع هذه الاضطرابات والثورات كالسجن والإعدام والنفي ونسف البيوت والحصار والحد من نشاط الشعب وغير ذلك. ووافق ذلك سقوط العديد من الشهداء الذين رَوّوا بدمائهم الطاهرة أرض فلسطين، أمثال: عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي والقسام وفرحان السعدي وغيرهم. لا شك في أن استشهاد الشيخ المجاهد عز الدين القسام في شهر تشرين الثاني عام 1935م سرّع في نضج الظروف التي هيأت الشعب للجهاد ومؤازرته وإشعال الثورة عام 1936م، هذا بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية التي عاشتها البلاد خلال حقبة الاحتلال البريطاني (1917-1948) فكان لذلك كله أكبر الأثر في تحريك النفوس واهتزاز المشاعر وتفتح العقول وتنبه الوعي وتحفيز الجهود للسير في طريق الجهاد ومؤازرته إذ أدرك الناس معنى القوانين الجائرة التي كانت سلطة الاحتلال البريطاني تسنها لصالح اليهود ومدى التضييق الذي كانت تمارسه على عرب فلسطين حتى تبقيهم ضعافًا متخلفين عاجزين، فعاشت البلاد ثلاثين عاما في ثورات متصلة رغم كل الظروف الصعبة التي عاشتها، إلا أن الإحساس بضرورة المقاومة والجهاد المقدس ومؤازرته أخذ يزداد ازديادًا مطردًا.

فهذا الجانب النضالي بأحداثه وثوراته وشهادته كل ذلك كان رافداً من الروافد المؤثرة في الشعر الفلسطيني إذ كانت ذات أثر بارز في إثراء موضوعاته وتطويرها ولاسيما في موضوع الجهاد ومؤازرته.

وكان موقف الشعر الفلسطيني واضحاً في هذه الحقبة فهو يصدر عن عقيدة محددة، ويحمل همماً جماعياً وهدفاً مشتركاً، كما كان يفعل في الثورة والجهاد فعل المحرّض، وتحفظه الجماهير الغاضبة علامة إيجابية للمقاومة والصمود والتحدي لهذا العدو الغاشم.

فالجهاد واجب مقدس وأمانة يحملها الشاعر أمام شعبه وهو في استجابته لدعوة الوطن ينادي ببقية الجماهير الغاضبة لتلبية هذه الدعوة المقدسة.

والشاعر إبراهيم طوقان كان يمثل الشاعر الملتزم بقضية شعبه، فجعل شعره سجلاً للمواقف الثورية المختلفة في فلسطين، إذ دعا إلى المقاومة ومؤازرة الجهاد في سبيل طرد المعتدي الغاصب، فقال⁽¹⁾:

ونرد عنك النازلات	مسابقين إلى الحمام
ونكون في إعلاء شأنك	عاملين على الدوام
حتى تُرى متقيئاً	ظل الكرامة والسلام

سيقدم أهل فلسطين نفوسهم فداءً لوطنهم وإعلاءً من شأنه حتى ينال كرامته وسلامه الضائع.

يؤكد الشاعر إبراهيم طوقان أن البراق والحرم والعلم لنا وأن أرواحنا وأموالنا فداءً لهم، فقال:

لنا البراق والحرم	لنا الحمى لنا العلم ⁽²⁾
أرواحنا، أموالنا	فدى البراق والحرم

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

(2) المصدر نفسه، ص258

والدعوة إلى مؤازرة الجهاد في فلسطين كانت في نهر من الشعراء أولوا هذه الناحية حقها، ويأتي الشاعر عبد الرحيم محمود في مقدمة أولئك الشعراء، إذ يقول:

غير أني قبل تركي سائل عن ضياء لاح في حلك الدياجي⁽¹⁾
حينما أبصره كوهين لم يهنَ عيشا فهو منه غير ناجي
كان يرجو بسواه دولة وغدا لما رآه غير راجي
إن نشأ نجعله سيفاً صارما يذبح الغمة والكرب المفاجي
نبتةً لما تزل ريّانة أنتجت خير ثمار ونتاج
كلما زدنا به زيتا يزد نوره الوهاج نوراً كالسراج
من ترى يعرف ما أعني نعم!! إنكم تدرّون تفسير الأحاجي.

استخدم الشاعر الأحجية السهلة في الدعوة إلى الجهاد، فهو الوسيلة الوحيدة لمنع اليهود من تحقيق حلمهم في وطن قومي في فلسطين، فحض شعبه على الجهاد ومؤازرته بأسلوب شيق جميل يلفت انتباه السامع ويشده إلى فهم ما يقصده القائل، فصور الجهاد بالضوء الذي لاح في الظلام الحالك وحينما أبصر اليهود ذلك الضياء لم يهنأوا بعيشهم وحياتهم وشعروا بالخطر الذي يهدد حياتهم ومصير الدولة التي يحلمون بقيامها على أرض فلسطين، ورسم له صورة أخرى تعكس ما له من آثار إيجابية في حياة شعبه فصوره كالسراج الذي يزداد نورا وضياء كلما زدنا به الزيت، فالجهاد يقوى بالمؤازرة وبالتضحية بالمال والنفس فينير درب الحرية ويزيل الكرب ويزيح الغمة.

ومن الشعراء الذين كان لهم دور بارز في مجال الحض على الجهاد ومؤازرته الشاعر إسكندر الخوري إذ دعا شعبه إلى مؤازرة المجاهدين والالتفاف حولهم، فقال⁽²⁾:

(1) عبد الرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص100

(2) إسكندر الخوري، العنقود، ص99

رقد (المهد) عزيزاً لم يلن	وكذا(الصخرة) تأبى أن تلينا
أيها الرابض في لبنان قم	في فلسطين أمير المؤمنيننا
خدع اليهود ما كنت لهم	بعدو كنت خير الناصحيننا
رفضوا النصح فقالوا أرضنا	أخرجوا من أرضنا يا كافريننا
ودعا الداعي فلبى كلنا	دعوة الداعي لصد الطامعينا
ومشينا زمراً نحو الوغى	وسقطنا زمراً مستشهدينا
لم تخفنا طائراتٌ حلقت	فوقنا ترسل ناراً منونا
لا ولا جيشٌ بدباباته	راح يغزونا ولا يعرف لنا
فأرينا القوم أننا أمةٌ	عمرٌ منها وزين العابدينا

حضّ الشاعر على الجهاد ومؤازرته، معلناً أن أهل فلسطين من نصارى ومسلمين يؤازرون قائدهم الحاج أمين الحسيني ويسيروا خلفه مجاهدين في سبيل الله تعالى، وعندما دعا داعي المسلمين إلى الجهاد ومؤازرته للوقوف في وجه ذلك العدو الحاقد اللئيم، استجاب أهل فلسطين لهذه الدعوة المقدسة ومشوا زمراً نحو الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى من أجل أن ينالوا العزة والكرامة وينالوا رضا الله تعالى .

فأهل فلسطين أمة قوية ذات إرادة لا يثنىها عن الجهاد ما يملك الأعداء من قوة الطائرات والدبابات، فسلح أهل فلسطين العزيمة وقوة الإيمان بالله تعالى والإرادة القوية فهم أصحاب حق يتسلحون به وعلى ربهم يتوكلون، وينصره يأملون، فهم سائرون على نهج الخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.

كما وحض الشاعر هارون هاشم رشيد على الجهاد ومؤازرته، إذ قال⁽¹⁾:

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص323

هذي أرضنا...هذي البلاد

هذي بلادكم...تهدد

بالفناء ... وبالفساد

هذا عدوكم... تحدى

واستبد بما ... أراد

ومضى يدمر في الربى

ويعيثُ غدرا في النجاد

أفتسكتون ... عليه ...أم

تتعاهدون على المراد

إني عهدتكم ... شداد

في الوقعة ... والجلاد

قسّام إنا لن نلين

ولن نخاف .. ولن نهاب

نحن نار والتهاب

لبيك شيخ الثائرين

فلن تزعزعا الزعازع

سنكون خلفك في المعازل
والمغاور ... والمواقع
سنشد أزرع بالدماء
وبالقلوب وبالأضالع

هيات تثنينا القنابل
عن منانا والمدافع
لن نستذل لظالم
أو نستكين لغدر طامع
سنردها في نحره
نجلاء دامية الأصابع
قسماً بهاتيك الدماء
تسيل ظلما في الشوارع
قسماً بهاتيك الكنائس
والمساجد ... والجوامع
لن نستكين، ولن نلين
ولن نحيد عن المرباع

كان اتخاذ القسام مدينة حيفا مقراً له من الأمور التي شاركت في تفعيل دوره الجهادي في فلسطين، فبعد بيوعات الأراضي واستيلاء اليهود على مساحات واسعة من أراضي سهل مرج بن عامر نزح إلى حيفا الكثير من الفلاحين فكان هناك أكثر من أحد عشر ألفاً من الفقراء عاشوا في بيوت من الصفيح بعد أن هدم الاحتلال البريطاني دورهم وسلبت العصابات الصهيونية قراهم، وكان هؤلاء الفقراء المعدمون أصدقاء الشيخ عز الدين القسام وموضع ثقته ومن خلاله وتحت قيادته كان لهم دور رئيس وبارز في تاريخ قضية فلسطين وحركة الجهاد ومؤازرته ضد الاحتلال البريطاني واليهود الصهاينة⁽¹⁾.

فالشيخ القسام رسم لفلسطين خارطة جديدة ضد التحولات وضد المرحلة، فكان لحظة مشرقة في أيام صعبة، وكان ومضة خاطفة ولكنها خصبة وولود مسكونة بكل الرموز القادرة على بعث الثورة وتحقيق ديمومتها، فقد علا صوته يغسل أرواح الناس المسلوحة من البريطانيين واليهود فرفع بندقيته إلى صدور عساكرهم.

فهناك في مدينه حيفا مشى القسام تدفعه الشهامة وقد تجمع الأحرار حوله بعد أن تعاهدوا للسير في طريق الجهاد فكانوا عمالقة شداد، فالقائد القسام بين أولئك الأحرار المجاهدين أن بلادهم مهددة بالفناء وبالفساد، فعدوهم قد استبد ومضى يعيث غدرًا بالعباد فلا يجوز السكوت عليه، وعليهم أن يتسلحوا بالإيمان بالله تعالى ونصره لهم فهم أصحاب إرادة قوية شداد في الوقية والجلاد.

فكان الرد من أولئك المجاهدين، يا قسام إنا لا نخاف، ولا نهاب عدونا فقد تمرسنا الصعاب، فاقذف بنا أنى أردت، وادفع بنا للحادثات فنحن خلفك، ونحن جنديك، نحن نار على الأعداء، لبيك يا شيخ الثائرين فنحن خلفك ومعك في المعائل، والمغاور والمواقع نشد أزرك بالدماء، فهيئات أن تثنيننا مدافع وقنابل الأعداء، فليس من طبعنا أن نقبل الذل، أو نستكين لعدو غادر طامع مستبد.

فقد أقسم أولئك الأحرار المجاهدون بدماء الشهداء التي سالت ظلما في الشوارع من أبناء فلسطين مؤخدين من نصارى ومسلمين أن شعبهم لن يلين ولن يحيد عن طريق الجهاد، فدماء الشهداء نور وضياء ينير طريق الخلاص لفك القيد ونيل الحرية والعزة، فالحرب والجهاد طريق تعبد بأجساد الشهداء من الأحرار والأبطال.

(1) ينظر: سميح حمودة، الوعي والثورة، ص38-39.

ج) الفخر بالشباب المقاوم

عاش الفلسطيني حقبة الاحتلال البريطاني (1917-1948) في ظروف صعبة وقاسية، فكان لا بد أن تكون له سمات خاصة نابغة من أهدافه التي أدت إلى حمل لواء الكفاح مبكرًا منذ وعد بلفور للتخلص من الاحتلال البريطاني، ومن مزاحمة خصم صهيوني عنيد يريد أن يسلب الإنسان الفلسطيني أعز ما يملك ويفخر به وهو أرضه أولاً ثم وطنه، وتحويل هذا الإنسان إلى مشرد بئس منتشر على رقعة واسعة من الأرض العربية وغيرها في سائر أقطار العالم.

فهدف الكفاح ضد الصهيونية كان له الأولوية بالنسبة للإنسان الفلسطيني ما حدا به إلى أن يكون مناضلاً مدى عشرات السنين.

وكان من أهداف النضال الفلسطيني التخلّص من الصهيونية والاستعمار، والعيش حياة حرة كريمة تليق بكرامته إنساناً عربياً مسلماً، ومن هذه الأهداف انبثقت تصرفاته وآراؤه ومقاييسه الخلقية، ثم عاداته المستحدثة والموروثة وكانت كلها ترسم خطوطاً عريضة لإنسان تتميز شخصيته العامة بسمات خاصة بها، نابغة من ظروفها وأوضاعها البيئية والمسلكية.

وعلى هذا نجد أن صورة الإنسان الفلسطيني أخذت أشكالاً إفرادية مثل: الفدائي، والشهيد، والمتقف، والزعيم، والسمسار ... وهذه أشكال نابغة من الوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي والنضالي للشعب الفلسطيني، وهناك صورة أخرى عامة تجمع الإنسان الفلسطيني نموذجاً وبهذا يمكننا القول بأنها صورة أقرب إلى النضال والمقاومة منها إلى التخاذل والاستسلام⁽¹⁾.

وصورة الفلسطيني الحقيقية هي صورة الفرد الذي يتمثل فيه الشعب أو جزء من هذا الشعب. والشاعر إبراهيم طوقان يرى أن الشخص المخلص لقضيته وشعبه هو إنسان يتمثل فيه الشعب بأكمله والقضية كلها.

ورؤية الشاعر أو نظرتة لهذا الإنسان متغيرة، وعنصر التغيير يتمثل في زاويتين: أولهما تغيير شخصية الشاعر، وثانيهما الزمن الذي عاش أو يعيش فيه.

(1) ينظر: واصف أبو الشباب، شخصية الفلسطيني، ص 11-15

وحديث الباحثة عن موضوع الفخر بالشباب المقاوم يتقيد بالحقبة الممتدة من عام 1917، أي منذ وعد بلفور وحتى النكبة الأولى عام 1948.

والشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة (نشيد البراق)، قال:

نحن الشباب المسلم	والله لا نسلـم ⁽¹⁾
نموت أو نكرم	فدا البراق والحرم
دم العربي إن أبي	يجري على حدّ الظبي
وحقنا أن نغضبا	فدى البراق والحرم

فخر الشاعر بالشباب المسلم المقاوم الذي يفندي فلسطين، ومقدّساتها بالروح والدم، إذ أقسم بالله أنه لا يستكين لعدوه، وأن من حقه أن يغضب ويثور ويقاوم فداء البراق والحرم، وإنه يفضل الموت الشريف على حياة الاستسلام.

فهذه صورة عن واقع عاشه الفلسطيني في وطنه قبل عام 1948م، ولا زال يعيشه حتى يومنا هذا، فكان الشعر الفلسطيني في هذه الحقبة يصدر عن عقيدة واضحة، ويحمل همًا جماعيًا وهدفًا مشتركًا.

وفخر الشاعر هارون هاشم رشيد بالشباب المقاوم في فلسطين، إذ قال:

وطن العلا هذا شبابك⁽²⁾

هب مقتحمًا فداك

يلقى السلاح مجردا

منه ويحمي عن حماك

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص258

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص322

والدولة (العظمى) تحاربه

فيثبت في ذراك

ما خاف يوماً أو تقهقر

أو تنازل عن علاك

فهو القوي هو الأبى

هو المحارب في رباك

هذا شبابك أيها الوطن

الحبيب وذا هواك

خاطب الشاعر وطنه فلسطين مفتخرًا بشبابه المقاوم الذين هبوا للقاء عدوهم فداءً لوطنهم وليذودوا عن حماه متسلحين بالإيمان ونصر الله تعالى، ولا يمكن أن يسكتوا أو يتنازلوا عن حقهم وهم على استعداد أن يبذلوا دماءهم في سبيل تحرير بلادهم، فأقسموا على السير في طريق الثورة والجهاد دون تراجع أو استسلام ليثأروا من عدوهم الغادر، وذلك قسمهم يوم لبوا نداء الثورة لتبقى فلسطين وطنًا حرًا عزيزًا كريمًا لهم وللأجيال القادمة من بعدهم، هذا هو درب النضال والكفاح الطويل على مدار الدهر بدون سأم أو ملل.

وفخر الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي بالشباب الفلسطيني المقاوم الذين وقفوا رغم قلة السلاح في وجه عدوهم دون خوف أو تردد، فقال :

أنحيب أم نشيد ورثاء أم قصيد⁽¹⁾

إيه يا يوم الثلاثاء اكتوت فيك الكبود

فتية غر غطاريف بحبل الموت قيدوا

(1) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، من فلسطين وإليها، ص13

أنفوا أن يُنزل الضيم	بهم طاغ عتيد
فأثاروها على الطغيان	تطغى وتبيد
ثورة قد حطمت	صهيون فارتد يكيد
واستجاب الظالم العاني	لما شاء اليهود
ابك يا خلي فؤادًا	إنه الليث الشهيد
ابك مجموعًا وزيـرًا	لا يكفكك جحود
ابك من أقتلهم في	سجن عكّاء الحديد
ابكهم يوم دعاهم	للردى عات مريد
فمشوا للموت في تيه	كما تمشي الأسود
واكتسوا إذ راقهم يوم	النوى البرد الجديد
فكان الموت عرس	أو كأن الموت عيد

لقد جعل الشاعر من استشهاد أبطال ثورة البراق عام 1930 عرسًا وعيدًا يحتفل فيه شعب فلسطين على الرغم من نار الحزن التي اكتوت بها القلوب يوم إعدام أولئك الأبطال شنقًا حتى الموت، إذ يرسم صورة مثالية للشهداء الثلاثة فيجعلهم نموذجًا للشباب الفلسطيني المجاهد، ثم يبحث شعبه على السير على خطاهم في المقاومة وألا يخشوا الموت للقضاء على الطغيان ونيل العزة والكرامة.

وخلاصة الدراسة مما سبق، أن الحرب العالمية الأولى التي انتهت عام 1918م، بما انطوت عليه من أحداث وما أسفرت عنه من نتائج، كان من بينها "وعد بلفور" في الثاني من تشرين الثاني عام 1917م لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان ذلك يتناقض مع وعود بريطانيا لشريف مكة حسين بن علي بإقامة "الدولة العربية" من خلال "الثورة العربية الكبرى" عام 1916م، والتحالف مع بريطانيا، فكانت هذه المرحلة

حاسمة في التاريخ العربي الحديث، إذ ظهرت فلسطين كياناً جغرافياً سياسياً في ظل الاحتلال البريطاني، وما أحدثه من تسهيل لمهمة الصهيونية في ابتلاع أرض فلسطين واستيطانها، وما واكب ذلك من قتل وسجن وتشريد للمناضلين من أبناء الشعب الفلسطيني، فكانت حقبة الاحتلال البريطاني مفصلية في تاريخ فلسطين، والأدب الفلسطيني، إذ لم يكن أمام الشاعر الفلسطيني سوى أداء واجبه الوطني المقدس، فكان القلم إلى جانب البندقية مقاتلاً، وانبرى الشعراء لكل ما يمس الأرض والشعب يهاجمونه ويدافعون عن عروبة فلسطين والمقدسات، ويفضحون الخونة، ويعلمون الجماهير دروساً في الوطنية والكفاح، وكان على رأس شعراء الوطنية في تلك الحقبة: إبراهيم طوقان، وإبراهيم الدبّاغ، واسكندر الخوري، وعبدالرحيم محمود، ومحمد علي صالح، وسليم اليعقوبي، ووديع البستاني، وحسن البحيري، ومحبي الدين الصفدي، ومحمد العدناني، وعطا الرموني، وبرهان الدين العبوشي، وعبدالكريم الكرمي، وهارون هاشم رشيد، وغيرهم.

ومن المعاني والأحداث التي ركز عليها شعراء فلسطين، أثناء حقبة الاحتلال البريطاني ما يأتي:

- 1- حب الوطن.
- 2- الانتماء للعروبة.
- 3- الحملة على الغرب والصهيونية.
- 4- التنديد بوعد بلفور وقرارات عصبة الأمم، ورفض الانتداب البريطاني على فلسطين.
- 5- التحذير من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- 6- الهجوم على بائعي الأراضي لليهود والسماسة.
- 7- استنهاض همم الشعب الفلسطيني والدعوة للثورة المسلحة ومقاومة الاحتلال البريطاني.
- 8- تصوير جرائم الاحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية.
- 9- الدعوة لمؤازرة الجهاد لتطهير البلاد من الأعداء، ونيل الحرية والحياة الكريمة.
- 10- الفخر بالشباب المقاوم والشهداء ومكانتهم.

وتبين أن الشعر الذي قيل في وعد بلفور استمد مادته من الأحداث السياسية والعسكرية، ومن الظروف والتضحيات والثورات التي اجتاحت فلسطين في حقبة الاحتلال البريطاني، ولذلك ترى الباحثة أنّ هذه الدراسة تتسم بأهمية خاصة لأنها ترتبط بمرحلة حاسمة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، إذ كان الشعر يقف في وجه

المحاولات الرامية إلى تهويد البلاد، وتأسيس الوطن القومي لليهود، ويندد بباعة الأراضي، ويستتكر موجات الهجرة اليهودية، ويدعو للتحرر والاستقلال، ويستلهم التراث العربي، في محاولة لرسم أبعاد المستقبل بوعي وعقلانية، فهذا الشعر يصنف في إطار الأدب الملتزم بقضايا الوطن وتصوير آلامه وآماله لصنع مستقبل أفضل.

الفصل الثاني - الدراسة الفنيّة

أولاً، تعريف القصيدة

ثانياً، بنية القصيدة

ثالثاً، الأسلوب

رابعاً، التناص

خامساً، الصورة الشعريّة ووسائل تشكيلها

سادساً، الصنعة البديعية: الطباق والمقابلة

سابعاً، الموسيقى

البناء الفني للقصيدة الشعرية في وعد بلفور:

تناولت الباحثة في الفصل الأول من الدراسة صدى وعد بلفور في الشعر الفلسطيني الحديث دراسة موضوعية، إذ بلغ عدد القصائد المدروسة تسعًا وعشرين قصيدة، منها ثمان للشاعر إبراهيم طوقان، وثلاث لكل من: الشاعر إبراهيم الدباغ، والشاعر إسكندر الخوري البيتجالي، والشاعر عبدالرحيم محمود، والشاعر محمد علي صالح، وقصيدتان للشاعر وديع البستاني، وقصيدتان للشاعر سليم اليعقوبي وقصيدة واحدة لكل من: الشاعر حسن البحيري، والشاعر عطا سليمان رموني، والشاعر محمد العدناني، والشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، والشاعر هارون هاشم رشيد.

وبلغ مجموع عدد أبيات هذه القصائد (942) بيتًا بالإضافة إلى 858 سطرًا من الشعر الحر، في قصيدة أرض الثورات للشاعر هارون هاشم رشيد، وأما مجموع عدد الأبيات التي نددت بوعد بلفور في القصائد السابقة فكان 99 بيتًا بالإضافة إلى 30 سطرًا من الشعر الحر.

وندرس في هذا الفصل الجانب الفني الذي اتسمت به القصائد التي قيلت في وعد بلفور، لتوضيح مشاعر وأفكار الشعراء الفلسطينيين الذين تناولت هذه الدراسة بعضًا من شعرهم وذلك على النحو التالي:

أولاً- تعريف القصيدة:

في اللغة، سمي الشعر التام قصيدًا؛ لأن قائله جعله بباله فقصد له قصدًا، وليس على ما خطر بباله، وجرى على لسانه بل روى فيه خاطره واجتهد في تجويده.⁽¹⁾

وفي الاصطلاح، نجد أنّ القصيدة هي: "بناء يتركب من العناصر والقوى التي تتضافر على نحو يتم فيه تكامل المعاني الشعرية المتبلورة في حقائق لغوية، فالعالم الذي تتألف منه القصيدة عالم متجانس تتلاقى أفكاره وتتعاقب في حركة مطردة، وهذا يصدق على القصيدة العربية كما يصدق على سواها"⁽²⁾

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: قصد

(2) يوسف حسين بكار، بناء القصيدة العربية، ص26

ثانيا - بنیان القصيدة

على الرغم من اختلاف النقاد العرب: قداماء ومحدثين، حول تعريف القصيدة، إلا أنهم يكادون يتفقون على عناصر بناء القصيدة والتي يمكن دراستها وفق الآتي:

أ- **المطلع**: هو أول أبيات القصيدة، والذي يكون علمًا لها، وقد تسمى القصيدة به في كثير من الأحيان، ويربط ابن الأثير بين مطلع الكلام من الشعر والمعنى المقصود من الكلام، يقول في المبادئ والافتتاحات: "وحقيقة هذا النوع: أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالًا على المعنى المقصود في ذلك الكلام، إن كان فتحًا ففتحًا، وإن كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءً فعزاءً، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني"⁽¹⁾، وقد حدّد النقاد العرب شروطًا للمطلع، إذا جاء موافقًا لأحدها كان جيدًا وإلا فهو رديء، والشروط هي: (2)

1- أن يكون المطلع فخماً له روعة وعليه أبهة.

ومن الأمثلة على ذلك، مطلع قصيدة يا سراة البلاد لإبراهيم طوقان، إذ يقول:

يا سراة البلادِ يكفي البلادا
ما أذاب القلوبَ والأكبادا⁽³⁾

سمّيت القصيدة بمن خاطبهم الشاعر في مطلعها، إذ قال: "يا سراة البلاد" وهذا ما يدل على فخامة مطلع القصيدة وروعته.

2- أن يكون خاليًا من المآخذ النحوية، وأن تراعى فيه جودة اللفظ والمعنى، إذ كان كثير من الشعراء العرب الأقدمين، والمحدثين، يبدؤون قصائدهم ببيت مصرّع فيكسب ذلك موسيقى الشعر جمالًا فوق جمال، ويجعلها قريبة من القلب مُحبيّة إلى السمع. ومن الأمثلة على الاهتمام بمطالع القصائد التي قيلت في وعد بلفور، ممّا جاء مصرّعًا الآتي:

أ- قصيدة إبراهيم طوقان السابقة "يا سراة البلاد"

ب- قصيدة أيها الأقوياء لإبراهيم طوقان :

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 236/2

(2) ينظر: يوسف حسين بكار، بناء القصيدة العربية، ص273

(3) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكانلة، ص58

- قد شهدنا لعهدكم بالعدالة وختمنا لجنكم بالبسالة ..!(1)
- ج- قصيدة إيه يا يوم الثلاثاء للشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي:
أنحيبُ أم نشيدُ ورتاءُ أم قصيدُ (2)
- د- قصيدة بلفور في دمشق للشاعر وديع البستاني:
حدثوني يا أهل دار السلام عن شهيد الله والإسلام (3)
- هـ- قصيدة الداء والدواء للشاعر حسن البحيري:
الدهر بالحدثان شداً ومضى وصار الأمر جدًا (4)

وعند تتبع مطالع القصائد التي قيلت في وعد بلفور وعددها تسع وعشرون، نجد ست عشرة قصيدة منها قد حرص قائلوها على تصريح مطالعها، ليكون شعرهم قريباً من قلوب السامعين فيسهل تردادها على ألسنتهم، ويدعوهم لتمثله في المناسبات الوطنية وهي كثيرة، إذ كان للشعر دور بارز في الكفاح، وكان سلاحاً من أسلحة المعركة مع الاحتلال البريطاني والصهاينة.

ب- مقدمة القصيدة وموضوعها

حرص الشعراء والنقاد العرب على توافر الترابط والتسلسل بين أجزاء القصيدة، من مقدمة وموضوع وخاتمة، وعدوا ذلك من فنون البلاغة، ويرى ابن رشيق، أنّ حسن الافتتاح يشرح صدر القارئ أو السامع ويجعله يستقبل العمل بلهفة واشتياق، وبالتالي يؤدي إلى نجاح العمل الأدبي،(5).

ويجعل حازم القرطاجي مطلع الكلام زينة له، فهي من أحسن الأمور في صناعة الشعر، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المنتزلة من القصيدة منزلة الغرة من الوجه(6). ومن شواهد هذا في الشعر الذي قيل في وعد بلفور، قصيدة يوم 2 نوفمبر للشاعر محمد علي صالح، والتي بلغ تعدادها (37) بيتاً، وقد استهلها بثلاثة

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص213

(2) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوانه: من فلسطين وإليها، ص13

(3) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص162

(4) حسن البحيري، ديوانه، الأنهر الظمأى، ص70

(5) ينظر: ابن رشيق، العمدة، 217/1

(6) ينظر: عبدة عبدالعزيز قليقة، النقد الأدبي في العصر المملوكي، ص395

أبيات عبّرت عن مضمونها، وهيأت قارئها للدخول في التفاصيل، يقول داعياً إلى الله تعالى، طالباً الرحمة واللفظ منه بشعب فلسطين، والنصرة لهم على أعدائهم، وعدم مباركة ذلك اليوم الذي كان فيه وعد بلفور، لما جرّ من ويلات على أهل فلسطين بخاصة وعلى العرب بعامّة، قال: (البسيط)

رحماك ربي فهذا الجمع من مضر يدعوك فالطف به يا خير مَنْ يُجِر⁽¹⁾

إنّا أتيناك نرجو نصرة وعلّاً كي نرتقي فوق هام الأنجم الزهر

لا بارك الله في ذا اليوم إنّ به يا آل قحطان وعدّاً واضح الضّرر

ثم يأتي بعد هذه الأبيات بالتدديد بوعد بلفور المشؤوم، وقد بلغت سبعة أبيات، أقسم فيها بالله العظيم أن العرب لن يقبلوا بهذا الوعد ما دامت دماؤهم تجري في عروقهم، فهم أسود الموقف الخطر، يأبون الذل والهوان، وهم على الدوام يرفضون هذا الوعد دون كلل أو ضعف.

وبعد هذا ينتقل إلى تمجيد البذل والتضحية في سبيل نيل الحرية والكرامة، داعياً قومه إلى استنهاض همهم لمقاومة الاحتلال البريطاني والصهاينة، موضعاً لهم سبيل ذلك من خلال الوحدة والتضامن، وبثّ الوعي القومي، والدعوة للمحافظة على الأرض، ثم انتقل يشجب غدر وخيانة بريطانيا للعرب.

وقد جوّد الشاعر محمد علي صالح خاتمة قصيدته من خلال رسم طريق الخلاص من الاحتلال البريطاني، فيبين أن الانتفاضة والجهد هما الطريق الوحيد لإنقاذ الأرض من أنياب المغتصب، ويطلب من قومه التوجه إلى الله تعالى بالدعاء لتحقيق مأربهم، وحثهم على إخلاص الدعاء كي يستجاب لهم، فقال:

(البسيط)

إنّا سنحمي حمانا بانتفاضتنا على عدوّ غريب طامعٍ أشر⁽²⁾

وننقذ الأرض من أنياب مغتصب ويعزف البحر ألحاناً من السمر

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص28.

ونسحق الظلم نبني صرح دولتنا
وتزدهي القدس في أثوابها النَّضر
ويكتب القوم يا أرضاً مطهّرة
فكّي القيود ولا تبقي ولا تذري
يا قوم وادعوا إلى تحقيق مأربكم
رباً رحيماً يقيكم فتكة الغير
وأخلصوا في دعاكم يستجب لكم
رب الحنيفة فادعوا يا بني مضر

ومن شواهد هذا أيضاً، قصيدة إيه يا يوم الثلاثاء للشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، والتي بلغت تسعة وثلاثين بيتاً، رثى فيها شهداء ثورة 1930 إذ حكم بالإعدام على الشهداء فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير، وقد نفذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء 17/حزيران/1930 . فبدأها بالفخر بالشباب المقاوم، قائلاً:
(مجزوء الرمل)

أنحيبُ أم نشيدُ
ورثاءُ أم قصيدُ⁽¹⁾
إيه يا يوم الثلاثاء
اكتوت فيك الكبود
فتية غرّ غطاريف
بجبل الموت قيدوا
أنفوا أن ينزل الضيم بهم طاغ عنيد
فأثاروها على الطغيان تطغى وتبيد
ثورة قد حطمت
صهيون فارتد يكيد
واستجاب الظالم
العاني لما شاء اليهود

فبهذه الأبيات التحريضية افتتح قصيدته، وانتقل منها إلى رثاء الشهداء الثلاثة، في ذلك اليوم مصوراً بطولتهم وشجاعتهم فعلى الرغم من ثقل قيود السجن إلا أنّهم مشوا إلى الموت في تيه كما تمشي الأسود، وكان موتهم في ذلك اليوم كالعرس، رغم ما اكتوت به الأكباد من الحزن.

(1) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوانه: من فلسطين وإليها، ص13

وأخذ يمجّد الشهادة والشهداء والموت الحميد الذي يفضل على حياة الذل والعبودية لذوي الظلم، فالحرّ
يجود بنفسه من أجل الكرامة والعزة، ورسم مشهّدًا بطوليًا مجدّ فيه موقف أولئك الشهداء الأبطال ساعة إعدامهم
على مشانق الاحتلال البريطاني الظالم الذي خشي أن يدهمه خطب جديد، وأخذ الشاعر يتوعده بالثورة
والمقاومة.

ورغم أن موضوع القصيدة هو الرثاء إلا أنّ الشاعر ندّد بوعد بلفور وغدر وخيانة بريطانيا للعرب، إذ
استغرق منه ذلك ستة أبيات.

أما الخاتمة، فختم الشاعر محيي الدين قصيدته بأربعة أبيات، زرع بها الأمل في نفوس الشعب، بقوله:
إنّ مجد العرب لا بدّ وأن يعود، وإنّ فتى العرب كريم ولا يتنازل عن حقه، وإنّه كلما استشهد شهيد ورؤى بدمه
الزكي تراب وطنه الطاهر لبّى النداء مئات الشهداء من أبناء فلسطين البررة قال:

فرويدًا إنّ مجد العرب لا بدّ يعود⁽¹⁾

وفتى العرب كريم

وإذا نجم هوى منهم

وإذا عود نوى في روضهم أورد

ومن الأمثلة على حسن بناء القصيدة أيضًا، قصيدة عيد الجامعة العربية للشاعر عبدالرحيم محمود،
التي بلغ تعدادها اثنين وثلاثين بيتًا، بدأها بمقدمة من ستة أبيات تحدث فيها عن الوعي القومي العربي إذ
تحقق حلم الوحدة العربية بإنشاء جامعة الدول العربية عام 1945 ، والذي كثيرًا ما حلم به العرب من قبل ،
فقال :

(الكامل)

عيد بإحناء الصدور يقام من وحيه الأشعار والإلهام⁽²⁾

(1) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوانه: من فلسطين وإليها، ص16

(2) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص25

أجمل بأن تتحقق الأحلام	حلم لقد لايت عليه نفوسنا
في تاجه، والوحدة النظام	جمع الشتيت فكل قطر درة
شقت حرائر دجلة الآلام	فإذا تشكى النيل من آلامه
جلى استجابت للنداء الشام	وإذا تنادى المغرب الأقصى لدى
وطن لنا لو صحت الأفهام	ذهبت خرافات الحدود فكّلها

فلخص بهذه الأبيات أمانى الشعوب العربية بالوحدة، وجمع شتاتهم من بلاد المغرب غرباً إلى أرض دجلة والفرات شرقاً، لتذهب خرافات الحدود التي صنعها الاستعمار الغربي ولتصبح بلاد العرب وطنًا واحدًا. ومن بعد هذا انتقل للحديث عن فساد الحكم في البلاد العربية، فقد مرت الأيام والسنون ولم يسلك الزعماء بها جدد الصواب، والعرب سائرون في الزورق التوهان ودليله الأوهام، وتخاصم القواد في الشرق والغرب، إلا أنّ الشاعر الحر لا يكبح أصغريه لجام فيقول الحق والحق أروع ما حوى الإسلام.

وينتقل للحديث عن خيانة بريطانيا وغدرها بالعرب ووعودها الكاذبة واتباعها سياسة التديليس والمماطلة فكان تنفيذ وعد بلفور المشؤوم الذي لم تكن له قيمة لو لم يصدّق العرب وعود بريطانيا الكاذبة. وأخذ يستنهض همم العرب ويدعوهم إلى الوحدة والتضامن بدل الفرقة والخصام.

ويخرج الشاعر من قصيدته هذه بخمسة أبيات حرّض فيها على الثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني، موضعاً أنّ أعلام الحرية تركز على الجماجم وأن صرح الغلا لا يبني إلا على الأشلاء، فعلى شعبه أن يغضب حقوقه بالقوة ولا يستجديها لأن الذين سلبوها لئام. وإن طريق الجهاد هو الطريق الوحيد لنيل الحياة الكريمة ولا طريق غير ذلك، فقال:

قل "لا" وأتبعها الفعال ولا تخف	وانظر هنالك كيف تحنى الهام ⁽¹⁾
إصهر بنارك غل عنقك ينصهر	فعلى الجماجم تركز الأعلام

(1) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص25

وأقم على الأشلاء صرحك إنما من فوقه تبنى العلا وتقام
وأغصب حقوقك قط لا تستجدها إن الأولى سلبوا الحقوق لئام
هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسام

وهكذا نسج الشاعر عبدالرحيم محمود قصيدته نسجاً محكماً في تسلسل منطقي من إذ المقدمة والموضوع والخاتمة.

ومن الراجح أنّ هذه النماذج الثلاثة التي عرضتها الباحثة وهي قصيدة يوم 2 نوفمبر للشاعر محمد على صالح، وقصيدة إيه يا يوم الثلاثاء للشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، وقصيدة عيد الجامعة العربية للشاعر عبدالرحيم محمود، ترسم صورة للبناء الفني المتماسك والمتين للقصيدة الشعرية في وعد بلفور، وجاءت بقية القصائد التي تناولتها هذه الدراسة على هذا النحو باستثناء بعض القصائد التي لم يتجاوز عدد أبياتها سبعة أبيات مثل: أيها الأقوياء و زيادة الطين للشاعر إبراهيم طوقان وقصيدة وعد بلفور للشاعر محمد العدناني.

ج- الخاتمة

أطلق النقاد على الخاتمة اصطلاح (المقطع) ونظروا إليه من الزاوية نفسها التي نظروا من خلالها إلى المطلع من إذ الاهتمام بالسامع والمخاطب؛ لأن الخاتمة في عرفهم قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، فسبيله أن يكون محكماً، وأن يكون قفلاً كما كان المطلع مفتاحاً، ويجب أن يكون ما وقع فيها من الكلام أحسن ممّا اندرج في حشو القصيدة.

ولمّا كان المقطع آخر بيت في القصيدة، فملاك العمل خواتمه، اشترط النقاد فيه، أن يكون على أحد الأوجه التالية⁽¹⁾ :

- 1- أن يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه، ساراً في المدح والتّهاني، وحزيناً في الرثاء والتّعازي.
- 2- أن يكون اللفظ مستعذباً، والتأليف جزلاً متناسباً.

(1) ينظر : يوسف حسين بكار، بناء القصيدة العربية، ص302

3- أن يكون المقطع أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها. ومثال هذا في القصائد التي قيلت في وعد بلفور قول الشاعر إبراهيم طوقان في آخر قصيدة الأقباء:

أجلاء عن البلاد تريدون فنجلو، أم محقنا والإزالة؟! (1)

فهذا البيت خاتمة القصيدة وأدخل في المعنى الذي قصد إليه الشاعر في قصيدته، فجمع فيه ما يحتاج إليه من سخرية وتهكم وتقريع لعدوه البريطانيين، فلسان حاله لسان شعبه الناقم الساخط على الاحتلال في ساعات الشدة والإحباط.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا خاتمة قصيدة عيد الجامعة العربية للشاعر عبد الرحيم محمود، إذ قال:

هذي طريقك للحياه فلا تحد قد سارها من قبلك القسام (2)

فهذا البيت داخل في المعنى الذي قصد إليه الشاعر في قصيدته، إذ جمع فيه استنهاض همم قومه، وتحريضهم على الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني، فالجهد والسير على طريق القسام هو طريق الخلاص ونيل الحرية لا غير.

4- أن يتضمن الاختتام حكمة أو مثلًا سائرًا.

ومثال ذلك من القصائد الشعرية التي قيلت في وعد بلفور، قول الشاعر حسن البحيري في آخر قصيدة:

الدواء والداء:

أو لا، فإنّ الموت من عيش الونى أهدى وأجدى (3).

فضّل الشاعر في هذا البيت الموت على حياة الذل والهوان، وهذا المعنى يتضمن المثل الشعبي السائر:

"الموت ولا المذلة".

5- أن يكون الاختتام تشبيهاً حسنًا.

ومثال ذلك خاتمة قصيدة: إيه يا يوم الثلاثاء للشاعر محيي الدين عيسى الصفدي التي قالها في رثاء

شهداء ثورة 1930، قال:

وإذا عود ذوى في روضهم أورك عود (4).

(1) إبراهيم طوقان، ديوانه، ص213

(2) عبد الرحيم محمود، ديوانه، ص26

(3) حسن البحيري، ديوانه، الأنهر الظمأى، ص73

(4) محيي الدين عيسى الصفدي، ديوانه، من فلسطين وإليها، ص16

فالتشبيه في هذا البيت جميل وحسن، إذ شبه الشهيد الفلسطيني بالعود إذا ذوى في الروض وولادة الأطفال الفلسطينيين واستعداد الشباب للشهادة بالغصن الذي يورق وتعود له الحياة من جديد وهذا على سبيل الاستعارة التصريحية ويدل ذلك على استمرار المقاومة وقوتها رغم سقوط الشهداء حتى يتحقق النصر لشعب فلسطين.

وفي نهاية هذا الموضوع ترى الباحثة أنّ النماذج الشعرية التي ذكرتها للتمثيل على الخاتمة في القصيدة التي قيلت في وعد بلفور، لم تشمل القصائد جميعها، وإنما اقتصر التمثيل بالنماذج الشعرية على بعض منها وذلك لسببين:

الأول: تلافياً للإطالة في هذه الرسالة.

الثاني: لأنّ الشواهد الشعرية على ما اشترطه النقاد في الخاتمة، لم تجدها الباحثة في جميع القصائد التي شكلت مادة البحث في هذه الرسالة.

وخرجت الباحثة من دراسة الموضوع السابق بأنّ بناء القصيدة التي قيلت في وعد بلفور يتركب من عناصر وقوى تتضافر على نحو يتم فيه تكامل المعاني الشعرية، وإنّ البناء الفني لهذه القصائد الشعرية من حيث: المطلع، والمقدمة، والموضوع، والخاتمة، كان متماسكاً ومتيناً.

ثالثاً - الأسلوب

ما معنى الأسلوب؟ إذا بحثنا في معجم لسان العرب نجد أنه يقال للسطر من النخيل، وكل طريق ممتد هو أسلوب، والأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، ويجمع على أساليب. والأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه (1).

والأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية.

والأسلوب هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو الضرب من النظم والطريقة فيه. وفي الأدب يكون التصرف والاختلاف في صوغ العبارات بين إيجاز وإطناب، وسهولة وإغراب، وبساطة وتعقيد، وجمال وتنافر، ويكون قبل ذلك في اختيار الأفكار وكيفية ترتيبها ووضوحها، أو غموضها أو صحتها أو خطئها، وإخضاعها لطريقة الاستقراء أو الاستنباط، ويكون بعد هذا في طريقة التخيل والتصوير: هل يسلك الأديب طريقة التشبيه غالباً أو الاستعارة أو الكناية؟ وما مقدار ابتكاره في ذلك أو تقليده؟ فلكل أديب مذهبه في ذلك أو أسلوبه الخاص (2).

وقد حدد بعض الدارسين صفات الأسلوب الشعري الجيد في: الوضوح، والقوة، والجمال؛ فالوضوح للعقل، والقوة للشعور، والجمال للذوق، ولن تتحقق هذه الصفات إلا إذا اختار الشاعر أكثر الكلمات قدرة على تصوير إحساسه واستطاع الملاءمة بين الأفكار والألفاظ (3).

وتتفاوت درجات الأداء من شاعر إلى آخر، وتتووع الأساليب في صياغة الجمل وبناء العبارات، فهناك الأسلوب التقليدي الذي يتأثر فيه الشعراء بالأقدمين صوراً وصياغة، وهناك الأسلوب العصري الحديث الذي

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "سلب"

(2) ينظر: أحمد الشايب، الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص 42-45

(3) ينظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص 255

جدّد فيه الشعراء في: الأفكار، والصور، والصياغة، وهناك الأسلوب الذي تأثر بالقرآن الكريم وظهرت فيه ألفاظه⁽¹⁾.

والشعر لغة العاطفة والوجدان، ولا يرجع جماله وتأثيره في النفس إلى الفكرة وحدها أو العاطفة والخيال أو اللفظ بل إلى ذلك كلّه. وسيتضمن موضوع الأسلوب دراسة نماذج شعرية من القصائد التي قيلت في وعد بلفور من الجانب اللغوي والعاطفي.

اللغة الشعرية والعواطف

يؤكد كثير من النقاد على أهمية اللغة في العمل الأدبي، لدورها الأساسي في الكشف عن مزايا الإبداع الأدبي بما تحمله من معان وأفكار في نسيج حروفها. ولغة الشعر هي اللغة العالمية التي تؤثر بما في ألفاظها من دلالات نفسية وشعورية، وبما فيها من موسيقى الوزن والقافية، وبما وهب الشاعر من قدرات على تطويع اللغة.⁽²⁾

ولقد اهتم النقاد العرب القدماء باللغة الشعرية، وأفردوا لها درساً مستقلاً، مؤكدين الارتباط الوثيق بين اللفظ والمعنى، فهما ركنان مهمّان من أركان القصيدة، بل هما ركن واحد بمفهومها المعاصر؛ لارتباط الشكل والمضمون ارتباطاً لا تنفصم عراه.

وإن قضية اللفظ والمعنى من أعقد القضايا النقدية القديمة، وأكثرها اضطراباً على الرغم من عناية النقاد بها، وإذا ما راعينا أنّ الشكل هو الجسم الخارجي والمضمون هو الاتجاهات الخلقية والنفسية للشاعر فإننا نجد تطابقاً كبيراً بين المفهومين القديم والحديث.

والنقاد العرب القدماء كانوا يرون أن المختار من الكلام ما كان سهلاً جزلاً لا يشوبه شيء من كلام العامة والألفاظ الحوشية، وهذا المذهب له نظيره في النقد المعاصر، وإن كان هناك فريق من المعاصرين يطالب باقتراب لغة الشعر من لغة الحياة اليومية⁽³⁾.

(1) ينظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص255

(2) ينظر: إبراهيم السعافين، الأتعة والمرايا، ص67-68

(3) ينظر: يوسف حسين بكار، بناء القصيدة العربية، ص179

ومن شروط جمالية القصيدة التي انتبه لها نقادنا القدماء سلامة اللغة إذ كانوا يتتبعون أغلاط الشعراء النحوية واللغوية من ناحية، واستعمالهم لدلالات الألفاظ من ناحية أخرى تتبعًا يدل على اهتمامهم بسلامة القصيدة سلامة تامة في هذه الوجوه.

وأفرد ابن الأثير في "المثل السائر" بابًا في قوة اللفظ لقوة المعنى، فقال: "الألفاظ تقسم إلى: جزلة ورقيقة، ولكلّ منها موضع يحسن استعماله فيه؛ فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، أما الرقيق فإنّه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام العباد، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف"⁽¹⁾.

والناظر إلى لغة الشعر الفلسطيني الذي قيل في وعد بلفور في حقبة الاحتلال البريطاني يجد أنها تأثرت بمؤثرات جعلتها متباينة في مستواها تتردد بين البساطة والجزالة التي تميل إلى المحافظة على التقاليد الموروثة، ويمكن القول بأنّ لغة الشعر لم تكن لغة واحدة بل تعددت مستوياتها، ومن هنا لا بد لنا من أن نستعرض نماذج لبيان هذه المستويات:

أ- قال إبراهيم طوقان في قصيدة "البلد الكئيب" مندّدًا بوعد بلفور:

فانظر لوجهك إنّه	في الكأس لوّحه الغضب ⁽²⁾
وانظر: عميت، فإنّه	من صرخة الحق التهب
بلفور يومك في السماء	عليك صاعقة السماء
احسأ بوعدك، إنّ وعدك	دونّه ربّ القضاء
لا تنقض الوعد الذي	أبرمته فله نواقض

رسم الشاعر في الأبيات السابقة صورة بشعة لبلفور وأجرى معه حوارًا بأسلوب ساخر، وكأنّه يقف أمامه وهو يقرّعه ويحقّره، وهذا أسلوب يدفع العامة إلى الثورة، ويشدّد معنوياتهم.

كما أنه استخدم أسلوب الإنشاء، فجاء بصيغ: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتوكيد موضحًا حقيقة وعده الذي يحتقل به، فجاءت ألفاظه سهلة مألوفة، وصوره متلاحقة متداخلة بعيدة عن الضعف والتعثر، فهذا الأسلوب حيّ يقبله الناس ويتمثلونه في حياتهم.

(1) ابن الأثير، المثل السائر، 68/2

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

ولقد تمكّن الشاعر من وسائل صياغية يستعين بها على تصوير أجواء معينة في مضمونه الشعري، منها: استعماله مصطلحات ذات صور وإيحاءات شعبية، أمثال: "أفضالكم على الرأس والعين"، "خجلنا من لطفكم" حين وجه الكلام إلى الأقوياء، أي "الحكومة البريطانية" قائلاً:

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة وختمنا لجنـدكم بالبسالة⁽¹⁾
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً كيف ننسى انتدابـه واحتلاله
وخجلنا من لطفكم يوم قلتم وعد بلفور نافذ لا محالة
كل أفضالكم على الرأس والعين وليس في حاجة للدلالة
ولئن ساء حالنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حالة
غير أنّ الطريق طالت علينا وعليكم ، فما لنا والإطالة؟
أجلاء عن البلاد تريدون فنجلو، أم مَحَقْنَا والإزالة؟

السخرية اللاذعة بحكومة الاحتلال البريطاني في هذه المقطوعة واضحة، فقد بلغ فيها الشاعر الذروة في البيتين الأخيرين، حين أكد أنّ الطريق طالت، وحين تساءل بتهكم وسخرية عما تريده حكومة الاحتلال البريطاني.

وللشاعر في هذه الوسائل عبارات كثيرة استطاع من خلالها معالجة القضايا العامة معالجة يمتزج بها الحسّ بالفكر، حتى ملأها بالتهكم والسخرية، وقلب الدلالات إلى معكوسها فوصل بالتعبير الفني إلى مستوى رفيع لا بل غاية في الروعة والجمال.

وقد استخدم الشاعر بعض الأمثال الشعبية الشامية التي يستخدمها أهل الشام بكثرة، مثل: خجلنا من لطفكم، كلّ أفضالكم على الرأس والعين. وهذا ما يدل ويؤكد على الصلات الوثيقة بين أهل بلاد الشام. وفي قصيدة "رثاء أبي المكارم" يقول إبراهيم طوقان:

أبا المكارم أشرف من علاك وقل أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيب⁽²⁾
تجد قويا وفي وعد الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص213

(2) المصدر نفسه، ص230

لقد تحول شعر رثاء الشهداء الأبطال إلى مسرح لشرح القضية والتحريض ضد المستعمر الغاصب، ففي النموذج الشعري السابق تصوير للواقع وتسجيل حقيقة، فأسلوب الشاعر بعيد عن الخيال، لقد كانت فلسطين حقيقة دنيا الأعاجيب، فقد وفّت بريطانيا بوعدها للصهيوني الدخيل الذي لا علاقة له بفلسطين، فيما كان لأهل البلاد منها مواعيد عرقوب.

إنّ أسلوب الشاعر المتشكّل من كلمات وجمل عبّر فيها عن الواقع تعبيراً دقيقاً إذ استخدم ألفاظه وتراكيبه استخداماً عادياً بعيداً عن المجاز، كقوله: "أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيب"، "ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب".

ونلمس الأسلوب نفسه في قصيدة "تشيد البراق"، قال:

لا تسمعوا كذب الوعود أعداؤنا خانوا العهود⁽¹⁾
دوسوا على روس اليهود فدى البراق والحرم

أما ما يخصّ الجانب العاطفي في النماذج السابقة من شعر إبراهيم طوقان فنجد أنّ العواطف فيها تجرّت من أحداث محنة فلسطين، وانبتقت من جوانبها، وثارت على الباطل والظلم، وأشعلت في عرب فلسطين الحماسة للدّفاع عن وطنهم، وقد توافر فيها الصدق الشعوري؛ لأنّ الدافع إليها وطني وديني لا نفع خاص وحرص ذاتي فيها.

ب- قال الشاعر عبد الرحيم محمود، في قصيدة "وعد بلفور":

غدر الحليف وأي وعد صانه يوماً وأية ذمة لم يخفر⁽²⁾

استخدم الشاعر ألفاظاً سهلة، ومعاني واضحة، وتراكيب بسيطة أقرب ما تكون إلى ما يتداوله متقفو الطبقة الوسطى، فجاء بجملة خبرية، "غدر الحليف" وأكّدها بما هو معروف لدى أبناء شعبه بعامّة، بجملتين إنشائيتين هما: وأي وعد صانه؟ وأي ذمة لم يخفرها؟! وقال في قصيدة "عيد الجامعة العربية":

ظللنا نغرر بالوعود وينظلي كذب ويفعل فعله الإيهام⁽³⁾

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص258

(2) عبدالرحيم محمود، الديوان، ص40

(3) المصدر نفسه، الديوان، ص26

واغصب حقوقك قط لا تستجدها إن الأولى سلبوا الحقوق لثام
هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسّام

تأثر الشاعر عبد الرحيم محمود بالقسام ونضاله العملي الذي جعله نهجاً يجب على كل فلسطيني أن يسلكه إذا أراد خدمة بلاده، فقد تأثر تأثراً كبيراً به وبالأسلوب الذي سار عليه للدفاع عن فلسطين، ومرد ما امتاز به أسلوبه من الوضوح، أنه يعيش في أوساط العامة، فهو حريص على أن يفهم الناس شعره، ليشيع فيهم؛ لأن المرحلة التاريخية تحتم على حركة النضال في هذا الدور أن يكون الفكر رائدًا وواعيًا للحسّ في الأحداث.

ومن الأمثلة على استخدامه التراكيب والألفاظ السهلة الواضحة قوله: "نغرر بالوعود" ، و"إن الذين سلبوا الحقوق لثام"، و"اغصب حقوقك قط لا تستجدها"، وباقي التراكيب المشكّلة للأبيات الثلاثة، فهذه العبارات تمتاز بالقوة والإيقاع الحاد الغاضب، فالشاعر اختار الكلمات التي تصوّر إحساسه، واستطاع الملاءمة بين الأفكار والألفاظ.

ووظف أسلوب الأمر والنهي، الذي يفيد الحثّ على السعي، واستنهاض الهمم، والدعوة إلى السير في طريق الجهاد على خطى القسام، فهذه طريق الحياة الكريمة والحرية لا غير.
واتبع الشاعر عبدالرحيم محمود أسلوبًا جديدًا في قصيدة "أحاجي فجااء تنديده بوعد بلفور على هيئة أحجية طلب من مستمعيه معرفتها بعدما سرد لهم بعض صفاته، وهذا ممّا يتطلّب الوضوح في الألفاظ والعبارات، من مثل قوله: "وهب الشحاذ ما ليس له"، و"لا اسميه فمن يحزره"، ... فالوضوح من صفات الأسلوب الجيد لأنه للعقل. ومن هنا جاءت السهولة في اختيار الكلمات القادرة على توصيل الفكرة إلى مستمعيه لمعرفة ماذا يعني.

والنماذج الشعرية التي ذكرتها الباحثة من قصائد عبدالرحيم محمود في التنديد بوعد بلفور تعكس بعض القضايا اللغوية مثل: الرمز، والدلالة السياسية، والدلالة التاريخية، وتوظيف بعض أعلام الجهاد في فلسطين. وسيتم بحث هذه القضايا على النحو الآتي:

1- الرمز هو " أسلوب من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجهًا لوجه " (1). والرمز الذي نعنيه يعكس تصورًا وفكرة يريد الشاعر إيصالها إلى السامع أو القارئ، من غير التصريح بها وذلك يكون أقوى في

(1) عبدالكريم اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي، ص 255

التعبير، كلما كان الرمز المستخدم مفهوماً للخاصة والعامة على حد سواء، والرمز الذي استخدمه الشاعر عبدالرحيم محمود واضح في قصيدة " أحاجي "، قال:

طفق المظلوم يشكو أمره فأتى يشكو إلى مَنْ ظلمه⁽¹⁾
قال فالكسرة حقي ردها غير أنّ الظلم دنيا مظلمة
قسّم الظالم من علمه قسمة عادلة مَنْ علمه؟
قال للشّحاذ خذ نصفاً وخذ أنت نصفاً، يا له ما أظلمه!
وحكى الشّحاذ بل لي كلّها حقي الموروث لا، لن نقسمه

الشاعر في هذه الأبيات رمز إلى قضية الصراع بين العرب والصهاينة وموقف بريطانيا الجائر منه، فالمظلوم رمز للعرب، والظالم رمز لبريطانيا، والشحاذ رمز للصهاينة، لأن الصهاينة اتبعوا أسلوب الشحاذ في بداية أمرهم، كما تبرز في هذه الأبيات سخرية الشاعر من بريطانيا التي تعطي ما ليس لها، ومن اليهود الذين شبههم بالشحاذين.

وفي هذا الرمز صورة تعمق المعنى الذي أراده الشاعر، فدواعي السياسة جعلت الشاعر يتستر في أقواله، وسبب ذلك أن بريطانيا كانت تشدّد أحكامها الظالمة على مَنْ تتهمه بالتحريض على سياسة الاحتلال البريطاني، ونتيجة لذلك لجأ الشاعر إلى الرمز، ففي البيت الأخير يظهر إبداعه واستخدامه للرمز. ومن مواطن الرمز -أيضاً- ما ورد في قصيدته "وعد بلفور" إذ يقول:

غدر الحليف وأي عهدٍ صانه يوماً وأية ذمةٍ لم يخفر⁽²⁾

فقد رمز بكلمة (الحليف) إلى بريطانيا، إذ لم يذكر اسمها صراحة، خوفاً من بطش سلطات الاحتلال البريطاني الغاشمة.

(1) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص 97-99

(2) المصدر نفسه، ص 40

2- توظيف بعض الأعلام لدلالات سياسية

وظّف الشاعر عبدالرحيم محمود أسماء أعلام ذات دلالات سياسية، ولا سيّما ما يتعلّق بقضية فلسطين كلفظة (بلفور) في قوله:

بلفور ما بلفور ماذا وعده لو لم تكن أفعالنا الإبرام⁽¹⁾

(بلفور) اسم وزير خارجية بريطانيا عام 1917، وأصبح اسمه علمًا على وعده، أي بإقامة المضاف إليه مقام المركب الإضافي (وعد بلفور). ولكلمة "بلفور" دلالة سياسية للوعد البريطاني لليهود لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وأسلوب التكرار والاستقهام في قوله: "بلفور ما بلفور ماذا وعده" يدل على السخرية من هذا الوعد وأنّه لا قيمة له لولا تحالف العرب مع بريطانيا ضد الأتراك مما سهل على اليهود دخول فلسطين تحت الحماية والدعم البريطاني، فالعرب أخذوا جزء ما عملوا في وقوفهم إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.

كما وظّف الشاعر اسم (القسّام) كعلم من أعلام الجهاد الذين كان لهم دور في ثورة عام 1936. ويبدو تأثر الشاعر بالقسام في قوله:

هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسّام⁽²⁾

فالقسّام في نظر الشاعر قدوة تتبع في طرق الجهاد.

3- الدلالة التاريخية

يظهر في الأبيات الشعرية التي ندّد فيها عبدالرحيم محمود بوعد بلفور لفظة (قيصر) في قوله:

العرب ما خضعوا لسلطة قيصر يومًا ولا هانوا أمام تجبر⁽³⁾

(1) عبدالرحيم محمود، الديوان، ص40

(2) المصدر نفسه، ص40

(3) المصدر نفسه، ص39

هذي البلاد عريننا وفدى لها من وُدٍ يعرب كلَّ أسد هصّر

فلفظة (قيصر) ذات دلالة تاريخية ترجع بالسامع أو القارئ إلى التاريخ القديم، حينما كانت الامبرطورية الرومانية في أوج عظمتها، وكان قيصر الروم يمثل شخصية عظيمة النفوذ، ويرتبط (القيصر) في الأحداث التاريخية العربية، فذكر الشاعر لفظة (القيصر) ليثبت أن العرب رغم قوة الروم السابقة لم يهنوا يوماً أمامهم ولم يخضعوا لسلطتهم وسلطة أي متجبر ظالم غيرهم، فقد كانوا أسوداً في بلادهم حموها منذ عهد جدهم الأول وحافظوا عليها ضد أي معتد دفاع الأسد عن عرينها.

ومن جانب آخر يظهر في البيتين السابقين ذوبان إقليمية الشاعر عبدالرحيم محمود في قوميته، وذلك في ردّه على وعد بلفور الذي كان إهانة لمشاعر العرب بعامة، إذ نلمس هذا في لفظتي (العُرب) و (يعُرب).

أما الجانب العاطفي الذي تضمّنه أسلوب عبد الرحيم محمود في النماذج الشعرية السابقة فيتمثل في انفعاله وإحساسه الذي لَوّن به أفكاره، فالعاطفة هي توأم الأسلوب الأدبي لتشيع فيه الروعة، فعواطف الشاعر عبدالرحيم محمود تبعث فينا حماسة النهوض بالواجبات الفردية والجماعية، إذ الأدب المثالي هو: الأدب الذي يتّصل بأنبل العواطف، وهذا ما نلمسه في النماذج الشعرية سابقة الذكر، فعندما ندّد عبدالرحيم محمود بوعد بلفور ثار على الباطل، ومجّد الحق والعدل، وأشاع في عرب فلسطين الحماسة للدفاع عن وطنهم، فعواطفه صادقة نابعة من حسّه الوطني والديني إذ يرى الجهاد طريق الحياة الكريمة لا غير.

ج- ندّد الشاعر محمد علي صالح بوعد بلفور في ثلاث قصائد وهي: "ليلي وبلفور" و"حكومة الطور"، و"يوم 2 نوفمبر"، قال في الأولى:

قل لهم بلفور يأتيكم غداً هل تكاتتم إلى هذا الخبر⁽¹⁾

انفروا للقدس هيا، وثقوا رفقتي (بلفور) من خلف البحر

وأبرقوا رفضاً لوعد جائر لرجال الغرب وامحوا الأثر

وقال في القصيدة الثانية:

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

ما سطر التاريخ وعدًا كالذي أوعده شعبًا غدا مدحورا⁽¹⁾
نيرون هل فعلت يداك كهذه أن بعت أرضًا أو كسرت شعورا
كلا ولا جنكيز قام بمثله فتصفحوا التاريخ أو تيمورا

وقال في القصيدة الثالثة:

لا بارك الله في ذا اليوم إنّ به يا آل قحطان وعدًا واضح الضرر⁽²⁾
قد قام بلفور فيما تعرفون ولم يعلم بأنا أسود الموقف الخطر
تالله لا نقبلن الوعد ما برحت فينا دماء ولا نرضاه من خبر
إننا لنرفض هذا الوعد أجمعنا أهل العروبة من بدو ومن حضر
كما رفضناه في عام مضى وكذا في كل عام سيأتينا بلا خور

الناظر إلى أسلوب الشاعر في الأبيات السابقة يرى أنه عمد إلى اختيار الكلمات السهلة المألوفة، وتجنب الألفاظ الصعبة والغريبة، كما أنه استعمل الصيغ الإنشائية من: أمر، واستفهام، ودعاء، وقسم، وأخذ صورته وتشبيهاته من البيئة التي يعيش فيها.

فأسلوب الشاعر سهل واضح، والشعر عنده وسيلة لتوصيل الأفكار والمواقف إلى المتلقي، فهو أقرب إلى المباشرة والخطابة بعيدًا عن الغموض والغرابة.

ومردّ وضوح هذا الشعر هو وعي الحس لدى الشاعر الذي عاش مرحلة تاريخية من حركة النضال الفلسطيني، التي تحتم على المفكر أن يكون رائدًا وواعيًا للمعاني والأحداث. ومن هنا كانت حتمية الممازجة بين الحس والفكر في تلك الحقبة من حياة الناس بعامّة وحياة الشعر الفلسطيني بخاصة، وهذه الممازجة تقتضي

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

(2) المصدر نفسه، ص20

الوضوح والقوة في الأسلوب، ولن تتحقق هذه الصفات إلا إذا اختار الشاعر أكثر الكلمات قدرة على تصوير إحساسه، واستطاع الملاءمة بين الأفكار والألفاظ.

أما إذا تناولنا الجانب العاطفي فإننا نجد صدق الإحساس، وقوة العاطفة تملأ هذا الشعر، الأمر الذي يعكس لنا حالة التلاحم بين الشاعر ووطنه وشعبه، إنه تلاحم نابغ من حالة الوعي بجسامة الخطب وخطورة التحدي.

د- ندد الشاعر وديع البستاني بوعد بلفور في قصيدة "بلفور في دمشق" فقال:

لا يحل القرى لمثلك ضيفاً	سمه مفسد لمخ الطعام ⁽¹⁾
ميرم الوعد ناقض العهد حدّث	إن تحدث عن حادث الأيام
ميرم الوعد ناقض العهد ماذا	بعد برد من نارنا وسلام

أدرك الشاعر حقيقة الموقف وخطورته ودوره في الحياة، ورأى أن الصياغة الكلاسيكية بخطابيتها هي ما يناسب هذا الموقف السياسي الوطني، وحاول من خلال الألفاظ التي اختارها الملاءمة بين الفكرة واللفظ، فجاءت ألفاظه سهلة مألوفة بعيدة عن التعقيد، كما عمد إلى استعمال بعض الصيغ الإنشائية من: أمر، واستفهام لما لذلك من دلالات بلاغية تناسب الموقف.

كما أننا نلمس الأسلوب نفسه في قصيدته "الرد على الرصافي" إذ ندد بوعد بلفور، فقال:

أنؤمن في (بلفور) بعد محمد	وعيسى وموسى والوزير من الوزر ⁽²⁾
وربك: لا، فالوحي في الذكر صادق	يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر

الفكرة التي يودّ الشاعر أن يؤكد لها لبلفور تتمثل في أنّ العرب وأهل فلسطين لن يقبلوا بوعده مهما امتد الزمن، وقد استخدم أسلوب الاستفهام والقسم لتأكيد هذه الفكرة، إذ قدمها بقلب لفظي سهل وبسيط وهذا ما أكسب أسلوبه الجودة، فالوضوح من سمات الأسلوب الجيد.

أما العواطف التي لَوّن بها أفكاره، فتتمثل في احتقار الخيانة، والبغض والكرهية للاحتلال البريطاني، وهي من جانب آخر تتناول الحقّ وتوثق صلتنا بالحياة.

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص163

(2) المصدر نفسه، ص110

هـ- جاء في قصيدة "أرض الثورات" للشاعر هارون هاشم رشيد، تنديد بوعد بلفور، إذ قال:

وتحمس القذر الخسيس⁽¹⁾

الوغد "بلفور" الوزير

ورمى بوعد الشر

وعد سييصق كل

إنسان على "بلفوره"

الحقد في كلماته

والذل ملء سطوره

وعد بتوطين اليهود

فيا لذل مصيره

وعد سيبقى سبة

التاريخ عبر دهوره

كلمات وعبارات الشاعر تنبض بالحس الواعي، وتجسّد أبلغ معاني الوطنية الصادقة، فجاءت الألفاظ تناسب ما انطوى عليه الوعد من الشر تجاه العرب، فبلفور وغد خسيس. والعبارات تذم ما خطّت يده، وما ألقى لسانه، وعد سييصق كل إنسان على بلفوره، فالحقد في كلماته والذل في سطوره... فلغة الشاعر فصيحة خالية من اللحن والعامية، وتميل إلى البساطة والسهولة، أمثال: ورمى بوعد الشر، الحقد في كلماته، فيا لذل مصيره...

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص313

والفكرة في الشعر لا تقدّم جافة بل ممتزجة بإحساس الشاعر، وملوّنة بعواطفه. فالشاعر ساخط على بلفور ووعدده، والغرب وأطماعه، وخسّة اليهود، وهو ثائر على هذا الوعد، وعلى مبرمه وعلى الدوافع التي أدت إلى إبرامه.

ومما لا شك فيه أن العاطفة قوام الشعر، فإذا افتقر منها غدا شعرًا بلا شعور، وهبط إلى النظم الذي ليس له من الشعر إلا الوزن والقافية.

وخلاصة القول إنّ الأسلوب في قصائد وعد بلفور التي شكلت مادة الدراسة في هذا البحث، هو طريقة النظم، وإنّ الاختلاف بين قصيدة وأخرى يكون في صوغ العبارات وسهولتها أو تعقيدها، وفي اختيار الأفكار وكيفية ترتيبها، فلكل شاعر مذهبه أو أسلوبه الخاص. إلّا أنّ معظم الشعراء الذين تناولت هذه الدراسة شعرهم، يمكن وصف أسلوبهم بأنه أسلوب عصري حديث لأنهم جدّدوا في الأفكار والصور والصيغة.

وإنّ جمال وجودة القصائد التي قيلت في وعد بلفور، وتأثيرها في النفس لا يرجع إلى الفكرة وحدها أو اللغة الشعرية أو العاطفة بل إلى ذلك كله.

وفي نهاية هذا الموضوع لا يفوت الباحثة أن تشير إلى أنّ النماذج الشعرية التي ذكرت في دراسة أسلوب الشعر الذي قيل في وعد بلفور لم تشمل القصائد جميعها وإنما اقتصر الحديث على بعضها، وذلك تلافياً للإطالة، إذ أنّ دراسة أسلوب القصائد التسع والعشرين يحتاج إلى عدد من الصفحات بما لا يتناسب مع هذه الرسالة.

رابعًا - التناص

التناص، مكون أساسي من مكونات النص الأدبي سواء أكان شعرًا أم نثرًا، والمتتبع لمفهوم تأليف النص في الأدب العربي القديم والحديث يجد أنّ ظاهرة تناص النصوص هي سمة جوهرية فيه. وقد استخدم شعراء فلسطين الذين قالوا في وعد بلفور أساليب متنوعة من التناص سندرسها ضمن ثلاثة محاور وهي: الدين، والتاريخ، والأدب.

1- التناص الديني: وهو اعتماد الشاعر على الاقتباس والتضمين من كتب الأديان السماوية الثلاثة أو أقوال الأنبياء، ما يجعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية قوية تزخر بجوانب وقيم أخلاقية.⁽¹⁾

ويلاحظ تأثر بعض شعراء فلسطين الذين قالوا في وعد بلفور بقصص القرآن الكريم والآيات الكريمة ذات الدلالات والإيحاءات التي يستمد منها الشعراء المعنى الذي يتوافق مع الحدث الذي يتحدثون عنه، فهذا الشاعر إبراهيم طوقان يوظف حادثة الطوفان في قصة نوح عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم، إذ قال:

مَنْ كان ينكر نوحًا أو سفينة
فإن نوحًا بأمر الله قد عادا!!⁽²⁾
بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم
وكان وعدًا تلقيناه إيعادا
واليوم من شؤمكم نبلى بكارثة
هذا هو الطين والماء الذي زادا

ربط الشاعر في الأبيات السابقة بين الطوفان الذي حدث زمن النبي نوح، عليه السلام وطوفان الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد وعد بلفور، والطوفان الذي أغرق مدينة نابلس وضواحيها عام 1935⁽³⁾. إذ شبه ابتعاد أهل فلسطين عن الدين بعصيان قوم نوح عليه السلام فكان عقابهم طوفان الهجرة اليهودية إلى فلسطين والفيضان.

(1) ينظر : أحمد الزعبي، التناص نظريًا وتطبيقيًا، ص12

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص214

(3) المصدر السابق، ص214

وهذا الأسلوب من التناص الديني نجده جليًا في الأبيات الشعرية التي ردّ بها على شاعر اليهود (رتوبين) عندما عيّر العرب بأنهم أبناء هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام التي ولدت منه إسماعيل عليه السلام جد العرب، قال الشاعر إبراهيم طوقان:

هاجر أمانا ولود رؤوم لا حسود ولا عجوز عقيم⁽¹⁾

يوسف باعه أبوكم يهوذا إن حب الدينار فيكم قديم

وظّف الشاعر إبراهيم طوقان هنا قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام وولادته من السيدة هاجر، الواردة في القرآن الكريم، وأنّ الله تعالى أثنى عليه في قوله تعالى: "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا"⁽²⁾ صدق الله العظيم، وفي هذا دلالة على شرف إسماعيل عليه السلام جدّ عرب الحجاز كلهم على أخيه إسحاق عليه السلام جدّ اليهود، لأنه وصف بالنبوة فقط، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة، وقد ثبت في صحيح مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل"⁽³⁾ أما الفكره في البيت الثاني مقتبسة من التوراة. " فقال يهوذا لإخوته : ما الفائدة من أن نقتل أخانا ونخفي دمه. فقالوا نبيعه للإسماعيلين"⁽⁴⁾.

ونجد الشاعر إبراهيم طوقان، أيضًا، يوظّف قصة التيه الواردة في القرآن الكريم عندما غضب الله على اليهود فعذبهم بالشتات والتفرق في البلاد، إذ قال:

يا يهودي هل سمعت بشعب ضلّ حتى في كل قطر يهيم⁽⁵⁾

وغريب من الغرائب أن يجمع شملاً شتاته محتوم

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص113

(2) سورة مريم، 19 آية 54

(3) ينظر تفسير ابن كثير، ج3، ص122-123

(4) التوراة، سفر التكوين، إصحاح37، رقم 26/27.

(5) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص116

غضب الله ما يزال عليكم وعد بلفور دونه مهزوم

يوضح الشاعر إبراهيم طوقان في هذه الأبيات أنّ الحكم الإلهي على اليهود لن يلغيه حكم بلفور ووعده لهم بإقامة دولتهم في فلسطين بل سيندثر هذا الوعد أمام حكم الله تعالى والشاعر هنا يوظف القصة، التي أشارت إليها الآيات الكريمة في قوله تعالى: " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) " (1) صدق الله العظيم

تبين هذه القصة فضائح اليهود ومخالفتهم لأوامر الله ورسوله ونكولهم عن طاعتها فيما أمرهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالتهم ومقاتلتهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ، هذا وهم في جهلهم يعمهون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه(2).

و بهذا الأسلوب المتمثل بالتناص الديني عالج الشاعر إبراهيم طوقان قضية تخص العرب عامة عندما عيّرهم شاعر اليهود بجدهم إسماعيل عليه السلام ابن السيّد هاجر. وهذه معالجة امتزج فيها الحسّ بالفكر بقصد إثبات مضمونه الشعري ما جعل تعبيره يرتقي إلى مستوى فني رفيع.

والشاعر محمد علي صالح اختار ألفاظاً من القرآن الكريم وظفها في شعره الذي قاله في وعد بلفور وذلك كما في قوله:

إنّا سنحمي حمانا بانتفاضتنا على عدو غريب طامع أشر(3)

ويكتب القوم يا أرضاً مطهرة فكي القيود ولا تبقي ولا تذري

بيّن الشاعر هنا أنّ الانتفاضة والجهاد هما الطريق لإنقاذ الأرض من أنياب العدو المغتصب لفلسطين، ووصفه في البيت الأول "طامع أشر" وفي توظيفه لهذه الكلمة إشارة للمعنى الوارد في قوله تعالى: " أَلْقِي

(1) سورة المائدة ، 5 الآيات 24-26

(2) ينظر: تفسير ابن كثير، ج2، ص36-39

(3) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

الدُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ" (1) والشاعر بهذا الأسلوب بين صفات الصهاينة والاحتلال البريطاني المتمثلة في الطمع والكذب والغدر.

وفي البيت الثاني قال : "فكّي القيود ولا تبقي ولا تذري" ، الشاعر يشجع قومه على الجهاد وتطهير أرض فلسطين من الأعداء، لفلكّ قيدها ونيل حريتها، ولتكن مقبرة للغزاة الطامعين، وناراً حارقة لا تبقي منهم أحد ولا تذر، وهو بهذا المعنى متأثراً بقوله تعالى في وصف نار جهنم : " لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ" (2). فاقْتباس الشاعر عبارة "لا تبقي ولا تذر" من القرآن الكريم وتوظيفها في النص الشعري السابق يعكس مدى شدة المقاومة الفلسطينية لقوات الاحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية الإجرامية.

والشاعر محيي الدين عيسى الصفدي أيضاً وظّف ألفاظاً من القرآن الكريم في قوله:

وإذا نجم هوى منهم بدا نجم جديد (3)

ففي قوله " نجم هوى" متأثراً بالآية الكريمة " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ" (4) صدق الله العظيم. فتوظيف الشاعر لهذه العبارة المقتبسة من القرآن الكريم تدل على سقوط العديد من الشهداء الفلسطينيين أثناء المقاومة الفلسطينية لقوات الاحتلال البريطاني، ومما يدل على شدة المقاومة الفلسطينية واستمراريتها.

وكذا الشاعر وديع البستاني في قوله :

ميرم الوعد ناقض العهد ماذا بعد برد من نارنا وسلام (5)

(1) سورة القمر، 54 آية 25

(2) سورة المدثر، 74، آية 28

(3) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوان شعر: من فلسطين وإليها، ص13

(4) سورة النجم، 53 آية 1.

(5) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص163

وظف ألفاظاً من القرآن الكريم في قوله " برد من نارنا وسلام " متأثراً بقوله تعالى : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " (1) صدق الله العظيم. فتوظيف هذه العبارة يدل على ما سيلقاه الاحتلال البريطاني من المقاومة الفلسطينية الشديدة كالنار الملتهبة ولن يحيا حياة البرد والسلام كما كان يظن.

هكذا كان القرآن الكريم، بألفاظه ومعانيه، منهل الشعراء يتأثرون فيه، مقتبسين ألفاظه ومعانيه، مستبطين منها المعنى الذي يهدفون إليه في تنديدهم بوعد بلفور وغدر بريطانيا بالعرب.

2- التناص التاريخي ويعني: تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاه مع النص الأصلي للقصيدة بإذ تبدو مناسبة ومنسجمة معه(2).

ومن شعراء فلسطين الذين قالوا في وعد بلفور ووظفوا التاريخ في قصائدهم الشاعر إبراهيم طوقان، إذ قال:

ليت لي من جماعة السار قومًا	يتفانون في خلاص البلاد(3)
أو كإيمانهم رسوخًا عميقًا	ثابت الأصل في قرار الفؤاد
مثل هذا الإيمان يضمن للأوطان	عزًا، ومثل هذا التفادي
لا كإيمان من نرى في فلسطين	قصير المدى، كليل الزناد
يتداعى إذا تسلط وعد	أو وعيد عليه عند العوادي

كان الشاعر إبراهيم طوقان واعيًا لمخططات الاحتلال البريطاني والصهيوني، فربط بين بعض المواقف التاريخية، ليفيد منها شعبه، ومن ذلك جماعة (السار) الألمانية(4)، فوظف هذه الحادثة التاريخية في نصه

(1) سورة الأنبياء، 21 آية 69

(2) أحمد الزعبي، التناص نظريًا وتطبيقيًا، ص12

(3) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص210

(4) حادثة جماعة السار هي أن ولاية ألمانية، على الحدود الفرنسية، وقعت أثناء الحرب العالمية الأولى تحت سيطرة فرنسا، وعاش سكانها تحت الحكم الفرنسي، وبعد ذلك جرى استفتاء لسكان هذه الولاية، فاخترتوا انضمامهم لألمانيا، وذلك نابع من حبهم وإيمانهم الوطني.

الشعري من أجل دعوة شعب فلسطين للنضال وتجنب الخلافات الحزبية ومن أجل التصدي لوعد بلفور، والسير في طريق الجهاد من أجل حرية وطنهم وسلامة أراضيه ورفع إيمانهم بقضيتهم.

وكذا الشاعر عبدالرحيم محمود عمد إلى توظيف كلمة "القسام"، إذ قال:

هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسام⁽¹⁾

وظّف الشاعر اسم "القسام" وهو أحد أعلام الجهاد في فلسطين الذي كان له دور بارز في ثورة عام 1936م، ليكون قدوة تتبع في طرق الجهاد، ليجعل أهل فلسطين بخاصة والعرب بعامة يمشون على طريقه في الكفاح المسلح، فهو طريق الخلاص ونيل الحرية والحياة الكريمة لا غير.

ووظّف الشاعر عبدالرحيم محمود، أيضًا، كلمة "قيصر" في قوله:

العرب ماخضعوا لسلطة قيصر يومًا ولا هانوا أمام تجبر⁽²⁾

وفي ذلك توظيف للتاريخ القديم، إذ يرجع بالسامع إلى قيصر الروم، الذي كان يمثل شخصية عظيمة النفوذ، ليثبت أنّ العرب لم يخضعوا لسلطة الروم وسلطة أي متجبر ظالم غيرهم، وفي توظيفه لكلمة "قيصر" تبدو نغمة التهديد للعدو البريطاني والصهيوني ليعلموا أنّ العرب قادرون على التصدي لمشروعهم الذي يرمي لاغتصاب فلسطين وإقامة الوطن القومي لليهود فيها.

والشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في قصيدة إيه يا يوم الثلاثاء رغم أنّ موضوع القصيدة هو الرثاء إلاّ أنّه زرع الأمل في نفوس الشعب عن طريق توظيف تاريخ العرب وذكر صفاتهم الحميدة، إذ قال:

فرويداً إنّ مجدّ العربِ لأبْدُ يعودُ⁽³⁾

وفتى العربِ كريمٍ وفتى العربِ حقوْدُ

(1) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص26

(2) المصدر نفسه، ص39

(3) محيي الدين الحاج عيسى الصفدي، ديوان شعر من فلسطين وإليها، ص13

وظّف الشاعر بعض الصفات العربية الحميدة المتوارثة منذ العصر الجاهلي إلى أيامنا الحاضرة وذلك بما يتميزون به من الكرم ورفض الذل، ليبين للعدو البريطاني استعداد شعب فلسطين للمقاومة وعدم التنازل عن حقهم مهما كلفهم ذلك من التضحيات.

ومن النماذج الشعرية الأخرى التي تتدّد بوعد بلفور، ويبدو فيها أسلوب التناص التاريخي واضحاً، أبيات الشاعر محمد علي صالح من قصيدة **حكومة الطور**، إذ قال:

ما سطر التاريخ وعدًا كالذي أوعده شعبًا غدا مدحورا⁽¹⁾

نيرون هل فعلت يداك كهذه أن بعت أرضًا أو كسرت شعورا

كلا ولا جنكيز قام بمثله فتصفحوا التاريخ أو تيمورا

نَدّد الشاعر بوعد بلفور الذي يمثّل جريمة في حق العرب لم يحدث مثلها على مرّ التاريخ، ولإثبات هذه الفكرة ضمّن الأبيات السابقة أسماء شخصيات من جبابرة التاريخ مثل: الملك نيرون الطاغية الروماني، و**جنكيز خان**⁽²⁾ الجبار الظالم، و**تيمور لنك السّفاح**⁽³⁾.

(1) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20.

(2) جنكيز خان : قائد مغولي ولد سنة 1155م في إقليم "دولوف يلدق" في آسيا الوسطى وهو اليوم في بلاد الروس ووالده أمير قبيلة من قبائل التتر، وقد سماه "تموجين" . وهو فاتح شرقي من أشهر الفاتحين الذين دانت لهم الدول والشعوب، و**جنكيز خان** شنّ حروباً كثيرة ضد القبائل المغولية في منغوليا وضد شعوب سيبيريا، وفي الفترة ما بين 1188-1206م، أسس إمبرطورية كبيرة تمتد غرب الصين إلى أواسط إيران، وكانت سياسته تتطلع إلى احتلال العالم . وفي عام 1206م تمّ تنصيبه "خاناً" أعظم على القبائل المغولية في منغوليا، ولقّب نفسه إمبرطوراً، واتخذ اسم "جنكيز خان" ووسع إمبرطوريته على حساب ظلم الشعوب، وسفك الدماء، وقتل الأبرياء، والقسوة الوحشية، وهو يصور العظمة في أقسى صورها، والعبقرية الحربية التي لا تعرف الرحمة، ولا تؤمن بالعدالة من أجل شهوة الفتح والطغيان ولكنّ الزمن عفى على هذه الشهوات الطاغية، فدالت دولته وانهارت عظمتها لأنها عظيمة ليست في خير الإنسانية وهو يصلح أن يكون عظة للساسة والمسيطرين المتوحشين في عصرنا الحاضر. عاد إلى وطنه من فتوحاته عام 1225م ثم مرض ومات عام 1227م، وهكذا انتهى باغ من أكبر البغاة، فقد اعتدى وسفك الدماء وغصب حقوق الأمم، ثم انتهى وبقيت حياته قصة وعبرة عبر التاريخ. ولزيادة الاطلاع على هذه الشخصية التاريخية ينظر كتاب: **جنكيز خان سفاح الشعوب**، تأليف الكاتب الصيني، ف.يان. ترجمة السيدة صوفي عبدالله، وكتاب عجائب المقدور في نواب تيمور، لابن عربشاه، ص45-46.

(3) تيمور لنك : قائد مغولي، واسمه تيمور وهو باللغة التركية الحديد، واللنك هو الأعرج، وعرف بتيمور لنك، ولد في قرية بالقرب من مدينة "كش" من أعمال ما وراء نهر جيحون من ناحية إيران الشمالية الشرقية، وكانت ولادته عام 1336م، ووفاته عام 1405م، وقبره في مدينة سمرقند، ويوجد على شاهدة قبره نقش حجري جاء فيه سلسلة نسب طويلة يلتقي به نسب جنكيز خان. يتبع

والشاعر محمد علي صالح بتوظيف هذه الشخصيات في نصه الشعري يصبح غنياً وحافلاً بالدلالات والمعاني التي يقصدها، إذ إن ما فعله المجرمون من أمثال جنكيز خان وتيمور لنك لم يخف الأمة الإسلامية عندما تمسكت بدينها، وسارت على طريق الجهاد، فكان النصر حليفها، وكانت قادرة على دحر الأعداء على الرغم من وحشيتهم ومعاداتهم للحضارة الإنسانية. وعلى الأمة العربية والإسلامية اليوم أن تأخذ العبرة من التاريخ وتقف صفاً واحداً في مقاومة الاحتلال البريطاني ومنع تنفيذ وعد بلفور، وعليها أن تسير في طرق الجهاد من أجل تحرير فلسطين.

هكذا كان التاريخ حاضراً في أذهان شعراء فلسطين الذين قالوا في وعد بلفور، إذ استمدوا معانيهم من التاريخ القديم، والتاريخ العربي والإسلامي، ووظفوا شخصيات مثل: جنكيز خان وتيمور لنك كان لها إحياءات معينة ربطها الشعراء بالواقع الذي يعيشونه.

3- التناص الأدبي وهو: تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة مع نص القصيدة الأصلي بإذ تكون: منسجمة، وموظفة، ودالة على الفكرة التي يطرحها الشاعر، أو استحضاره بعض الأساطير القديمة، وتوظيفها لتعميق رؤية معاصرة، يراها في القضية التي يطرحها، أو توظيف الأمثال الشعبية، والأقوال المأثورة⁽¹⁾.

ومن مظاهر تأثر الشعراء الفلسطينيين الذين قالوا في وعد بلفور بالتراث الأدبي، توظيف المثل في شعرهم، إذ تأثر بعضهم بالأمثال الشعبية، ومن الأمثلة على ذلك قول إبراهيم طوقان:

وخجلنا من لطفكم يوم قلتم وعد بلفور نافذ لا محالة⁽²⁾

كل أفضالكم على الرأس والعين وليست في حاجة لدلالة!

... تابع

وترسم تيمور لنك خطى جنكيز خان في السعي لإقامة دولة تحكم العالم كله، إذ كانت الدولة التيمورية تربط نسب تيمور لنك بجنكيز خان، وتيمور لنك التتري، قد خرب بلاداً كثيرة، وأحرق ودمر كل شيء أثناء اجتياحه ما يقرب من نصف قارة آسيا، وبخاصة: شيراز، ودلهي، ودمشق وبغداد. وإن همجية هذا الغازي التتري قد أساءت للإنسانية إساءات لا يمكن أن تنسى، وقد أساء للإسلام الذي كان يدعي اعتناقه له، وقد أنت هذه الجموع المغولية في اجتاحتها لغرب آسيا على كثير من بقايا الحضارة الإسلامية. وللإطلاع على ترجمة وأعمال هذا القائد المغولي، ينظر كتاب: عجائب المقدور في نوائب تيمور، لابن عربشاه.

(1) ينظر: أحمد الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، ص12.

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص213

وظّف الشاعر بعض الأمثال الشعبية الفلسطينية مثل: "خجلنا من لطفكم"، "كل أفضالكم على الرأس والعين". ليدل بها على الفكرة التي طرحها، وهي رفضه لوعده بلفور ولكن هذا الرفض جاء بعبارة مليئة بالتهكم والسخرية بحكومة الاحتلال البريطاني.

ومن الأمثلة، أيضًا، قوله:

تجد قويا وفي وعد الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب⁽¹⁾

الشاعر هنا وظّف المثل الشعبي "وعد عرقوب" من التراث العربي لإيصال الفكرة التي طرحها إلى السامع والقارئ وهي: وفاء بريطانيا بوعددها لليهود، وتكرها للوعود التي قطعته للعرب فكانت وعود كاذبة كوعود عرقوب.

ومن مظاهر تأثر شعراء فلسطين الذين قالوا في وعد بلفور بالأدب البريطاني قول إبراهيم طوقان في قصيدة "رد على رثوبين":

شكسبير خالد القول فيكم أمر (شيلوخ) في الورى معلوم⁽²⁾

غير أن الذين منهم شكسبير تناسوا ما قال ذاك العظيم

الفكرة في البيتين من رواية تاجر البندقية لوليم شكسبير⁽³⁾

(1) إبراهيم طوقان ، المجموعة الشعرية الكاملة، ص231

(2) المصدر نفسه، ص115

(3) تاجر البندقية، للروائي الإنجليزي وليم شكسبير. تدور على أن (شيلوخ) مراب يهودي بمدينة البندقية في إيطاليا، جاءه يوماً رجل اسمه (باسانو) يريد أن يستدين منه مالا لمدة ثلاثة أشهر. فطلب منه كفيلاً على المبلغ وفائدته، فكفله صديق له اسمه (انطونيو) وكان تاجرًا وبإسمه سميت الرواية. وقال (شيلوخ) في نفسه إن انطونيو نصراني يكره اليهود وأنا أبغضه وأود أن أشبع حقدى عليه من دمه، ولذلك اشترط أنه إذا تأخر (باسانو) و(انطونيو) عن أداء المبلغ وفائدته في الوقت المحدد لسداد الدين، فله الحق بأن يقطع ليبرة لحم من جسم أنطونيو، ووافق أنطونيو على هذا الشرط، واتفق أن جاء وقت سداد الدين، ويعجز باسانو عن سداه ولم يكن (انطونيو) في ذلك الحين يملك شيئاً من المال بسبب شرائه بضائع بكل أمواله وإرسالها على سفن إلى بلاد مختلفة وحدث أن تلك السفن غرقت في البحر. فيقف الجميع أمام القاضي، ويصرّ شيلوخ على تنفيذ الشرط المتفق عليه بينهما. فقال له القاضي: اختر المكان الذي ستقطع منه اللحم، فاختر (شيلوخ) الصدر لأنه قريب من القلب. حينئذ اعترضت (بورشيا) خطيبة (باسانو) وقالت ل(شيلوخ) إن الشرط بينكم أن تقطع ليبرة من لحمه، ولكن لا يجوز لك أن تترك نقطة من دمه تسيل...ويعلن شيلوخ عجزه عن ذلك ويريد أن يسترد رأس ماله فقط، ... يتبع ...

وظّف الشاعر إبراهيم طوقان ما حدث في هذه الرواية مع "شيلوخ" اليهودي "أنطونيو" تاجر البندقية، ليظهر الكره المتبادل بين اليهود والنصارى في زمن الرواية. أما دلالة التوظيف المعاصر لشخصية "شيلوخ" اليهودي في النص الشعري فهي ليثبت الفكرة التي طرحها تجاه اليهود بأنهم مصاصو دماء إذا أتحت الفرصة لهم، وإنهم على عكس ما وصفهم به شاعرهم "رئوبين" في قصيدة "أنشودة النصر" التي نشرتها الجريدة اليهودية (دوار هايوم) والتي نقلتها إلى العربية جريدة "فلسطين"، إذ أشاد رئوبين بذكر اليهود وشجاعتهم وما وصف به قومه من المزايا والأخلاق⁽¹⁾.

وشخصية "شيلوخ" تدل على الفكر والعقلية اليهودية الصهيونية التي تخطط وتعمل لاغتصاب فلسطين ونهب خيراتها، وطرد الشعب الفلسطيني من أرضه ووطنه، لبناء الدولة اليهودية على حساب السكان العرب. كما وأنّ الشاعر إبراهيم طوقان أراد أن يذكّر البريطانيين بالعداء بين اليهودية والنصرانية، كما وضحه شاعرهم شكسبير لعلهم يتراجعون عن صداقتهم لليهود، إلا أنّ البريطانيين الذين ينتسب إليهم كاتب الرواية وليم شكسبير، تناسوا ما قال ذلك الروائي العظيم تجاه اليهود.

.... تابع

ثم يتنازل عن رأس ماله أيضاً. فيرفض القاضي إلا أن تصادر أموال شيلوخ فيعطى أنطونيو نصفها ويرد النصف الآخر إلى خزانة الدولة. وهذه الرواية تبرز الكره المتبادل في زمانها بين اليهود والنصارى.

*ينظر: عمر فروخ، شاعران معاصران: إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي، ص 150.

(1) ينظر: إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 113

خامسًا : الصورة الشعرية ووسائل تشكيلها

تتشكل الصورة الشعرية من عناصر عديدة، وأهمها:

1- التشبيه :

التشبيه من أبرز وسائل تشكيل الصورة بلاغيًا، والتشبيه لا يخرج عن كونه الجمع بين شيئين مختلفين على أساس من التماثل، إذ إن هذين الشيئين منفصلين عن بعضهما في الأصل، إلا أن الجمع بينهما يتم على أساس من التقارب في الصفات، وربما يقع التشبيه في الهيئة، أو اللون، أو الحركة.⁽¹⁾

وجذور التشبيه ضاربة في أعماق الوجود الإنساني سعيًا لاقتناص الحقيقة، فالعلاقة بين طرفي التشبيه علاقة رمزية تحمل أبعادًا أكثر من العلاقة الظاهرية بينهما، لتفسير الصورة التشبيهية بأنها ظل للعالم الخارجي، باعتبار أنها نابعة من أسمى الملكات الإنسانية وهي التصور، وإن كان التشبيه قائمًا على المماثلة فذلك متأثر من كون هذه المماثلة في النفس والشعور، إذ أن الصورة التشبيهية بشكل عام مرتدة دائمًا إلى حركة داخلية منتظمة، هي رؤيا الشاعر الخاصة نحو الكون والحياة.⁽²⁾

وأثناء تحدث الباحثة عن التشبيه ودوره في تشكيل الصورة الشعرية لا بدّ من الإشارة إلى أنواع التشبيه، فلكل تشبيه دوره في توضيح الصورة الشعرية ومعناها.

أنواع التشبيه

للتشبيه ثلاثة أنواع وهي:

1- التشبيه الصريح المفرد: وهو ما كان وجه الشبه فيه مفردًا، أي أنّ وجه الشبه ليس صورة منتزعة من

متعدد، ويأتي على أربع صور، وهي :

أ- مرسل مفصل، وفيه تذكر الأداة ووجه الشبه، كما في قول إبراهيم طوقان

ليت لي من جماعة السار قومًا يتفانون في خلاص البلاد⁽³⁾

(1) إبراهيم الدلاهمة، الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني، ص90

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، ص90-91

(3) إبراهيم طوقان ، المجموعة الشعرية الكاملة، ص210

أو كإيمانهم رسوخًا عميقًا ثابت الأصل في قرار الفؤاد

فالكَاف هي الأداة في قوله "كإيمانهم" ووجه الشبه رسوخًا، والصورة الشعرية التي يوضحا التشبيه السابق تمنى الشاعر أن يكون إيمان قومه بقضية وطنهم قويًا راسخًا كإيمان جماعة السار الراسخ العميق في قلوبهم.

ب- مرسل مجمل، وفيه تذكر الأداة ويحذف وجه الشبه، كما في قول إبراهيم الدباغ

الوطن القومي في أعناقنا حبل به نقاد مثل الأسرى⁽¹⁾

فذكرت الأداة وهي "مثل" وحذف وجه الشبه. والصورة الشعرية تتضح من خلال معنى البيت وما فيه من التشبيه إذ صور الشاعر خطورة إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين بالحبل الذي يوضع في عنق الأسير للتحكم في حركته والحد من حريته.

ج- مؤكد مفصل، وفيه تحذف الأداة ويذكر وجه الشبه.

د- مفرد بليغ، وفيه تحذف الأداة ووجه الشبه، وفي هذا النوع من التشبيه ما فيه من زيادة الدلالة على

اتحاد المشبه والمشبه به، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر إبراهيم الدباغ

ليست فلسطين في البلدان عارية تهدي وتمنح بين العير والعيير⁽²⁾

ففي البيت السابق حذفت الأداة ووجه الشبه، وهذا النوع من التشبيه أبلغ صور التشبيه الصريح المفرد، إذ إنّ حذف الأداة ووجه الشبه يشعر السامع أو القارئ باتحاد المشبه والمشبه به. أما ذكر الأداة فإنّه يذهب هذا الرونق من النفس، بل ستشعر بشيء من البعد.⁽³⁾

والتشبيه البليغ في البيت السابق يعني أن تكون فلسطين عارية تمنح وتهدي بين التجار من أجل تحقيق

مصالحهم الخاصة.

2- التشبيه الصريح التمثيلي: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، سواء كانت الصورة حسية أو عقلية، ذلك لأن هناك إبداعًا في كثير من الصور الحسية تتفاعل معها النفوس فتجد فيها ضالتها وبغيتها. أما الفرق بين التشبيه المفرد والتمثيلي فيتلخص في أنّ وجه الشبه المتعدد في المفرد يمكن فصل

(1) إبراهيم الدباغ، في ظلال الحرية، ص63

(2) إبراهيم الدباغ، الطليعة 41/2

(3) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها 55/2

أجزائه بعضها عن بعض وإنما جمع بين المتعددات للإيجاز والاختصار، أما في التمثيلي فليس كذلك، إذ لا يمكن الفصل بين أجزائه، ولو أنك فصلت بينها لاختل المعنى وزال رونقه وبطل القصد الذي أراده المتكلم. وهناك فرق آخر: هو أنّ الغرض من التشبيه التمثيلي جمال الصورة وقوة التأثير في النفس، وخصوصية خيال المتكلم، وفيه لطف المنشأ، وجليل الغاية، وحلاوة الثمرة⁽¹⁾.

ومن الأمثلة على التشبيه التمثيلي، قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "البلد الكئيب":

لَهْفِي عَلَى الْبَلَدِ الْكئِيبِ ب تَعَطَّلْتُ أَسْوَاقَهُ⁽²⁾
عَارٍ كَمَا أَعْرَوَى الْخَرِيبِ ف تَسَاقَطَتْ أَوْرَاقُهُ

فصورة فلسطين الكئيبة التي تعطلت الحياة في أسواقها بسبب الإضراب بمناسبة ذكرى وعد بلفور عام 1929م، تشبه صورة الأشجار العارية من أوراقها التي تساقطت في فصل الخريف وذهب جمالها وبهاؤها بعد أن كانت خضراء يانعة.

3- التشبيه الضمني ، ويسمى التشبيه الكئائي.

هذا النوع من التشبيه لا يأتي على صور التشبيه المعروفة مثل: صورة المبتدأ والخبر، وصورة المضاف والمضاف إليه، وصورة المصدر، وصورة الحال، إلى غير ذلك من صور التشبيه، إنما يلح هذا النوع من التشبيه من خلال المعنى الوارد في ثنايا بيت الشعر، أو في الجملة النثرية، ومن أجل ذلك سمّي ضمناً لأنه لا يذكر صراحة في الكلام.

والتشبيه الضمني ليس قسماً للتشبيه التمثيلي، أي ليس أحدهما يقابل الآخر، ذلك لأنّ النظر في التشبيه التمثيلي إلى وجه الشبه، وفي التشبيه الضمني يأتي المتكلم بمعنى من المعاني وقضية من القضايا، ثم يرى أن يأتي لها ببرهان، ودليل يقيم عليها الحجة⁽³⁾.

ومن الأمثلة على التشبيه الضمني قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "إلى بائعي البلاد":

(1) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها ، ص 64

(2) إبراهيم طوقان ، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

(3) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، 69/2

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ولا تعلّمت أنّ الخصم خدّاع⁽¹⁾

وغرك الذهب للماع تحرزه إنّ السراب كما تدرّيه لمّاع

وهذا الأسلوب من التشبيه فيه عمق الفكرة، وغزارة المعنى، ووضوح الإقناع، وله من المحاسن الكثيرة إذ يشترك في تذوقه الفكر والوجدان معاً، ولا عجب في ذلك فهو ضمّني، وزاده نقابه الذي ينتقبه حسناً وبهاءً.

وأنواع التشبيه بصورة عامة لها تأثير في النفس لما تحدثه فيها من أنس، إذ أنّ التشبيه ينقل النفس من المعقول إلى المحسوس، ومن الغموض إلى البديهة، ومن شأن هذا أن يزيل ما فيها من شكوك، ويذهب ما بها من أوهام، فليس الخبر كالعيان، وإنّ بلاغة التشبيه ترجع إلى ما يحدثه في النفس من أثر، فبقدر ما تتفاعل النفس مع التشبيه تكون بلاغته وجودته، وهذا يرجع إلى قدرة المتكلم وبحثه عن الروابط الدقيقة بين الأشياء، حتى يريك الأمر على غير ما تعرف، ويدلك على ما هو مرتكز في طبيعتك مما هو خاف عليك⁽²⁾.

وإذا تتبعنا أنواع التشبيه الواردة في النماذج الشعرية التي قيلت في موضوع التنديد بوعد بلفور نجد

منها:

أ- قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة زيادة الطين:

في جارف كعجيج البحر طاغية أمواجه تحمل الأسواق إمدادا⁽³⁾

يقصد الشاعر في الصورة السابقة من التشبيه الإبانة والإفصاح من خلال رسم صورة للطوفان الذي أغرق مدينة نابلس وضواحيها عام 1935، وفي هذه الصورة إشارة إلى ملامح نفسية وهو يرسم لوحة دامية ملطخة بفظائع الاحتلال البريطاني وجرائمه، هذه اللوحة التي تشوبها ألوان الشؤم التي جلبها الاحتلال على البلاد فأرهب أهلها فقراً وجوراً.

ب- وفي قصيدة يا وطني الأول للشاعر إبراهيم الدباغ، نجد قوله:

الوطن القومي في أعناقنا حبل به نقاد مثل الأسرى⁽⁴⁾

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص110.

(2) ينظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص69-74

(3) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص214

(4) إبراهيم الدباغ، في ظلال الحرية، ص63

وظّف الشاعر في البيت السابق نوعين من التشبيه: البليغ في قوله: "الوطن القومي في أعناقنا حبل" ، تشبيه بليغ، إذ جعل الوطن القومي لليهود كالحبل في أعناق الفلسطينيين، والمرسل المجمل في قوله: "به نقاد مثل الأسرى" ففي هذين التشبيهين تنديد بوعد بلفور المشؤوم من خلال رسم صورة حسية للولايات التي لحقت بالعرب نتيجة هذا الوعد الذي أعطى اليهود وطنًا في فلسطين. إذ أصبح أهل فلسطين كالأسرى مقيدون فاقدين لحريتهم وحياتهم الكريمة.

ج- وفي قصيدة أخرى للشاعر إبراهيم الدباغ بعنوان **صوت فلسطين**، قال:

ليست فلسطين في البلدان عارية تهدي وتمنح بين العير والعيير⁽¹⁾

ففي هذه الصورة التشبيهية تجسيد لرؤيا الشاعر نحو وطنه فلسطين ووعده بلفور المشؤوم.

د- الشاعر إسكندر الخوري البيتجالي في قصيدته **الجامعة العبرية**، قال:

يا لورد ما لومي عليك فأنت أصل الفاجعة⁽²⁾

الشاعر يوجه إصبع الاتهام إلى اللورد بلفور؛ لأنه أصل فاجعة أهل فلسطين، إلا أنه عبّر عن هذه الفكرة بصورة التشبيه البليغ بما تحمله هذه الصورة البلاغية من دلالات، فالشاعر يعترض ألمًا، ويشعر بمرارة غدر بريطانيا تجاه العرب.

ه- عبّر الشاعر إسكندر الخوري عن إحساسه المرير تجاه بريطانيا الغادرة بالعرب، بقوله أيضًا في

قصيدة ثورة فلسطين:

حسبتنا لندن أرملة ما لها حامٍ كما قد عيرونا⁽³⁾

رسم الشاعر هنا صورة تشبيهية حسية لنظرة بريطانيا إلى عرب فلسطين، فهم كالأرملة المسكينة التي لا حامي لها ونوع التشبيه هنا بليغ وهذه الصورة تجسّد الواقع المأساوي الذي عاشه ولا يزال يعيشه أهل فلسطين بعد وعد بلفور.

و- قول الشاعر وديع البستاني:

قد حسبت الأعراب طيرًا نعامًا فإذا هم من الطير غير النعام⁽⁴⁾

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 40-36/2

(2) إسكندر الخوري، العنقود، ص106

(3) المصدر نفسه، ص101

(4) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص164.

خاطب الشاعر بريطانيا قائلاً: إن كنت حسبت الأعراب طيرًا ضعيفًا كالنعام فقد خاب ظنك فهم من الطير الجارح القوي ونوع التشبيه بليغ، فهذه الصور التشبيهية تجسد استخفاف بريطانيا بالعرب وعدم الخوف منهم عندما أصدرت وعد بلفور الجائر بحقهم، والشاعر يرد قائلاً : فهم ليسوا نعامًا بل من الطير القوي.

وفي بيت آخر من القصيدة نفسها، قال:

هو أحجية الأحاجي ولغز ليس شيئًا يصح في الأفهام⁽¹⁾

فالتشبيه في هذا البيت لوعد بلفور بأنه أحجية ولغز وليس من الأشياء التي يصح فهمها، والتشبيه بليغ فالتشبيه يوضح ويجسد حقيقة هذا الوعد وخيانة بريطانيا وغدرها بالعرب.

ز - الشاعر محمد علي صالح في قصيدة يوم 2 نوفمبر صور حقيقة العرب الذين تأبى نفوسهم

الخضوع لعدوهم قائلاً:

قد قام بلفور فيما تعرفون ولم يعلم بأننا أسود الموقف الخطر⁽²⁾

فقد شبه الشاعر العرب بأنهم أسود الموقف الخطر، وهذا التشبيه تشبيه بليغ، من أعلى درجات التشبيه وأكثرها قوة في التعبير من الجانب البلاغي.

2- الاستعارة

الاستعارة باعتبارها نوعًا من التعبير الدلالي القائم على المشابهة، تشكل ملمحًا بارزًا من ملامح النشاط اللغوي الذي يخرج المعنى من نطاقه اللغوي الضيق إلى مرحلة من الخلق الفني في محاولة لتجسير الطاقات الكامنة بين علاقات اللغة، حتى تتبدى الحياة في أصولها ضمن إطار من الانسجام والتآلف⁽³⁾.

والاستعارة بكونها أبرز أداة من أدوات الشاعر في تكوين صورته، أمر حدا ببعض النقاد لاستخدام لفظ (الاستخدام الاستعاري) بديلاً عن الضروب المجازية، فالصورة لا يمكن أن تستقل بحال عن الإدراك الاستعاري، إذ تشكل جوهر العملية الشعرية، فالشاعر بمجرد أنه يحاول التجديد والكشف يضطر إلى التعامل مع الاستعارة والمجاز إذ إنها اللغة القادرة على التعبير عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه وانفعالاته حين تعجز اللغة العادية

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص164.

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص25.

(3) إبراهيم الدلاهمة، الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني، ص102

عن التعبير عن ذلك، والاستعارة أساس يقوم الشعر عليه، فلا غنى عنها إذ إنّ الشعر يستمد جزءًا كبيرًا من شعريته من خلال الاستخدام الاستعاري.

وفحوى العملية الاستعارية أمران: وهما ما يطلق عليهما بالطرفين، وإن ظهر أحدهما وغاب الآخر فهذا لا يعني إسقاطه تمامًا وعدم النظر إليه بعين الأهمية، بل إن حضوره يتجلى من خلال غيابه، إذ إنّ مقدار الحذف يعني تطورًا جديدًا في تلك العلاقة القائمة بينهما، وذلك من خلال وحدة الاندماج عندما تزول الحواجز بين الطرفين في محاولة لاكتشاف تلك الوحدة الكامنة بين الموجودات، فهي بذلك تشكّل وسيلة راقية تتفوق على التشبيه بكونه أساسًا لها، من حيث إنها تربط بين الأشياء المتغايرة المتباينة لتخرج بهيئة مركب جديد هو الصورة الفنية الناتجة من اندماج العناصر، ناهيك عن قدرتها على التشخيص للمعاني المجردة وبث الحياة في الجمادات فتظهرها صورًا لكائنات حية متحركة نابضة بالحياة⁽¹⁾.

أنواع الاستعارة ودورها في توضيح الصورة الشعرية

1- الاستعارة التصريحية

ذكرت الباحثة أنّ فحوى العملية الاستعارية تشبيه حذف أحد طرفيه، فالطرف المحذوف يكون المشبه تارة، والمشبه به تارة أخرى، وفي حالة حذف المشبه وذكر المشبه به تسمى الاستعارة تصريحية، لأنه صرّح فيها بلفظ المشبه به. ومن الأمثلة على ذلك في الشعر الذي قيل في وعد بلفور، قول الشاعر إبراهيم طوقان:

ويل لوعد الشيخ من عزمات آساد روابض⁽²⁾

ففي قوله "عزمات آساد روابض" صوّر أبطال فلسطين الذين استعدوا لافتداء وطنهم بأرواحهم بالأسود القوية. فحذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وهذا النوع من الاستعارة يدل على بلاغة الصورة الشعرية ووضوحها إذ إنّ المشبه هو عين المشبه به.

ومن الأمثلة الأخرى على الاستعارة التصريحية قول الشاعر إسكندر الخوري في قصيدة الجامعة العبرية:

(1) إبراهيم اللاهمة، الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني، ص103.

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص120.

وشهدت جامعة المطا مع لا العلوم النافعة⁽¹⁾

أرأيت كيف تحيط بالـ عرب الذئاب الجائعة

فعندما خاطب الشاعر مندوب الحكومة المصرية أحمد لطفي باشا في حفلة افتتاح الجامعة العبرية سنة 1927م، صوّر أعداء الأمة العربية من اليهود الصهاينة وبريطانيا بالذئاب الجائعة التي تحيط بالعرب من كل الجهات وتريد أن تنهش جسدكم. فالصورة الشعرية هنا صورت الواقع الذي عاشه العرب في حقبة الاحتلال البريطاني تصويرًا رائعًا غاية في الدقة والوضوح.

ومن الأمثلة على الاستعارة التصريحية أيضًا، قول الشاعر سليم اليعقوبي:

يوم كان الغرب يخشى في الوغى بأس الأسود⁽²⁾

والاستعارة التصريحية هنا في قوله "بأس الأسود" إذ شبّه الأبطال العرب الذين كان الغرب يخشاهم في الوغى بالأسود دلالة على شدة بأسهم في الحرب ومقارعة الأعداء.

والأمثلة على الاستعارة التصريحية في قصائد وعد بلفور كثيرة ولكن المجال في صفحات هذه الرسالة لا يسمح بأكثر من ذلك.

2- الاستعارة المكنية وهي: التي حذف منها المشبه به، وذكر المشبه، ومن الأمثلة على ذلك، قول الشاعر هارون هاشم رشيد، منذدًا بوعد بلفور:

وعد تزلزلت العروبة⁽³⁾

منه واشتعل الضرام

(1) إسكندر الخوري، العنقود، ص106.

(2) سمير شحادة التميمي، حسان فلسطين سليم أبو الإقبال اليعقوبي، ص166.

(3) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص313-314

كان وقع وعد بلفور على فلسطين كالزلزال المدمر، فالعروبة تزلزلت منه، ما أثار في عرب فلسطين نار الجهاد، فصوّر الشاعر العروبة بالأرض التي أصابها زلزال، وصور نفير أهل فلسطين إلى الجهاد باشتعال النار الحارقة، إذ حذف المشبه به، وذكر شيئاً من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذه الصورة الشعرية توضح ما للجهاد من أثر في مقاومة الاحتلال البريطاني والصهيوني فالجهاد هو طريق التحرير والحرية.

ومن الأمثلة على الاستعارة المكنية أيضاً، قول الشاعر حسن البحيري:

والمجد يبنيه القويّ وما بنى ذو الضّعف مجداً⁽¹⁾

صوّر الشاعر المجد بالبناء الذي يبنيه الإنسان القوي ويعجز عن بنائه الإنسان الضعيف، وفي هذه الصورة دعوة لمقاومة الاحتلال البريطاني واستنهاض هم الشعب الفلسطيني من أجل الكفاح المسلح.

وفي الاستعارة المكنية قضية ذات شأن وأثر، إذ إنّ كلّ استعارة مكنية لا بدّ أن تشتمل على استعارة تخيلية، فهي مكنية لأنها حذف منها المشبه به، وهي تخيلية لأننا نضيف أو نسد ما هو من لوازم المشبه به إلى المشبه. ومن هنا كانت الاستعارة المكنية أبلغ، وأكثر تأثيراً في النفس، وأجمل تصويراً، ذلك لأنّ العمل الإبداعي فيها أدقّ منه في الاستعارة التصريحية، فهي تثير الحركة، وتنمي الخيال، وتبعث الحياة فيما ليس بجي.⁽²⁾

3- الاستعارة التمثيلية

هناك صلة بين الاستعارة التمثيلية، والتشبيه التمثيلي، الذي سبق وأشارت الباحثة إليه في موضوع التشبيه، فالتشبيه التمثيلي هو تشبيه مركب، وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدّد، وكذلك الاستعارة التمثيلية هي تشبيه صورة بصورة، لما بينهما من صلة من إذ المعنى ثم تحذف الصورة الأولى - المشبه - ويبقى المشبه به، إذ استعير لفظه للمشبه.⁽³⁾

(1) حسن البحيري، ديوان الأنهر الضمأى، ص 70.

(2) ينظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، 175/2-176

(3) المرجع السابق، 2/ص 194

وأشرف أنواع الاستعارات التي سبق وأشرنا إليه - التصريحية والمكنية - هي استعارات مفردة ولذا تسمى مجازاً مفرداً، أما الاستعارة التمثيلية فتسمى المجاز المركب، وهي ما اشتهر على ألسنة الناس.

ومن الاستعارة التمثيلية قول الشاعر وديع البستاني في الردّ على الرصافي:

ومعروف معروف بمأسدة الشرى ولكن فرخ الوكر أعرف بالوكر⁽¹⁾

والشاعر وديع البستاني يوضح أنّ رأي معروف الرصافي لا يعبر عن عرب فلسطين لأنهم أهلها وهم أدري بأمرهم، وهذا المعنى جاء على صورة استعارة تمثيلية من خلال قوله " ولكن فرخ الوكر أعرف بالوكر".

ومن الأمثلة الأخرى على الاستعارة التمثيلية قول الشاعر حسن البحيري في قصيدة "الداء والدواء":

فلربّ شهد في كؤوس رضابها بالسمّ مدّاً⁽²⁾

صوّر الشاعر السياسة البريطانية التي خدعت العرب، والتي كان من نتائجها وعد بلفور، والتتكر للوعود التي أعطيت للعرب بصورة الشهد الذي دسّ فيه السمّ، وحذف المشبه وذكرت صورة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية.

والاستعارة التمثيلية يعدّها أهل البلاغة من أكثر الاستعارات بلاغة وتأثيراً، وإذا اشتهرت صارت مثلاً، وحينئذ لا ينبغي أن يغيّر فيها شيء، والمثل هو ما شبّه مضربه بمورده، أي تشبّه الحالة التي ضرب لها بالحالة التي قيل فيها أول مرة.⁽³⁾

وقد حفل الشعر الذي قيل في وعد بلفور، والتتكر للوعود التي قطعها بريطانيا للعرب قبل الوعد، بالاستعارات الكثيرة المعبّرة عن التنديد بهذا الوعد، وبطش حكومة الاحتلال البريطاني وظلمها لعرب فلسطين وقسوتها عليهم. ومن جانب آخر حفل هذا الشعر بأنواع التشبيه التي تصور بطولة وشجاعة أهل فلسطين واستماتتهم في الدفاع عن وطنهم. وشعراء فلسطين في تلك المرحلة كانوا يعدّون أنفسهم رُسل توعية وإيقاظ، وتحريض ففرضت هذه الغاية نفسها على شكل الشعر، وظلت الصور الشعرية قريبة من الواقع لكي تصل الى

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص 110

(2) حسن البحيري، ديوان الأنهر الظمأى، ص 73.

(3) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص 2/195

نفوس الناس سريعًا ومباشرًا، فوظفوا التشبيه والاستعارات بمختلف أنواعها في بناء الصور الفنية لجلاء رؤياهم تجاه ما جرّه وعد بلفور من ويلات على شعوبهم، ومن الشواهد الشعرية على ذلك الآتي:

أ- كان الشاعر إبراهيم طوقان في مقدمة شعراء فلسطين الذين صوروا هذا الواقع وأيقظوا وعي الشعب ونفخوا فيه روح الجهاد والنضال، وحيّوا البطولة وخذلوا الشهداء، فقال في قصيدة رثاء أبي المكارم عبد المحسن الكاظمي:

أبا المكارم أشرف من علاك وقل أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيب⁽¹⁾
تجد قويا وفي وعد الذخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب

فمع أن موضوع القصيدة الرثاء نجدها تضمنت تصويرًا لوعد بلفور الذي وفت به بريطانيا لليهود وتكررت للوعود التي قطعتها للعرب فهي وعود كاذبة كوعود عرقوب، وهذا المعنى أتى به الشاعر على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ومن الصور الطريفة لأهمية الأرض في فلسطين وتهويل جريمة بيعها لليهود تصوير بائع الأرض في صورة الجاني على أحفاده لأنه حكم عليهم بسبب هذا البيع أن يكونوا عبيدًا وخدمًا وهي صورة رهيبة ومخيفة، هذه الصورة نجدها في قول إبراهيم طوقان في قصيدة إلى بائعي البلاد :

لقد جنيت على الأحفاد وا لهفي وهم عبيد وخدام وأتباع!⁽²⁾

وقال إبراهيم طوقان مخاطبًا بلفور في قصيدة البلد الكئيب:

بلفور كأسك من دم الشهداء لا ماء العنب⁽³⁾
لا يخدعك أنها راقية وكلها الحبيب
بلفور فحبابها الأرواح قد وثبت إليك كما وثب
فانظر لوجهك إنه في الكأس لوجه الغضب

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص230

(2) المصدر السابق، ص110

(3) المصدر السابق، ص119

هذه الصورة توضح حقيقة وعد بلفور، إذ جعل الشاعر بلفور يشرب دماء الشهداء في احتفالاته السنوية بهذا الوعد، فالكأس التي يحتسيها يشرب فيها دم الشهداء، وأن حبابها ليس إلا أرواحهم التي تثب في وجهه مطالبة بحقها.

ويختم الشاعر قصيدته بقوله:

ويل لوعد الشيخ من عزمات آساد روايض⁽¹⁾
فلأذهبن فداء قومي في غمار الموت خائض

الصورة الفنية هنا تبيّن استعداد أسود فلسطين لافتداء وطنهم بأرواحهم، فهذه الصورة تعكس ما في نفس الشاعر من نيران مضطربة وكراهية للاحتلال البريطاني الظالم.

ومن الصور التي بلغت درجة عالية من الجمال والروعة الفنية قوله أيضًا:

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعدًا تلقيناه إيعاد⁽²⁾
واليوم من شؤمكم نبلى بكارثة هذا هو الطين والماء الذي زادا

صوّر وعد بلفور بأنه إيعاد ووعيد، وأنه وعد شؤم، وصوّر الاحتلال البريطاني أنه مصدر الشقاء، فمنذ أن احتلت البلاد وشؤم العيش يرهقهم وبفضله طغى طوفان الهجرة اليهودية إذ صوّرت بالطوفان الذي يطغى فيغرق الدنيا.

ب- وفي قصيدة صوت فلسطين قال إبراهيم الدباغ مندّدًا بغدر بريطانيا:

حتام يخلبنا برق السياسة مشفوعًا برعد وغيث غير ممطور؟!⁽³⁾

كانت وعود بريطانيا للعرب كاذبة فهي كالرعد الذي لا يتبعه مطر ومن الملاحظ على هذه الصورة الفنية أنها من الصور القديمة التي سبق وأن استخدمها الشعراء السابقون.

وفي القصيدة نفسها صور الشاعر وعد بلفور بصورة خيالية إذ قال:

ردوا على القوم كيّدًا وعد بلفور ونسجه بيدي كيد وتدبير⁽⁴⁾
قد ساء تدبيره عفوًا فلو عقلوا لم يفرط الوعد الا بعد تفكير

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 120

(2) المصدر السابق، ص 214

(3) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 41-36/2

(4) المصدر السابق نفسه، ص 41-36

صور الشاعر وعد بلفور أنه نسج أيدي الكيد والدمار. وفي بيت آخر صوره بأنه رجس وذنس ولا تطهر إلا اذا اغتسلت من شره، إذا قال:

وكيف تطهر من رجس ومن دنس إلا اذا غسلت من وعد بلفور

ج- قال الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة أحاجي:

ورد البئر صدى حتى ارتوى ثم ولى ورمى فيها الحجر⁽¹⁾

كان كالدنّب تغذى حلباً من شياه فتعدى فبقر

صور الشاعر خيانة بريطانيا للعرب ونكرانها لجميلهم أثناء الحرب العالمية الأولى بإنسان شرب من بئر وبعد أن ارتوى منها رمى فيها حجراً، وهذا على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وفي البيت الثاني صور بريطانيا بالدنّب الصغير الذي تغذى بحليب الشياه وبعد أن كبر وقوي بقر بطونها. وهذه الصور توحى بحقد بريطانيا وكراهيتها للعرب والمسلمين وسعيها وراء مصالحها الاستعمارية ونهب خيرات بلاد العرب.

وفي القصيدة نفسها صور الشاعر بلفور أنه أحمق وأن الإحسان بعيداً عنه إذا لو كان محسناً حقاً لجاد بما يملك، فقال:

وهب الشحاذ ما ليس له يا لطيب النفس والقلب الكبير!⁽²⁾

إن يرد فليقطعن من داره ليس من دار سواه كرامة

ففي البيت الأول صور اليهود بالشحاذ على سبيل الإستعارة التصريحية بجامع الذل والإهانة والإلحاح بالطلب.

د- الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في قصيدته إيه يا يوم الثلاثاء قال منذاً بوعد بلفور:

بينما العرب تمنيه من الغرب الوعود⁽³⁾

فإذا الوعد وعيد وإذا الثعلب سيد

(1) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص99

(2) المصدر السابق، ص97

(3) محيي الدين الصفدي، ديوان من فلسطين وإليها، ص16

صور الوعد وعيدًا وهذا تشبيه بليغ وصور اليهود ثعالب وهذا على سبيل الاستعارة التصريحية وذلك إشارة الى ما حملته عبارات وعد بلفور من وعيد وشؤم لأهل فلسطين، اذ سمح لليهود أن تتبدل حالهم من الضعف الى القوة بمساعدة البريطانيين.

هـ- ومن جمال التصوير ما ورد في قصيدة وديع البستاني الرد على الرصافي إذ قال:

خطاب (يهودا) أم عجاب من السحر! وقول الرصافي أم كذاب من الشعر⁽¹⁾
قريضك من در الكلام فرائد وأنت ببحر الشعر أعلم بالدر
ومعروف معروف بمأسدة الشرى ولكن فرخ الوكر أعرف بالوكر

في هذه الأبيات ثورة جارفة على الرصافي: فقول الرصافي كذاب من الشعر، وقريضه من بحر الكلام درّ، أما بحر السياسة فأعمق أن يخوض فيه، وهو لا يعبر عن رأي عرب فلسطين، لأنهم أدرى بأمورهم وفرخ الوكر أعرف بالوكر، وهنا جاء المعنى على سبيل الاستعارة التمثيلية.

و- قصيدة أرض الثورات للشاعر هارون هاشم رشيد، تشكل ملمحًا بارزًا للصور الفنية إلا أن الشاهد الذي

سأذكره منها يتمحور حول وعد بلفور، إذ قال:

ورمى بوعد الشر⁽²⁾

ألقى بالندير

وعد تزلزلت الجبال

له ومزقت الستور

وعد تزلزلت العروبة

منه واشتعل الضرام

وعد بلفور نذير بالشر كله، إذ كان وقعه على فلسطين كالزلزال المدمر فالجبال والعروبة تزلزلت منه،

مما أثار فيهم نار الجهاد، وهذا المعنى جاء على سبيل الاستعارة المكنية.

فهذه الصور تجسد ما ينم عنه وعد بلفور من حقد على الإسلام والعرب، وذل وخسه لمن أصدره.

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص110

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص314

هكذا شكّل الشعراء الفلسطينيون الذين قالوا في وعد بلفور صورهم الشعرية بخصائصها المتنوعة، مستمدّينها من ثقافتهم العربية والإسلامية، فكان شعرهم عملاً فنياً جميلاً إذ توافرت فيه عناصر الجودة والقوة من متانة النسيج، وصدق العاطفة وقوتها، وروعة التصوير، حتى بلغ درجة تجمع بين قوة البيان، ومدرسة الوطنية والكفاح، فاستحق التقدير والاعتزاز، إذ نبه الشعب الفلسطيني إلى ما يترصده من مخاطر، فكان لسان الشعب الفلسطيني الناطق لنيل الحرية والكرامة.

وخلاصة القول إنّ الصورة الشعرية ووسائل تشكيلها تتمثل في اللغة الشعرية، والتقديم الحسي للمعنى، والأنواع البلاغية للصورة، إذ تمثل اللغة الشعرية المكانة الأولى بين عناصر الصورة الشعرية، إذ إنّ عملية الإبداع الشعري تتمثل في إبداع اللغة المتميزة بأسلوب ينفرد في نسج العلائق الفنية الجديدة بين المفردات التي تومئ إلى المواقف الذاتية أو الموضوعية عن طريق الإيحاء، ولا تعتمد على تقديم اللفظ طبقاً لدلالته الوضعية المألوفة.

والتعبير التصويري الجمالي يعدّ العنصر الأهم من بين عناصر الصورة الشعرية ووسائل تشكيلها، فهو الوسيلة التي تمنح الصورة قابليتها على الإثارة والحيوية والتجدد⁽¹⁾.

(1) ينظر: بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص 75-80

سادسًا: الصنعة البديعية

البديع لغة واصطلاحًا:

جاء في لسان العرب " بدع الشيء بدعه بدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه. والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولًا" (1).

وإذا كان البديع لغة الجديد والحديث، فإنّ المعنى الاصطلاحي للبديع منسجم تمام الانسجام مع هذا المعنى اللغوي، فلقد أطلق البديع كفنّ من فنون القول على ما أحدثه الشعراء المولدون من أساليب بيانية، كمسلم بن الوليد، وبشار، وأبي تمام. إلا أنّ أول كتاب ظهر يحمل هذا الاسم هو البديع لعبدالله بن المعتز (296هـ) وذكر في مقدمته بأنّه أراد أن ينبّه إلى أنّ هؤلاء الشعراء ليسوا هم الذين اخترعوا هذا الفنّ من القول، ولكنهم أكثروا منه وغلوا فيه. (2)

وعلم البديع هو العلم الذي يوشى به الكلام بأوجه الحسن، وقد يكون الحسن من جهة اللفظ، أو المعنى، ومن هنا قسّم علماء البلاغة مباحث علم البديع إلى قسمين:

1- المحسنات البديعية المعنوية.

2- المحسنات البديعية اللفظية.

والمحسنات المعنوية، ما يرجع الجمال فيها إلى المعنى، ومنها: الطباق، والمقابلة، والتورية، وحسن التعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ وعكسه، وأسلوب الحكيم، وتجاهل العارف، والعكس، والمشاكلة، واللف والنشر.

والمحسنات اللفظية، هي ما يرجع الجمال فيها إلى اللفظ ومنها: الجناس، والسجع، وردّ العجز إلى الصدر. (3)

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 1/ص6

(2) ينظر: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، 2/ص271-273

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص275-310

ويرى كثير من النقاد أنّ الزخرفة اللفظية والإسراف في استخدام البديع وحشد ألوانه له آثار سلبية على المعاني وأثقال مضنية تلهث منها الأفكار والخواطر. وعلى الرغم من ذلك تبقى الزينة الأدبية مطلوبة بقدر معين فلا يحسن الاستكثار منها، ويحبب القليل الرائق غير المسرف ولا أثر له على المعاني⁽¹⁾. ومن دراسة النماذج الشعرية للتنديد بوعده بلفور، تبين أن استخدام الفنون البديعية لم يكن متكلفاً عند الشعراء، وإنما كان زينة للألفاظ يعطيها جرساً موسيقياً. وستقتصر الباحثة في هذه الدراسة على بعض المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، وهي: الطباق، والمقابلة، والجناس، ورد العجز على الصدر.

(أ) الطباق:

الطباق في الأصل مصدر، يقال طبقت بين شيئين طباقاً، أي قابلت بينهما، وقد لوحظ هذا المعنى في الطباق الاصطلاحي، فالطباق في الاصطلاح هو الجمع بين الشيء ومقابله، أو الشيء وضده، وقد يكون الشيطان المجموع بينهما اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو اسم وفعل. والطباق يكون للتوضيح، فالشيء يزداد وضوحاً بضده، وقد يكون إدراك الطباق واضحاً جلياً لا خفاء فيه، وقد يحتاج إلى إعمال الفكر والتأمل، وعرفه ابن الأثير قائلاً: "المطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر"⁽²⁾

أنواع الطباق

1- طباق إيجاب لا نفي فيه.

2- طباق سلب ويكون بالنفي.

فوائد الطباق

الطباق يمكّن الشاعر من المقارنة بين موقفين متناقضين، وصورتين متخالفتين، كما أنّ له فائدة كبيرة في جذب انتباه السامع أو القارئ لما ينتج عنه من أخيلة، وصور شعرية، فالمتلقي لا يلبث أن ينتقل من صورة أو معنى معين إلى صورة ومعنى مضاد له، ولهذا كان له علاقة وثيقة ببلاغة الكلام⁽³⁾.

(1) ينظر: منال أحمد خليل أبو بكر، صورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في أدب العصر المملوكي، ص 227-228

(2) ابن رشيق، العمدة، 2/ص5

(3) ينظر: منال أحمد خليل أبو بكر، صورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في أدب العصر المملوكي، ص234

ومن الشواهد الشعرية على توظيف الطباق في شعر صدى وعد بلفور، وتوظيف القيمة البلاغية له،
الآتي:

1- قال إبراهيم طوقان:

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعدًا تلقيناه إيعادا (1)
طابق بين كلمتي : "وعدًا" للخير و "إيعادًا" للشر لتصوير غدر وظلم بريطانيا لأهل فلسطين، فبأسلوبه
الساخر كان موفقًا بإيصال المعنى المقصود لفضح جرائم الاحتلال البريطاني.

2- وقال أيضًا في قصيدة "الإيمان الوطني أو جماعة السار" :

يتداعى إذا تسلط وعد أو وعيد عليه عند العوادي (2)

فوظف الطباق بين كلمتي : (وعد) و (وعيد) لتصوير الوعد الذي صار وعيدًا، أي شرًا، وانذار شؤم
لأهل فلسطين.

وتوظيف الطباق لتصوير المعنى السابق ذاته نجده في قول الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي
في قصيدة إيه يا يوم الثلاثاء :

بينما العرب تمنيه من الغرب الوعد (3)

فإذا الوعد وعيد وإذا الثعلب سيد

فالشاعر طابق بين كلمتي: (الوعد) و (الوعيد) في البيت الثاني، ليوضح أنّ وعد بلفور كان
شرًا على أهل فلسطين، في حين أنه كان خيرًا لليهود، إذ تحوّلت حالهم من الضعف إلى القوة بمساعدة
البريطانيين لهم.

3- قال إبراهيم طوقان في قصيدة رثاء أبي كارم :

ومر سبع وعشر في البلاد له وحكمه مزج ترهيب وترغيب (4)
حال أرى شرها في الناس منتشرًا وخيرها للمطايا والمحاسيب.

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص214

(2) المصدر السابق نفسه، ص 210

(3) محيي الدين الصفدي، ديوان من فلسطين وإليها، ص16

(4) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص230

الطباق في البيت الأول بين كلمتي: (ترهيب) و (ترغيب) لتصوير وعود بريطانيا الكاذبة القائمة على المزج بين التخويف والترغيب واتباع سياسة التدليس والمكر في حقبة تجاوزت سبعة عشر عامًا. وطابق في البيت الثاني بين كلمتي: (شرها) و (خيرها) للدلالة على سوء أحوال أهل فلسطين بسبب الاحتلال البريطاني، فالشر حال عامة الشعب، والخير للعملاء الذين ساروا في ركب الاحتلال لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب وطنهم.

4- قال وديع البستاني في قصيدة بلفور في دمشق :

مبرم الوعد ناقض العهد ماذا بعد برد من نارنا وسلام⁽¹⁾

الطباق في كلمتي: (مبرم) و (ناقض) والغاية من ذلك توضيح الصورة المتباينة لسياسة بريطانيا المتآمرة على العرب ونقضها لعهودها معهم فإبرام الوعد وتوثيقه وتحقيقه كان لليهود، ونقض العهد للعرب الذين ساعدوا البريطانيين في حربهم ضد الأتراك، فكانت مساعدة العرب بردًا وسلامًا على البريطانيين في الحرب العالمية الأولى.

5- وفي قصيدة الرد على الرصافي قال أيضًا:

أنؤمن في بلفور بعد محمد وعيسى وموسى والوزير من الوزر⁽²⁾

وربك لا، فالوحي في الذكر صادق يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر

إذ وظف طباق السلب في قوله: (أنؤمن) ، (وربك لا) أي لا نؤمن وبهذه الصورة يستنكر الإيمان بهذا الوعد لما فيه من الوزر والإثم الذي لا يقره دين.

وطابق أيضًا بين: الصدق والكذب، إذ إنَّ الوحي في الذكر صادق ويكذب ما في صحف التوراة اليهودية من المزاعم والافتراء.

6- قال الشاعر محمد العدناني في قصيدة وعد بلفور:

جمعت صهيون من صوب ومن حذب لتصبغ الشرق من أبنائهم بدم⁽³⁾

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص164

(2) ينظر : وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص110

(3) محمد العدناني، العدنانيات، ص168

طابق في هذا البيت بين كلمتي: (صوب) و(حذب) ليصوّر حياة الشتات التي عاشها اليهود في كل مكان وجهة من شرق الأرض وغربها، قبل مجيئهم إلى فلسطين فوعد بلفور جمعهم في فلسطين بعد هذا الشتات الذي عاشوه.

(ب) - المقابلة:

ومن الفنون البديعية المعنوية "المقابلة" وهي إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة⁽¹⁾.

فتعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخرًا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة⁽²⁾.

بين الطباق والمقابلة:

يرى جمهور العلماء أنّ المقابلة غير الطباق، والمقابلة عندهم أن يؤتى بمعنيين فأكثر، ثمّ بما يقابل هذه المعاني. أمّا الطباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله⁽³⁾.

ومن الأمثلة على المقابلة في شعر صدى وعد بلفور، الآتي:

1- قال إبراهيم طوقان في قصيدة "الإيمان الوطني أو جماعة السار":

مثل هذا الإيمان يضمن للأوطان عزًا، ومثل هذا التفادي⁽⁴⁾

لا كإيمان من نرى في فلسطين قصير المدى، كليل الزناد

قابل الشاعر بين إيمان جماعة السار الألمانية بقضيتها الوطنية وإخلاصها وتفاديها من أجل الحرية والعزة، وإيمان أهل فلسطين الضعيف بقضيتهم الوطنية، وغرض الشاعر من هذه المقابلة هو حث شعبه على

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص371

(2) ابن رشيق، العمدة، 15/2

(3) ينظر : فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، 278/2

(4) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة ، ص210

المقاومة والجهاد، ورفع إيمانهم بقضيتهم الوطنية من أجل حرية وعزة الوطن. ولا شك في أنّ المقابلة لها دور بارز في توضيح المعنى الذي قصده الشاعر وإيصال الفكرة لأبناء شعبه.

2- قال إبراهيم طوقان في قصيدة أيها الأقوياء :

ولئن ساء حالنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حالة⁽¹⁾

يتضح من خلال المقابلة التي أجراها الشاعر بين حال أهل فلسطين التي ساءت، وحال البريطانيين الذين هم في أحسن حالة، سخرية وتهكم الشاعر في مخاطبة الاحتلال البريطاني فهو السبب في سوء حال أهل فلسطين بما ارتكبه من جرائم واتباع سياسة التتكيل والبطش لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين. كما قال الشاعر إبراهيم طوقان في القصيدة نفسها:

أجلاءً عن البلاد تريدون فنجلو، أم محقنا والإزالة؟

قابل الشاعر بين تحقيق أحد هدفين لحكومة الاحتلال البريطاني وهما: تهجير شعب فلسطين أو قتلهم وذلك لتسليم أرض فلسطين لليهود بلا شعب. وهذه المقابلة توضح المعنى الذي يريد إيضاحه لشعبه، فهو يؤكد إيمانه بحقيقة أهداف الاحتلال البريطاني، ويحث شعبه على الجهاد والمقاومة من أجل الحرية والحياة الكريمة ودحر الاحتلال وإفشال مخططاته.

3- قال إبراهيم طوقان في قصيدة رثاء أبي المكارم :

تجد قوياً وفي وعد الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب⁽²⁾

قابل الشاعر بين صدق بريطانيا ووفائها لليهود الدخلاء بوعد بلفور على أرض فلسطين وكذبها على العرب ونقض عهودها لهم، ولم يكن لأهل فلسطين إلا الوعود الكاذبة كوعود عرقوب. وبهذا يؤكد وفاء بريطانيا بمنح فلسطين لليهود، ويحث أهل فلسطين على مقاومة الاحتلال البريطاني فهم أساس الداء.

4- قال الشاعر عبدالرحيم محمود في قصيدة أحاجي:

إن يرد، فليقطعن من داره ليس من دار سواه، لا كرامة⁽³⁾

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص213

(2) المصدر السابق نفسه، ص231.

(3) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص99.

رمز الشاعر إلى بريطانيا بالبخيل ورمز إلى الصهيونية بالشحاذ الذي مَدَّ يده إلى هذا البخيل ليتكرم ويوجد عليه. والمقابلة في هذا البيت بين الكريم الذي يوجد من داره وملكه وبين البخيل الذي يوجد ويعطي من دار سواه وملك غيره. وهذه المقابلة توضح المعنى والفكرة لدى الشاعر وهي إنَّ فلسطين ليست ملكًا لبريطانيا لتجود بها وتملكها لليهود الدخلاء، فإنَّ أرادت التكرم على اليهود فلتجد من ملكها وأرضها لا ملك غيرها.

5- قال إبراهيم الدباغ في قصيدة صوت فلسطين:

قد ساء تدبيره عفواً فلو عقلوا
لم يفرط الوعد إلا بعد تفكير⁽¹⁾

قابل الشاعر بين إساءة التدبير والتفكير لدى الحكومة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور، وبين تعقلها وحسن تدبيرها لو وجد، لما صدر هذا الوعد. والغاية من ذلك بيان الكيد والخبث البريطاني الذي أصدر هذا الوعد المشؤوم لفلسطين ليست عارية تهدي أو يتاجر بها كما يشاؤون، فوعد بلفور باطل ولم يصدر عن تفكير سليم.

6- قال الشاعر محمد علي صالح في قصيدة يوم 2 نوفمبر:⁽²⁾

إننا لنرفض هذا الوعد أجمعنا
أهل العروبة من بدو ومن حضر
كما رفضناه في عام مضى وكذا
في كل عام سيأتينا بلا خور

يستنكر ويرفض الشاعر وعد بلفور في ذكره السابعة ولتأكيد ذلك وظَّف الطباق بين كلمتي: (بدو) و (حضر) في البيت الأول وهذه الصورة تبين الرفض من جميع فئات الشعب من البدو والحضر كما وظَّف المقابلة في البيت الثاني لتأكيد هذا الإستنكار والرفض في كل عام سيأتي كما رفض في العام الذي مضى.

7- قال الشاعر وديع البستاني في قصيدة بلفور في دمشق:

قد حسبت الأعراب طيراً نعاماً
فإذا هم من الطير غير النعام⁽³⁾
إيه بلفور يا مذل النصارى
لم تعز اليهود في الأقوام

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة، 36/2

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص28

(3) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص164.

قابل في البيت الأول بين طير النعام الضعيف وبين الطير القوي الجارح، وذلك لتصوير العرب بأنهم أقياء وليس كما حسبتهم بريطانيامن ضعاف الطير، وهذه الصورة تظهر نغمة التهديد من الشاعر لعدوه. وفي البيت الثاني قابل الشاعر بين أثر وعد بلفور على النصارى إذ ألحق بهم الذل وأثره على اليهود إذ لن يحقق لهم العزة المرجوة بين الأقسام. وذلك لإظهار صورة قبيحة ومذلة لبلفور ولوعده المشؤوم.

8- قال وديع البستاني في رده على الشاعر معروف الرصافي:

وربك: لا، فالوحي في الذكر صادق يكذب ما في الطرس من لوثة الحبر⁽¹⁾

قابل الشاعر وديع البستاني بين ما في الذكر من صدق، وما في كتاب اليهود المحرف من كذب ومزاعم وإنكار لحق شعب فلسطين بأرض وطنهم، والغاية من هذه المقابلة توضيح رفض العرب وأهل فلسطين لوعد بلفور وعدم الإيمان به مهما امتد الزمن، لما فيه من الوزر الذي لا يقره دين سماوي.

وهذا النوع من البديع يكون مقبولاً، إذا كان النظم الذي جاء فيه مطابقاً لمقتضى الحال، وكان خالياً من التعقيد، وخالياً من الصنعة المتكلفة.

سابعاً: الموسيقى

رأى علماء اللغة العربية أن أهم ما يميز الشعر من النثر الأوزان والقوافي، وهذا ما يسمى بالموسيقى، وهي نظام من الأنغام والألحان. وقد تتوافر هذه الموسيقى في النثر، ولكنها لا تصل إلى درجة الانضباط والدقة والالتزام التي يتطلبها الشعر، فموسيقى الشعر أسمى الصور الموسيقية للكلام وأدقها لأن نظامها لا يمكن الخروج عنه، والموسيقى الشعرية نوعان:

(أ) الموسيقى الخارجية وهي: ممثلة في الأوزان والقوافي، وقد لمسها القدماء وعرفوا الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"⁽²⁾. وهذا يبين أن العنصر المميز للشعر أنه "قول موزون" ويعني الوزن هنا أن القول الشعري يستخدم مقادير محدّدة ومرتبّة ترتيباً خاصاً من الأحرف وهو ما يسمى البنية الإيقاعية التي يحافظ عليها الشاعر من أول القصيدة إلى آخرها، ولا يحدث تجاوزها إلا على نحو يسير للغاية.

(1) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص110.

(2) عيسى علي العاكوب، موسيقى الشعر العربي، ص12

ب) الموسيقى الداخلية وهي: نابعة من الكلمات وتلاؤم حروفها وحركاتها، وفي هذا النوع من الموسيقى تفاوت الشعراء وتفاضلوا في شعرهم⁽¹⁾.

وقد تنبه العلماء في القديم إلى مثل هذه الموسيقى، يقول أبو هلال العسكري: "وتخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التمام الكلام، وهن من أحسن نعوته وأزين صفاته"⁽²⁾.

وستتناول الباحثة في دراسة الموسيقى الخارجية: الأوزان، والقافية، وأحرف القافية، في الشعر الذي قيل في وعد بلفور، كما يأتي:

1- الأوزان :

شاعت عند العرب أوزان ألفئها الأسماع واستطابتها النفوس، فالتزمها الشعراء ليضمنوا القبول والذيق لشعرهم، إذ إنّ الأوزان تزيد الانتباه وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها وتهبها مظهرًا من مظاهر الجلال، مما يجعل الشعر مصقولًا مهذبًا نحس بمعانيه وتصل إلى القلب بمجرد سماعه. وكل هذا مما يثير فينا الرغبة لإنشاده وترديده مرارًا وتكرارًا.

ويرى إبراهيم أنيس، أن هنالك علاقة بين الوزن العروضي والغرض الذي يقال فيه الشعر، فمن أشهر بحور الشعر البحر الطويل، إذ كانوا يؤثرونه في الأغراض الجدّية والجليلة الشأن، فهو لكثرة مقاطعه يتناسب مع هيئة الفخر والهجاء. يقول: "نستطيع، ونحن مطمئنون، أن نقرر أنّ الشاعر في حالة اليأس والجزع، يتخير عادة وزنًا طويلًا كثير المقاطع يصب فيه أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع يتأثر بالانفعال النفسي ويتطلب بحرًا قصيرًا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية"⁽³⁾.

ولتوضيح دراسة أوزان الشعر الذي قيل في وعد بلفور، تعرض الباحثة الجدول الآتي:

(1) ينظر: عيسى علي العاكوب، موسيقى الشعر العربي، ص 10-13

(2) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 159

(3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 186

الشاعر	عنوان القصيدة	عدد أبياتها	البحر
إبراهيم طوقان	1- رد على رؤبين شاعر اليهود	42	الخفيف
	2- البلد الكئيب	40	الكامل المجزوء
	3- رثاء أبي المكارم	29	البسيط
	4- يا سراة البلاد	17	
	5- نشيد البراق	12	السريع المجزوء
	6- الإيمان الوطني أو جماعة السار	7	الخفيف
	7- أيها الأقوياء	7	الخفيف
	8- زيادة الطين	7	البسيط
إبراهيم الدباغ	1- فلسطين الدامية	105	البسيط
	2- صوت فلسطين	91	البسيط
	3- يا وطني الأول	39	الرجز
إسكندر الخوري	1- ثورة فلسطين	43	الرمل
	2- الجامعة العبرية	16	الكامل المجزوء
	3- ما ضام الفتى	15	الوافر
عبدالرحيم محمود	1- أحاجي	71	الرمل
	2- عيد الجامعة العربية	32	الكامل
	3- وعد بلفور	19	الكامل
محمد علي صالح	1- ليلى ولفور	49	الرمل
	2- يوم 2 نوفمبر	37	البسيط
	3- حكومة الطور	30	الكامل
وديع البستاني	1- بلفور في دمشق	35	الخفيف
	2- الرد على الرصافي	35	الطويل
حسن البحيري	الداء والدواء	70	الكامل المجزوء
محيي الدين الصفدي	إيه يا يوم الثلاثاء	39	الرمل المجزوء
عطا سليمان رموني	البائية (رويها الباء) وعد بلفور المشؤوم	24	الرمل
محمد العدناني	وعد بلفور	7	البسيط

سليم اليعقوبي	1- الغربيون لا ينصفون	*	الرمل المجزوء
	2- الدالية (رويها الدال)	*	الكامل المجزوء
هارون هاشم رشيد	أرض الثورات	858 سطرًا	شعر حر

• ذكرت الباحثة من القصيدة الأولى لليعقوبي 9 أبيات ومن القصيدة الثانية 15 بيتًا.⁽¹⁾

من خلال دراسة أوزان القصائد الواردة في هذا الجدول تبين للباحثة أنّ تطور أوزان الشعر الذي قيل في وعد بلفور كان بطيئًا، وذلك لأن ألفة الوزن وشيوعه يتطلب زمنًا طويلًا، وإنتاجًا شعريًا كثيرًا حتى يعتاده جمهور كبير من السامعين، ويستسيغوا ما فيه من نغم وموسيقى.

وأنّ معظم القصائد الشعرية التي تناولتها الباحثة جاءت على أوزان العروض التقليدية، ونظمت على ثمانية أوزان من بحور الشعر، وإنما لم تختص ببحر دون الآخر، رغم التفاوت في استخدام البحور الشعرية، إذ كان الكامل ومجزؤه من أكثرها توظيفًا، ويليه البسيط والرمل ومجزوء الرمل، ويليه الخفيف، ويليه الطويل والوافر، والرجز، ومجزوء السريع.

ويلاحظ على أوزان هذه القصائد أنه لم يطرأ عليها شيء من التطور أو التجديد الذي طرأ على وزن قصيدة "أرض الثورات" للشاعر هارون هاشم رشيد.

والشعراء الذين نظموا قصائدهم على نظام "التفعيلة" انطلقوا من الإيمان بأن الوزن لم يبق ذلك القالب الذي نصب فيه التجربة الشعرية، وإنما أصبح بعدًا من أبعاد الحركة الآنية لفعل التعبير الشعري، لذا غيروا في الوزن كما غيروا في العناصر الإيقاعية التي تسيطر على كيان الشاعر أثناء عملية الإبداع، فاعتمدوا نظام التفعيلة أساسًا إيقاعيًا ولم يتجاوزوا فكرة الارتباط الدلالي والإيقاعي التي تفرض نفسها في الوزن الجديد⁽²⁾.

ومن الشواهد على القصائد التي غُيّر في أوزانها واعتمد نظام التفعيلة أساسًا إيقاعيًا فيها،

(1) لم تستطع الباحثة العثور على ديوان الشاعر أو كتاب يذكر قصائده كاملة، وإنما استشهدت بـ (24) بيتًا قيلت في وعد بلفور، وردت

في كتاب سمير شحادة التميمي، حسان فلسطين سليم أبو الإقبال اليعقوبي ص 158-166

(2) ينظر: بشرى عليطي وزميلها، البنية الإيقاعية في شعر عزالدين المناصرة، ص 84-85

قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة "أرض الثورات":

وتحمس القدر الخسيس
الوغد بلفور الوزير
ورمى بوعد الشر
ألقى... بالندير
وعد تزلزلت الجبال
له ومزقت السطور
وعد سيصق كل
انسان على بلفوره

فاعتمد الشاعر هنا تفعيله "مُتَّفَاعِلُنْ: ب ب - ب - ، وصورتها مُتَّفَاعِلُنْ: - - ب - " أساسًا إيقاعيًا.

2- القافية

تعد القوافي الركن الثاني من موسيقى الشعر بعد الأوزان، وهي مجموعة أصوات تكوّن مقطعًا موسيقيًا، يرتكز عليه الشاعر في البيت الأول، ثم يكرره في نهايات أبيات القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءًا هامًا من الموسيقى الشعرية. فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرب الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن.

والقافية عنصر مهم في بناء القصيدة، إذ هي فاصلة موسيقية تنتهي عندها موجة النغم في البيت، وينتهي عندها سيل الإيقاع، ثم يبدأ البيت من جديد كالموجة تصل إلى ذروتها، وتنتهي لتعود من جديد وهكذا⁽¹⁾. والمهمة الأساسية التي تضطلع بها القافية، إنما هي تثبيت الوزن بضرباتها المنتظمة. ولولا الوقوف عند القافية بوصفها نهاية البيت الموزون، لفقد الوزن مكونًا من مكوناته الإيقاعية، ولأقرب من النثر وتداخل معه، ولو

(1) عمر خليفة بن إدريس، في العروض والقافية، ص174

حافظ الشاعر على وحدة الوزن وتماسكه. وهي عنصر من عناصر الوحدة والربط في الشعر فضلاً عما يوفره ترددها من قيمة إيقاعية.⁽¹⁾

وفي كنف هذا التصور كان للنقاد اهتمام بنهايات الأبيات فسموها "مقاطع" واهتمام ببداياتها فدعوها "مطالع". وهذا هو الرأي الذي انتهى إليه اختيار ابن رشيق، فقال: " معنى قولهم (حسن المقاطع جيد المطالع) أن يكون مقطع البيت، وهو القافية متمكناً، غير قلق، ولا متعلق بغيره، فهذا حسنه، والمطلع : هو أول البيت، وجودته أن يكون دالاً على ما بعده، كالتصدير وما شاكله"⁽²⁾.

حدود القافية

ولئن كانت التعريفات التي وضعت للقافية كثيرة ومتعددة، فما زال تعريف الخليل بن أحمد أكثر هذه التعريفات دقة، لاعتماده على مفهوم الحركة والسكون، اللذين اعتمد عليهما في نظامه العروضي، وبناء كيانه الإيقاعي، الذي حدّد من خلاله القافية بأنها: " الساكنان الأخيران في البيت، وما بينهما، مع حركة ما قبل الساكن الأول منهما "⁽³⁾.

ومن الواجب ألا تحدد القافية في أطول صورها، وإنما يُشار إلى أقصر تلك الصور، وإلى أقل عدد من الأصوات يمكن أن تتكون منه، وعلى قدر الأصوات المقررة تتم موسيقى الشعر وتكمل⁽⁴⁾.

والقافية باعتبارها عنصراً مساهماً في إغناء الموسيقى في القصيدة كانت وما زالت موضوع اهتمام كثير من الدارسين والنقاد إذ إنها عنصر مهم من عناصر البنية الإيقاعية، ولهذا فقد حظيت باهتمام كبير في الشعر العربي قديمه وحديثه.

ومن خلال دراسة الباحثة للشعر الذي قيل في وعد بلفور تبين أن القافية جاءت على نمطين مختلفين،

وهما:

(1) ينظر: عمر خليفة بن إدريس، في العروض والقافية، ص174-175

(2) ابن رشيق، العمدة، 1/189.

(3) عمر خليفة بن إدريس، في العروض والقافية، ص178

(4) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص246

أ- القافية المطلقة

سمّى العروضيون القافية التي رويها مطلق، أي محرّك بحركة من الحركات، قافية مطلقة، وسمّوا القافية التي رويها مقيد، أي ساكن، قافية مقيدة⁽¹⁾، والقافية المطلقة أوضح في السمع وألذّ وقعاً على الأذان، إذ تعتمد على حركة تستطيل في الإنشاد، ومن الأمثلة عليها:

1- قول الشاعر عبدالرحيم محمود في قصيدة وعد بلفور:

غدر الحليف وأي وعد صانه يوماً وأية ذمة لم يخفر⁽²⁾
لما قضى وطراً بفضل سيوفنا نسي اليد البيضاء ولم يتذكر

فأظهر الشاعر حركة الراء، وهي الكسرة، فاستطالت حتى بدت كأنها ياء مدٍ وهذا مما جعل الإيقاع الموسيقي يدل على التألم من غدر بريطانيا وخيانتها.

2- قول الشاعر محمد علي صالح في قصيدة يوم 2 نوفمبر:

إننا لنرفض هذا الوعد أجمعنا أهل العروبة من بدو ومن حضر⁽³⁾
كما رفضناه في عام مضى وكذا في كل عام سيأتينا بلا خور
إذ أظهر حركة الراء، وهي الكسرة، فزادت القافية نغماً.

3- قول الشاعر وديع البستاني في قصيدة الرد على الرصافي :

أنؤمن في بلفور بعد محمد وعيسى وموسى والوزير من الوزر⁽⁴⁾

4- قول الشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدة فلسطين الدامية :

(1) ينظر: عيسى على العاكوب، موسيقى الشعر العربي، ص216

(2) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص42

(3) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص28

(4) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص110

هل وعد بلفور تشريع إذا فرطت أغلوطة منه تدعو الناس للعجب؟⁽¹⁾

والكسرة التي استطالت على الباء وبدت كأنها ياء، تجعل الإيقاء الموسيقي يدل على تألم الشاعر مما انطوى عليه وعد بلفور من ظلم بحق شعب فلسطين، إذ إن هذا الوعد مدعاة للعجب فلا يقره دين من السماء.

ب- القافية المقيدة

سبق وأشارت الباحثة إلى أنّ القافية المقيدة هي التي رويها مقيد أي ساكن، ومن الأمثلة عليها:

1- قول الشاعر محمد علي صالح في قصيدة " ليلى وبلفور ":

قل لهم بلفور يأتيكم غداً هل تكاتتم إلى هذا الخبز⁽²⁾

وأبرقوا رفضاً لوعد جائر لرجال الغرب وامحوا ذا الأثر

سكّن الشاعر حرف الروي الزاء، والتزم بفتح الحرف الذي سبقها، فتناسب هذا مع وزن (فاعلا) التي جاءت في ضرب البيت مما تمم الموسيقى وزادها جمالاً.

2- قول الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة "أحاجي ":

ورد البئر صدى حتى ارتوى ثم ولى ورمى فيها الحجر⁽³⁾

كان كالذئب تغذى حلباً من شياه فتعدى فبقز

قيد الشاعر القافية بتسكين حرف الزاء، والتزم بفتح الحرف الذي سبقها.

3- قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "البلد الكئيب ":

إخساً بوعدك لن يضير الوعد شعباً هبّ ناهض⁽⁴⁾

قيد الشاعر القافية بتسكين الروي حرف "الضاد"، والتزم بكسر الحرف الذي قبلها.

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة 88/2

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

(3) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص99

(4) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

أحرف القافية:

اتفق العروضيون على أنّ أحرف القافية ستة، هي: الروي، والوصل، والخروج، والرديف، والتأسيس، والدخيل. وأهم هذه الحروف على الإطلاق هو الروي، فهو القطب الذي يحيط به سائرهما، إذ يقع بعده الوصل والخروج، ويقع قبله الرديف أو التأسيس، والدخيل. وهذه الحروف كلها ينبغي التمسك بها تمسكًا مطلقًا حين ترد في القصيدة؛ حفاظًا على قيمتها الصوتية والإيقاعية⁽¹⁾.

1-الروي

هو الصوت الذي تبنى عليه أبيات القصيدة الشعرية، ويجب أن يشترك في كل قوافيها، وهو أقل ما يمكن أن يراعى تكراره، ولا يكون الشعر مقفًى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرر في آخر الأبيات. وإذا تكرر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات عدت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية الشعرية.⁽²⁾

وإليه تنسب القصائد أحيانًا، فيقال: رائية، وعينية، ونونية، وهمزية، ومن ثمّ قالوا: "سينية" البحري لقصيدته التي رويها السين. وقالوا: "لامية العرب" وهي قصيدة الشنفرى، التي رويها لام. إلى غير ذلك مما تعارف عليه الأدباء واصطلحوا عليه.⁽³⁾

سبب التسمية

سمي رويًا لأنه ينضم ويجتمع إليه كل حروف البيت، إذ تستخدم العرب مادة "روي" في معاني الجمع والاتصال والضم، ومن هذا كلمة "الروء" أي الحبل الذي يشد على الأحمال والمتاع ليضمها⁽⁴⁾.

ويأتي الروي متحركًا أو ساكنًا. ويسمى المتحرك "مطلقًا" لأنه غير ممنوع من الحركة، ومثاله قول الشاعر

إبراهيم طوقان:

(1) ينظر: عمر خليفة بن إدريس، في العروض والقافية، ص178

(2) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص245

(3) عيسى على العاكوب، موسيقى الشعر العربي، ص181

(4) المرجع نفسه، ص182

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعدًا تلقيناه إيعاداً⁽¹⁾

ويسمى الروي الساكن "مقيداً" لأنه ممنوع من الحركة امتناع المقيد من التصرف. ومثاله قول الشاعر عبدالرحيم محمود:

كان كالدئب تغذى حلباً من شياه فتعدى فبقر⁽²⁾

ويجب التزام الإطلاق أو التقييد في القصيدة كلها.

حروف الروي

معظم حروف الهجاء يمكن أن يقع رويًا، ولكنها تختلف في نسبة شيوعها، فوقع حرف "الراء" كثير شائع في الشعر العربي، في حين أن وقوع حرف "الطاء" قليل نادر⁽³⁾.

ومن خلال دراسة الباحثة لروي القصائد التي قيلت في وعد بلفور تبين أن هنالك ثمانى قصائد جاء رويها حرف الراء: ثلاث قصائد منها للشاعر محمد على صالح: "حكومة الطور" و "ليلي و بلفور" و "يوم 2 نوفمبر" و قصيدتان لإبراهيم الدباغ: "صوت فلسطين" و " يا وطني الأول"، وقصيدتان للشاعر عبد الرحيم محمود: "أحاجي" و "وعد بلفور"، وقصيدة "الرد على الرصافي" للشاعر وديع البستاني.

ولا تعزى كثرة الشيوخ أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة العربية، فالدال مثلاً تجيء في أواخر كلمات اللغة العربية بكثرة ولهذا مجيئها رويًا يزيد كثيرًا عن مجيء العين والفاء في الشعر العربي. ويمكن أن تقسم حروف الهجاء التي تقع رويًا إلى أقسام أربعة حسب نسبة شيوعها في الشعر⁽⁴⁾:

أ- حروف تجيء رويًا بكثرة وهي: الراء، والدال، واللام، والميم، والنون، والباء.

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 214

(2) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص 99

(3) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 246

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 246

ب- حروف متوسطة الشيوخ وهي: التاء، والسين، والقاف، والكاف، والهمزة، والعين، والحاء، والفاء، والياء، والجيم.

ج- حروف قليلة الشيوخ وهي: الضاد، والطاء، والهاء.

د- حروف نادرة في مجيئها رويًا وهي: الذال، والتاء، والغين، والحاء، والشين، والصاد، والزاي، والطاء، والواو.

ومن الحروف المتقدمة ما تشترط فيها شروط حين تقع رويًا مثل: التاء، والكاف، والهاء، والميم⁽¹⁾.

1- التاء

يرى علماء العروض أنه يحسن فيها ألا تكون تاء تأنيث، وذلك بأن تكون أصلًا من أصول الكلمة.

وقد استساغ الشعراء وقوع تاء التأنيث رويًا حين تسبق بألف مد، أما إذا لم تسبق بألف مد، فقد عدّها الشعراء رويًا ضعيفًا بنفسه ولا بدّ من تقويته بإشراك حرف آخر مع التاء حتى لا يكون ما يتكرر في أواخر الأبيات مقصورًا عليها.

ومن الشواهد على ذلك من الشعر الذي قيل في وعد بلفور، قول الشاعر إبراهيم طوقان قصيدة "أيها الأقوياء":

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة وختمنا لجندكم بالبسالة⁽²⁾

الترم الشاعر "اللام" قبل تاء التأنيث إلى آخر أبيات القصيدة وهذا مما يتمم موسيقى القصيدة ويحسنها. كما أن الشاعر إسكندر الخوري في قصيدة "الجامعة العبرية" قال:

من لندن هرولت تضرم نار هذي الواقعة⁽³⁾

يا الورد ما لومي عليك فأنت أصل الفاجعة

(1) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 247

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 213

(3) إسكندر الخوري، العنقود، ص 106

التزم الشاعر العين قبل تاء التأنيث إلى آخر القصيدة. وهذا مما يقوي الروي ويجعل موسيقى القصيدة تامة حسنة.

2- الكاف

قد تكون الكاف للخطاب، أي ضمير متصل. فإذا اتخذت رويًا في القصيدة حسن فيها أحد أمرين⁽¹⁾:

أ. أن يسبقها حرف مد.

ب. أن يلتزم الحرف الذي قبلها.

ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في قصيدة "أرض الثورات" إذ قال الشاعر:

بلفور .. يا بلفور⁽²⁾

كل العرب لن ينسوا أساك

يا بئس ما ألقى لسانك

بئس ما خطت يداك

عجبًا لمنطقك الغريب

وما تفتق عن دهاك

قررت للأغراب أرضًا

كان يملكها سواك

جعل الشاعر الروي كاف الخطاب مسبوقه بحرف المد الألف وذلك في الكلمات: أساك، يداك، دهاك،

سواك. وهذا مما يتم الموسيقى ويحسنها.

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 247

(2) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص 314

3- الميم

يحسن في الميم حين تقع رويًا ألا تكون جزءًا في رويّ الشاعر، وأن تكون كل أبيات القصيدة مختتمة بها فهذا لا يكاد يقع في شعر الشعراء، وإنما الذي يحدث عادةً أن تقحم مثل هذه الميم في ثنايا قصيدة رويها ميم أصليه من بنية الكلمة.

وإذا تصادف أن جاء الروي "الميم" التي هي جزء في الضمير وحدها، حسن أن يلتزم معها الحرف الذي قبلها⁽¹⁾. ومن الأمثلة على الميم الأصلية التي تأتي رويًا، قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "رد على رثوبين شاعر اليهود":

غضب الله ما يزال عليكم وعد بلفور دونه مهزوم⁽²⁾

الترم الشاعر "الميم" الأصلية في بنية الكلمة رويًا في كل أبيات القصيدة.

وكذا في قول الشاعر وديع البستاني في قصيدة "لفور في دمشق":

ميرم الوعد ناقض العهد ماذا بعد برد من نارنا وسلام⁽³⁾

وكذا في قول الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة "عيد الجامعة العربية":

ظللنا نغرر بالوعد وينظلي كذب ويفعل فعله الإيهام⁽⁴⁾

4- الهاء

لا تكون الهاء رويًا إلا إذا توافر فيها أحد شرطين:

(أ) أن تكون أصلًا من أصول الكلمة وجزءًا من بنيتها، وإن كان مجيء هذا النوع من الروي للقوائد قليل الشيع، وذلك لأن ورود الهاء في أواخر الكلمات العربية قليل وغير شائع.

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص248

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص113

(3) وديع البستاني، ديوان الفلستينيات، ص164

(4) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص25

(ب) أن يسبقها حرف مد، فالهاء لا تحسن في الروي إلا إذا سبقها حرف مد.

أما الهاء التي ليست أصلاً من أصول الكلمة وليست مسبوقه بحرف مد فلا يصح اعتبارها وحدها رويًا، وإنما الواجب أن يشركها الحرف الذي قبلها، ويرى علماء العروض أنّ هذا الحرف هو الروي وإليه تنسب القصيدة، وأن الهاء هنا "وصل" أي تكملة للقافية في مثل هذا النوع من القصائد⁽¹⁾.

ومن الأمثلة على هذا قول إبراهيم طوقان في قصيدة "البلد الكئيب":

لهفي على البلد الكئيب تعطلت أسواقه⁽²⁾

هذا عدوك لا يرعك وهذه أخلاقه

التزم الشاعر هنا بحرف "القاف" وجعله رويًا قبل هاء الوصل لخمس أبيات تشكل المقطوعة الثانية من القصيدة.

والسر في اشتراط أمور يجب توفرها في كل من: "التاء"، و"الكاف"، و"الميم"، و"الهاء"، حين تقع رويًا، هو أنها جميعًا قد تقع لواحق للكلمات، ولا تكون فيها أصلاً من بنية الكلمة.

وأساس الروي والشعور بموسيقاه مبني على كونه جزءًا من بنية الكلمة. فاللواحق وإن اتصلت بالكلمات نشعر بانفصالها عنها واستقلالها، لذلك أحس الشعراء بوجود تقوية هذه السلعة وذلك بأن نشرك معها أصلاً من أصول الكلمة أو نسبقها بحرف مد. وحرف المد يعد بمثابة الاشتراك في هذا الأصل، وهو مما يحقق الانسجام الموسيقي الذي تتطلبه القافية⁽³⁾.

2- الوصل

وهو حرف ناشئ عن إشباع حركة الروي في القوافي المطلقة، أو هاء تلي الروي المطلق، تكون مفتوحة، أو مضمومة، أو مكسورة، أو ساكنة بشرط أن يكون ما قبلها متحرك. ومن الأمثلة على ذلك:

(1) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 250-254

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 118

(3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 251

1- قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "يا سراة البلاد":

يا سراة البلاد يكفي البلاداً ما أذاب القلوب والأكبدا(1)

وعد بلفور دكها فلماذا تجعلون الأتقاض منها رمادا

جعل الشاعر من فتحة حرف الروي حرف مد، فاستطال هذا الصوت ما يجعل موسيقى الشعر تدل على التوجع والألم لما أصاب البلاد من أذى.

وكذا قوله في قصيدة "زيادة الطين":

بفضلكم قد طغى طوقان هجرتهم وكان وعدًا تلقيناه إيعادا(2)

واليوم من شؤمكم نبلى بكارثة هذا هو الطين والماء الذي زادا

2- قول الشاعر محمد علي صالح في قصيدة "حكومة الطور":

الله أكبر لا نريد الطورا جبلاً يحف بنا ولا بلفورا(3)

3- قول الشاعر إسكندر الخوري في قصيدة "وما ضام الفتى ظلم الأعداء"

فلا استعمار عندهم بغيضاً ولا وعد أضاع حمى وشعباً(4)

4- قول الشاعر حسن البحيري في قصيدة "الداء والدواء":

يا أيها الزّارون -تنديداً- على بلفور وعداً(5)

أين الذي أعددموه لتتقدوا الوطن المفدى

ومثال الهاء التي تلي الروي، وتكون متحركة أو ساكنة، وما قبلها متحرك، قول الشاعر إبراهيم طوقان

في قصيدة "البلد الكئيب":

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص58

(2) المصدر السابق نفسه، ص214

(3) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص25

(4) إسكندر الخوري، آلام وآمال، ص73

(5) حسن البحيري، الأنهر الظمأى، ص67

لهفي على البلد الكئيب تعطلت أسواقه⁽¹⁾

صبراً فإن الصبر قد يحلو بفيك مذاقه

أتى الشاعر بحرف الهاء المضمومة بعد الروي حرف القاف المضمومة بهدف إثراء موسيقى الشعر.

وكذا قوله في قصيدة "أيها الأقوياء":

أجلاءً عن البلاد تريدون فنجلو، أم محقنا والإزالة؟⁽²⁾

أتى الشاعر بحرف الوصل الهاء الساكنة بعد الروي المتحرك اللام المفتوحة.

ومن الملاحظ خلال دراسة القصائد التي قبلت في وعد بلفور أن قائلها اهتموا بالوصل بهدف إثراء

موسيقى الشعر.

3- الردف

وهو حرف مد أو حرف لين ساكن قبل حرف الروي مباشرة سواء أكان الروي مطلقاً أم مقيداً، ويجوز أن يتعاقب فيه الواو والياء إذا كانا حرفي مد، وإن كانا حرفي لين فلا يجوز أن يتعاقبا. وبدء الشاعر قصيدته بقافية ردفها ألف يستلزم منه المحافظة على هذه الألف في كل أبيات القصيدة التي تليها بعد⁽³⁾.

وسمي "ردفاً" لأنه ملحق في التزامه ومراعاته بحرف الروي، فكأنه الردف الذي هو الراكب خلف الراكب⁽⁴⁾،

ومن الأمثلة على هذا:

1- قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "رد على رثوبين شاعر اليهود":

غضب الله ما يزال عليكم
وعد بلفور دونه مهزوم⁽⁵⁾

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

(2) المصدر السابق نفسه، ص213

(3) عبدالرضا علي، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، ص174

(4) عيسى على العاكوب، موسيقى الشعر العربي، ص185

(5) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص113

في هذا البيت جاء حرف الرفع حرف مد (الواو) وجاء بعده الروي حرف الميم مطلقاً مشبع الضمة مما وفر مقطعاً غنياً بالموسيقى.

وكذا قوله في قصيدة "البلد الكئيب":

بلغور يومك في السماء عليك صاعقة السماء⁽¹⁾
إخساً بوعدك، إن وعدك دونه رب القضاء

جاء حرف الرفع حرف مد (الألف) وجاء بعده حرف الروي حرف الهمزة مطلقاً مشبع الكسرة. ومنه قوله في القصيدة نفسها:

وطني، علينا العهد جميعاً أن نسير إلى الأمام
ومنه قوله في قصيدة "جماعة السار":

يتداعى إذا تسلط وعد أو وعيد عليه عند العوادي⁽²⁾
وكذا قوله في "رثاء أبي المكارم":

تجد قوياً وفي وعد الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب⁽³⁾

2- قول الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة "أحاجي":

وهب الشحاذ ما ليس له يا لطيب النفس والقلب الكبير!!⁽⁴⁾

جاء الرفع في هذا البيت حرف المد (الياء) وتلي بالروى المطلق حرف الراء المشبعة بالكسرة، وهذا مما يوفر مقطعاً غنياً بالموسيقى، وكذا قوله في القصيدة نفسها:

كلكم يعرفه، فهو غداً مثلاً للذل، رمزاً للهوان

3- قول الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في قصيدة "إيه يا يوم الثلاثاء":

قل لمن في لندن آواهم القصر المشيد⁽⁵⁾
أبهذا حكم العدل وهل ترضى اليهود؟

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

(2) المصدر السابق نفسه، ص210

(3) المصدر السابق نفسه، ص230

(4) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص97

(5) محيي الدين الصفدي، ديوان من فلسطين وإليها، ص15

أم لديكم بعد قتل النفس بالجور مزيد؟

الردف في الأبيات السابقة بحرفي الياء والواو وما تلي به من الروي المطلق (حرف الدال المشبعة بالضمّة) يوفر نغمًا موسيقيًا من مجزوء الرمل، يُسرّي به الشاعر عن نفسه لما أصابه من حزن بسبب جرائم الاحتلال البريطاني وسياسة البطش والتكيل تجاه أهل فلسطين، فهو يستنكر سياسة الجور والظلم التي يتعامل بها البريطانيون من أجل تحقيق مطامع اليهود وتبدو نغمة التهديد والوعيد من الشاعر لسلطة الاحتلال البريطاني.

4- قول الشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدة "صوت فلسطين":

ردوا على القوم كيذا وعد بلفور ونسجه بيدي كيد وتدبير⁽¹⁾

ليس فلسطين في البلدان عارية تهدى وتمنح بين العير والعير

جاء الردف حرف المد (الياء) وتلي بالروي حرف الرّاء المطلق مشبعًا بالكسرة، ما يجعل موسيقى

الشعر تدلّ على التآلم والتتديد بوعد بلفور واستنكار ورفض سياسة بريطانيا تجاه فلسطين.

5- قول الشاعر وديع البستاني في قصيدة "بلفور في دمشق":

لا يحل القرى لمثلك ضيفًا سمّه مفسد لمّح الطعام⁽²⁾

6- قول الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة "عيد الجامعة العربية":

هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسام⁽³⁾

وتبين الأمثلة السابقة مدى اهتمام الشعراء بهذا النوع من القافية لتوفير أكبر قدر من الجو الموسيقي

المؤثر في السامع.

4- إشباع حركة هاء الوصل (الخروج)

وهو إتباع الروي المطلق هاء متحركة، وقد استخدمه الشعراء طلبًا للموسيقى. ومنه قول الشاعر إبراهيم

طوقان في قصيدة "البلد الكئيب":

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة 2، ص 36-42

(2) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص 164

(3) عبد الرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص 25

هذا عدوك لا يرعك وهذه أخلاقه⁽¹⁾

أشبع الشاعر حركة هاء الوصل، التي هي الضمة، إضافة إلى القافية المطلقة المتحركة بالضم، فزادها نغمًا.

5- التأسيس

وهو الألف الساكنة التي يُفصل بينها وبين الروي بحرف متحرك لا يلتزم، ولكن حركته تلتزم، ويسمى هذا الحرف "دخيلًا" لأنه مختلف بعد ألف التأسيس التي لا يجوز اختلافها فكأنه دخيل في القافية. وقد لقي هذا النوع من القافية العناية من الشعراء طلبًا للموسيقى، ومن الأمثلة على هذا النوع من القافية، قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "البلد الكئيب"

إخسأ بوعدك لن يضير الوعد شعبًا هبّ ناهض⁽²⁾

لا تنقض الوعد الذ ي أبرمته فله نواقض

حرف التأسيس هنا هو الألف، وفُصل بينها وبين الروي في البيت الأول بالهاء وهو الحرف الدخيل، ولم يلتزم الشاعر بالهاء في البيت الثاني، فجاء بالقاف بين الألف والروي (الضاد) ، ولكنه التزم حركة الهاء في البيت الأول وهي الكسرة. وسميت الألف "تأسيسًا" لأنها لتقدمها على كل حروف القافية والتزام الشاعر إياها بمنزلة أسّ القافية⁽³⁾.

وإنّ عناية الشاعر بأحرف القافية، تعكس مدى اهتمامه بالموسيقى الشعرية المعبرة عن الفكرة التي يود إيصالها للسامع، إذ إنّه أراد أن يعجل العقاب لبلفور في الدنيا على أيدي أبطال فلسطين، فتوجه في خطابه إلى بلفور متوعدًا بأنّ الشعب الفلسطيني المجاهد لن يضيره هذا الوعد، ولديه وسائل عديدة لنقضه ومنع تحقيقه

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص118

(2) المصدر السابق نفسه، ص119

(3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص254

على أرض الواقع. وهناك علاقة وطيدة بين الموسيقى الشعرية والمعنى، إذ إنَّ هذا الرابط يحدث توازنًا متناغمًا بين الإيقاع الموسيقي وإيقاع الأفكار في النص.

6- التصريح

هو اتفاق قافية صدر البيت وعجزه زيادةً ونقصانًا. وقد عده النقاد دليلًا على قدرة الشاعر وسعة فصاحته، إلا أنهم كرهوا الإكثار منه وعدّوه تكلفًا وعبثًا إذا جاء في أقل من سبعة أبيات. يقول ابن رشيق: "هو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة، إلا أنه إذا كثر في القصيدة دل على التكلف"⁽¹⁾.

ومن خلال دراسة القصائد التي قيلت في وعد بلفور، لاحظت الباحثة أنّ التصريح كان في مطلع (15) قصيدة، ومن الأمثلة على ذلك الآتي:

1- مطلع قصيدة "يا سراة البلاد" لإبراهيم طوقان:

يا سراة البلاد يكفي البلادا ما أذاب القلوب والأكيادا⁽²⁾

وقع التصريح في مطلع القصيدة السابق بتكرار الألف الساكنة مع الدال الموصولة بألف مد في قافية الشطر الأول والشطر الثاني، والتزم بفتح الحرف الذي قبل الألف الساكنة (لادا، بادا) وهذا ما جعل الموسيقى في مطلع القصيدة قريبة من القلب مؤثرة في السامع محزنة لما توحى به من دلالة مؤلمة لما أصاب البلاد.

2- مطلع قصيدة "رد على رؤوبين شاعر اليهود":

هاجر أمنا ولود رؤوم لا حسود ولا عجوز عقيم⁽³⁾

وقع التصريح في هذا المطلع بتكرار حرف المد مع الميم المضمومة في قافية الشطر الأول والشطر الثاني، لما أثرى الموسيقى وأكسبها إيقاعًا جميلًا.

وكذا في مطلع قصيدة "البلد الكئيب":

يا أيها البلد الكئيب حياك منهمر سكوب⁽⁴⁾

(1) ابن رشيق، العمدة، 174/1

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص58

(3) المصدر السابق نفسه، ص113

(4) المصدر السابق نفسه، ص118

وكذا في مطلع قصيدة "أيها الأقوياء ":

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة وختمنا لجنديكم بالبسالة⁽¹⁾

وكذا في مطلع قصيدة "تشيد البراق ":

لنا البراق والحرم لنا الحمى، لنا العلم⁽²⁾

3- مطلع قصيدة "حكومة الطور " لمحمد علي صالح:

الله أكبر لا نريد الطورا جبلاً يحفُّ بنا ولا بلفورا⁽³⁾

ومنه قوله في مطلع قصيدة "يوم 2 نوفمبر ":

رحماك ربي فهذا الجمع من مضر يدعوك فالطف به يا خير من يجر⁽⁴⁾

فوقع التصريح هنا في تكرار حرف الراء في نهاية الشطر الأول والثاني.

4- مطلع قصيدة "وما ضام الفتى ظلم الأعادي " لإسكندر الخوري:

هبطتُ بلادهم شرقاً وغرباً فتهدت بها ورحت أسير عجباً⁽⁵⁾

وقع التصريح بتكرار الباء وحرف المد الألف الناشئ عن اشباع حركة الروي في نهاية الشطر الأول

والشطر الثاني في البيت السابق.

5- مطلع قصيدة "وعد بلفور" للشاعر عبد الرحيم محمود:

العرب ما خضعوا لسلطة قيصر يوماً ولا هانوا أمام تجبر⁽⁶⁾

6- مطلع قصيدة "إيه يا يوم الثلاثاء " للشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي:

أنحيب أم نشيد ورثاء أم قصيد⁽⁷⁾

7- مطلع قصيدة " الداء والدواء " للشاعر حسين البحيري:

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص213

(2) المصدر السابق نفسه، ص258

(3) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص20

(4) المصدر السابق نفسه، ص25

(5) إسكندر الخوري، آلام وآمال، ص73

(6) عبدالرحيم محمود، الأعمال الكاملة، ص42

(7) محيي الدين الصفدي، ديوان من فلسطين وإليها، ص15

الدَّهر بالحدثان شدًّا ومضى وصار الأمر جدًّا⁽¹⁾

- 8- مطلع قصيدة "الردّ على الرصافي" للشاعر وديع البستاني:
خطاب "يهودا" أم عجاب من السحر وقول الرصافي أم كذاب من الشعر⁽²⁾
وكذا في مطلع قصيدة "بلغفور في دمشق":

حدثوني يا أهل دار السلام عن شهيدٍ لله والإسلام⁽³⁾

9- مطلع قصيدة "عيد الجامعة العربية" للشاعر عبد الرحيم محمود:

عيد بإحناء الصدور يقام من وحيه الأشعار والإلهام⁽⁴⁾

10- مطلع قصيدة "صوت فلسطين" لإبراهيم الدباغ:

ردوا على القوم كيّدًا وعد بلغفور ونسجه بيدي كيّدٍ وتدبير⁽⁵⁾

مما سبق تبين للباحثة أن ثمانية شعراء من الذين قالوا في وعد بلغفور حرصوا على التصريح في مطلع قصائدهم لإثراء الموسيقى الشعرية للتأثير على السامع ليكون شعرهم قريبًا من قلوب الناس، لما كان للشعر في تلك الحقبة من دور بارز في الكفاح والدعوة للثورة على الاحتلال البريطاني ونشر الوعي بين أهل فلسطين.

القافية في شعر التفعيلة

لما قامت حركة شعر التفعيلة، كان دعواتها يعدون القافية والوزن من العناصر الشعرية المهمة، فلم يتجهوا لنبذ القافية، ولم يسعوا لإلغاء الوزن، وإنما اتجهوا إلى إدخال تعديلات كانت ضرورية، لإطلاق القدرة التعبيرية للشاعر، دون أن يخضع للقيود التي كان يفرضها عليه الإطار القديم.⁽⁶⁾

وعلى الرغم من تغيير طريقة تعامل الشاعر الحديثة مع القافية، فإنه يبدو أنها لم تمت في البيت الشعري المعاصر، ولكنها تختفي تحت أقنعة متعددة، وهذا التعامل الجديد معها أصبح مع الشاعر الحديث خاليًا من

(1) حسن البحيري، الأثر الظمائي، ص 67

(2) وديع البستاني، الفلسطيينيات، ص 110

(3) المصدر السابق نفسه، ص 164

(4) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص 25

(5) إبراهيم الدباغ، الطليعة 2، ص 36

(6) ينظر: عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 65.

الضوابط التقليدية، وبالتالي نجدُ مرة يعتمد قافية مختلطة، ومرة أخرى يعتمد تزوج القافية وتناوبها، أو يأتي بها مرسله، أو تأتي هذه الأساليب كلها أو بعضها في القصيدة الواحدة، فتعامل الشاعر الحديث مع القافية بهذا الشكل ليس اعتباطيًا وإنما هو راجع إلى دلالة القصيدة وإيقاعها⁽¹⁾.

وقد رأى كثير من المحدثين ضرورة تنوع القوافي لأن التزام قافية واحدة في مجموع القصيدة ليس إلا شكلاً من أشكال التكرار التي قد لا تكون لها أي وظيفة في مضمون القصيدة، ولهذا أصبحت القافية في الشعر الحديث ذات بعدين: دلالي وصوتي، فهي أصوات تتكرر في نفس الوقت وتكون منسجمة مع الحالة النفسية للشاعر وشديدة الارتباط بالمعنى، وهي بهذا المفهوم الحديث تخدم الشعر، لأن التلوين الدلالي يقتضي تنوعاً في إيقاع نهاية الشطور، وبتردادها تكون النهاية معنوية موسيقية يرتاح لها الشاعر والقارئ، وبتردادها تعطي ثراءً موسيقيًا للقصيدة بإسهامها البنائي في بقية العناصر اللغوية ذات البعد الموسيقي⁽²⁾.

ومن خلال دراسة الباحثة لقصائد الشعر الذي قيل في وعد بلفور تبين لها أن الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة أرض الثورات وظف قافية متناوبة تتوالى في عدة أسطر على نظام ما، ثم يتحول منها إلى نظام آخر، وهكذا، ولكن دون أن يلتزم نظاماً معيناً من التقفية وذلك كقوله:

بلفور .. يا بلفور

كل العرب لن ينسوا أساك

يا بئس ما ألقى لسانك

بئس ما خطت يداك

عجباً لمنطقك الغريب

وما تفتق عن دهاك

(1) ينظر: عمر خليفة بن إدريس، في العروض والقافية، ص243

(2) ينظر: بشرى عليطي، وزميلها، البنية الإيقاعية في شعر عزالدين المناصرة، ص87-89

قررت للأغراب أرضًا

كان يملكها سواك

وعد تزلزلت العروبة

منه واشتعل الضرام

وجلجل الشعب الهمام

عار علينا أن يكون

فدونه الموت الزؤام

عار علينا أن يكون

فلن نكل ولن ننام

إن هذا التناوب للقافية صيغة متحرّرة لم تعرفه القصيدة العربية وتناوب القافية من الشاعر لم يكن عفويًا بل كان تعبيرًا عن عمق المعاناة والصراع الذي يعيشه، كما أن التناوب له علاقة في الربط بين أجزاء النص إيقاعيًا. والشاعر كرر قوله:

"عار علينا أن يكون"

ليشحن القافية بإيقاع عروضي يعبر عن الحالة النفسيّة والمعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال البريطاني والصهيوني.

ب- الموسيقى الداخلية

تحدثت الباحثة عن عنصرى الوزن والقافية ودورهما في تحقيق الموسيقى الخارجية في النص الشعري، إلا أنّ هذين العنصرين لا ينفردان بتحقيق الإيقاع الموسيقي، إذ توجد عناصر أخرى تتبع من داخل القصيدة،

لا من خارجها فقط، توكل لها وظيفة تحقيق الإيقاع الموسيقي الداخلي الذي ينبع من الكلمات وتلاؤم حروفها وحركاتها. وتناولت الباحثة في دراسة هذا النوع من الموسيقى، الجناس، ورد العجز إلى الصدر، والتكرار، والتدوير.

1-الجناس

الجناس أو التجنيس هو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى، وقد تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، أو إحداهما اسماً والآخر فعلاً، وهو قسمان:

الأول: جناس تام، كما في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)⁽¹⁾

فقد ترددت في الآية الكريمة كلمة "ساعة" مع الاختلاف في المعنى.

والثاني: جناس ناقص، كما في قوله تعالى: (وَالنَّعْتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)⁽²⁾ . فالجناس الناقص بين كلمتي "ساق" و "مساق".

وقد اهتم به الشعراء اهتماماً بالغاً كغيره من فنون البديع اللفظي والمعنوي، لما له من أثر موسيقي لأنّ ترديد الأصوات في البيت الواحد يزيد النعم ويسترعي الأذان بألفاظه، كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه. ولا شكّ في أنّ مثل هذا الأسلوب في نظم الكلام لا يقدر عليه إلا الشاعر الذي وهب حاسة مرهفة في تذوق الموسيقى اللفظية. فهذا النوع من البديع اللفظي وثيق الصلة بموسيقى الشعر، فهو تقنن في طرق ترديد الأصوات، وذلك لأن الأصوات التي تتكرر تجعل البيت الشعري أشبه بفاصلة موسيقية متعدّدة النغم مختلفة الألوان يستمتع بها من له دراية بهذا الفن⁽³⁾.

ومن الجناس التام قول الشاعر إسكندر الخوري في قصيدة "الجامعة العبرية":

(1) الروم، 30، آية 55

(2) القيامة، 29-30/75

(3) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 43-46

ما تلك جامعة العلو م بل للمطامع جامعة⁽¹⁾

فقد جانس في البيت بين كلمتي "جامعة" مع الاختلاف في المعنى، وبهذه المجانسة بين لفظي "جامعة" تكرر الحروف فأحدثت زيادة في النغم.

ومن الجناس الناقص قول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "رثاء ابي المكارم" مجانسًا بين كلمتي "ترهيب" و "ترغيب"، يقول:

ومرَّ سبعٌ وعشرٌ في البلاد له وحكمه مزج ترهيب وترغيب⁽²⁾

وقد وفرّ هذا الجناس شيئاً من الموسيقى الداخلية.

وكذا قوله في القصيدة نفسها:

قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده مصيرنا رهنٌ تدريب وتجريب

فجانس بين كلمتي "تدريب" و "تجريب"، وهذا من الجناس الناقص، ومنه قوله في قصيدة "تشيد البراق":

لا تسمعوا كذب الوعود أعداؤنا خانوا العهود⁽³⁾

فجانس بين كلمتي "الوعود" و "العهود".

ومنه قوله في قصيدة "جماعة السار":

يتداعى إذا تسلط وعد أو وعيد عليه عند العوادي⁽⁴⁾

فالجناس الناقص بين كلمتي "وعد" و "وعيد".

(1) إسكندر الخوري، العنقود، ص106

(2) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص230

(3) المصدر السابق نفسه، ص210

(4) المصدر السابق نفسه، ص110

وكذا في قول الشاعر وديع البستاني في قصيدة "الرد على الرصافي":

أنؤمن في بلفور بعد محمد وعيسى وموسى والوزير من الوزر⁽¹⁾

فجانس بين كلمتي "الوزير" و "الوزر".

وبهذا الجناس تكررت مجموعة من الحروف، ما زاد في نغمة البيت الموسيقية.

2- ردّ العجز على الصدر

من المحسنات اللفظية في علم البديع ردّ العجز إلى الصدر، وهو أن يأتي الأديب بلفظين مكررين أو متجانسين فيجعل أحدهما في أول الجملة والآخر في آخرها، أو أن يكون أحدهما في الشطر الأول من بيت الشعر والثاني في الشطر الثاني لبيت الشعر، وقد يكون اللفظان بمعنى واحد ومن مادة واحدة، وقد يكون كل منهما من مادة.

ومثال الأول أي ما اتحدت مادته ومعناه، قوله تعالى: (وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)⁽²⁾.

ومثال الثاني أي ما اختلفت مادته، "قولك: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فسائل الأولى من السؤال والثانية من السيلان. وهذا قريب من الجناس، إلا أنّ في مثل هذا جاءت إحدى الكلمتين في أول الجملة والثانية في آخرها، ولا يشترط ذلك في الجناس، والجناس لا بد فيه من اختلاف المعنى بين الكلمتين، وقد يتحد المعنى في ردّ العجز على الصدر"⁽³⁾. ولهذا الفن أهمية موسيقية؛ إذ أنّ تكرار الأصوات وتردادها في حشو البيت، مضافة إلى ما يتكرر في القافية، يجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعدّدة النغم.

ومثاله قول الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة "عيد الجامعة العربية":

خرجوا لنا بالسحب من أقسامنا يا ويلنا إنّ الهول أقسام⁽⁴⁾

(1) وديع البستاني، الفلسطينية، ص110

(2) الأحزاب، 37/33

(3) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفانها، 308/2

(4) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص25

فقد كرر كلمة "أقسام" في صدر البيت وعجزه، فزاد التكرار من نغمة البيت الموسيقية.

وكذا قول الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في قصيدة "إيه يا يوم الثلاثاء":

وإذا نجم هوى منهم بدا نجم جديد⁽¹⁾

وإذا عود ذوى في روضهم أورك عود

فتكرار كلمة "نجم" في البيت الأول وكلمة "عود" في البيت الثاني، أعطى البيت جواً موسيقياً غنياً.

ومنه قول الشاعر محمد علي صالح في قصيدة "حكومة الطور":

ما سطر التاريخ وعدًا كالذي أوعده شعبًا غدا مدحورا⁽²⁾

سحقًا لهذا الشعب يبغي أرضنا في ماله سحقًا له ودثورا

فتكرار كلمتي "وعدًا" و "أوعده" في البيت الأول، وكلمة "سحقًا" في حشو البيت الثاني، زاد من الموسيقى الداخلية.

وكذا قوله في قصيدة "يوم 2 نوفمبر":

كما رفضناه في عام مضى وكذا في كل عام سيأتينا بلا خور⁽³⁾

ردّ الشاعر كلمة "عام" في عجز البيت على "عام" في حشو الشطر الأول فكرر هذه الحروف الثلاثة بحركتها فزاد من الموسيقى الداخلية.

ومنه قول الشاعر إسكندر الخوري في قصيدة "الجامعة العبرية":

(1) محيي الدين الصفدي، ديوان من فلسطين وإليها، ص13

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص23

(3) المصدر السابق نفسه، ص25

إنّ السياسة أوجدت.....سياسة خادعة⁽¹⁾

ومنه قول الشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدة "فلسطين الدامية":

ما حكمه بعد أحكام السماء ولا يرضى به بعد حكم الله غير غبي⁽²⁾

فرد كلمة "حكم" في عجز البيت على "حكم" في حشو الشطر الأول بالإضافة إلى ذكر كلمة "أحكام"، فتكرار هذه الكلمات زاد من الموسيقى الداخلية وجعلها أكثر جمالاً.

3- التكرار

تعتبر ظاهرة التكرار من أهم الأسس الفنية المساهمة في إغناء إيقاع القصيدة، وتعني: تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بإذ تشكل نغمًا موسيقيًا يتقصده الناظم. يقول عبدالله الطيب: "ولا ينبغي أن تنسى أنّ كلّ تكرار مهما يكن نوعه، تستفاد منه زيادة النغم، وتقوية الجرس"⁽³⁾.

والتكرار ليس وليد الشعر الحديث، بل كرر القدماء القافية والوزن وهما تماثل يعطي للقصيدة طابعًا رتيبًا. والتكرار مكوّن من مكوّنات البنية الإيقاعية، سواء أكان حرفًا، أو كلمة، أو عبارة، أو مقطعًا بكامله، " فهو يضع في أيدنا مفتاحًا للفكرة المتسلطة على الشاعر فيضيئها، أو لنقل إنّه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة، يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بإذ يقيم أساسًا عاطفيًا من نوع ما"⁽⁴⁾. والتكرار له علاقة بالشاعر، إذ يترجم حالته والموضوع الذي يشغل تفكيره وعلاقته بالقارئ الذي يؤثر فيه ويجعله يعيش حالة الشاعر. وتكمن قيمة التكرار وأهمية في أمرين:

الأول، يحدث نغمًا موسيقيًا وأثرًا إيقاعيًا. الثاني، يوحى بأهمية ما تكتسبه الألفاظ من دلالات. وبهذا فله وظيفة إيقاعية إلى جانب وظيفته المعنوية. وللتكرار أشكال متباينة تتجلى في عدة أنواع:⁽⁵⁾

(1) إسكندر الخوري، العنقود، ص106

(2) إبراهيم الدباغ، الطليعة 2، ص88

(3) عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، 568/2

(4) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص277

(5) ينظر: بشرى عليطي وزميلها، البنية الإيقاعية في شعر عزالدين المناصرة، ص94

أ- تكرر كلمة، وهذا التكرار يحقق إيقاعاً يساير المعنى.

ب- تكرر جملة، وهذا التكرار يكون في بداية القصيدة، أو النهاية، أو الوسط.

ج- تكرر شطر، ويكون بتكرار الشطر نفسه في بداية أو نهاية كل مقطع، أو قصيدة، وهو بمثابة تنبيه يتيح للذهن توقفاً شكلياً ونفسياً.

واستخدم الشعراء الذين قالوا في وعد بلفور، التكرار بأشكاله المتباينة، ومنها:

أ) تكرر الكلمة وهو من أكثر أنواع التكرار الذي ورد في شعر وعد بلفور، إذ يحقق إيقاعاً يساير المعنى. ومن الأمثلة على هذا الأسلوب ما نجده في قصيدة "البلد الكئيب" لإبراهيم طوقان، إذ يقول:

بلفور كأسك من دم الشهداء لا ماء العنب⁽¹⁾

لا يخدعتك أنها راقية وكلها الحب

بلفور فحبابها الأرواح قد وثبت إليك كما وثب

فانظر لوجهك إنّه في الكأس لوجه الغضب

بلفور يومك في السماء عليك صاعقة السماء

ما أنت إلا الذئب قد صورت من طين الشقاء

والذئب وحش لم يزل يضرى برائحة الدماء

أخسأ بوعدك إن وعدك دونه ربّ القضاء

أخسأ بوعدك لن يضير الوعد شعباً هبّ ناهض

ويل لوعد الشيخ من عزّ مات آساد روابض

(1) إبراهيم طوقان، المجموعة الشعرية الكاملة، ص 118

إن ما يثير الانتباه في قصيدة "البلد الكئيب" تكرار بعض الكلمات بعينها، فكرر الشاعر كلمة "وطني" خمس مرات، وكلمة "وعد" خمس مرات وكلمة "بلغور" ثلاث مرات، وكلمة "أخساً" مرتين و"الذئب" مرتين و"كأس" مرتين و"حباب" مرتين و"السماء" مرتين.

فتكرار هذه الكلمات ينشئ في القصيدة حركة إيقاعية، ولها ارتباط بالسياق، وهذا ما جعل الشاعر يهبها عنايته الكاملة، فتكرار كلمة "بلغور" وكلمة "وعدك" وكلمة "وطني" تجسيد لما يعانيه أبناء فلسطين من وعد بلغور المشؤوم، وما جرّ عليهم من ويلات ومآسٍ، ولقد عمد الشاعر إلى تكرار كلمة "بلغور" ثلاث مرات في بداية ثلاثة أبيات ليدل على الصرخة الصادرة عن الشاعر بالتعبير عن معاناة مقترنه بالحالة النفسية المتوترة نتيجة الشعور بالغدر والظلم البريطاني لأهل فلسطين.

وكرر إبراهيم الدباغ في قصيدة "صوت فلسطين" الكلمة فقال:

ردّوا على القوم كيّداً وعد بلغور	ونسجه بيدي كيّدٍ وتدبير ⁽¹⁾
قد ساء تدبيره عفواً فلو عقلوا	لم يفرط الوعد إلا بعد تفكير
وكيف تطهر من رجس ومن دنس	إلا إذا غسلت من وعد بلغور
وعدّ كأمر بشرٍ من تخلف عن	إخلافه فليطعه غير مأمور
وليس أبناؤها ملكاً لمنتدب	فوعد بلغور عنها وعدٌ ممرور

في هذه الأبيات كرّر الشاعر كلمة "وعد" ثلاث مرات و "وعد بلغور" ثلاث مرّات، وبأسلوب التكرار هذا تجسيد لمأساة فلسطين، ولما كان لهذا الوعد من آثار سلبية على أهلها.

وكذا قول الشاعر إسكندر الخوري في قصيدة "الجامعة العبرية" إذ يقول:

الله أكبر كل هذا في سبيل الجامعة⁽²⁾

(1) إبراهيم الدباغ، الطليعة 2، ص88

(2) إسكندر الخوري، العنقود، ص106

ما تلك جامعة العلوم بل للمطامع جامعة

كرر الشاعر في البيتين السابقين كلمة "جامعة" ثلاث مرات، وهذا دليل على الصرخة الصادرة نتيجة الشعور بالخيانة والمكر من بريطانيا واليهود والصهاينة تجاه أهل فلسطين، إذ كان تأسيس الجامعة العبرية في القدس يمثل بؤرة للاحتلال الصهيوني والمطامع اليهودية في السيطرة على فلسطين وتشريد شعبها.

ومن هذا التكرار قول الشاعر عبدالرحيم محمود في قصيدة "عيد الجامعة العربية":

بلفور ما بلفور ماذا وعده لو لم يكن أفعالنا الإبرام⁽¹⁾

فمن خلال التكرار استنكر الشاعر قيمة وعد بلفور لو لم يكن العرب قد أبرموا العهود مع من أصدر ذلك الوعد المشؤوم، هذا بالإضافة إلى الموسيقى الداخلية الناتجة عن تكرار الحروف.

كما استخدم الشاعر محمد علي صالح في قصيدة "يوم 2 نوفمبر" تكرار الكلمة إذ يقول:

لا بارك الله في ذا اليوم إنَّ به يا آل قحطان وعدًا واضح الضرر⁽²⁾
تالله لا نقبلنَّ الوعد ما برحت فينا دماء ولا نرضاه من خبر
إنّا لنرفض هذا الوعد أجمعنا أهل العروبة من بدو ومن حضر

فكلمة "الوعد" تكررت في الأبيات السابقة ثلاث مرات، وهذا ما يكسب الشعر الإيقاع الموسيقي بالإضافة إلى الدلالة المعنوية لوعد بلفور.

ومنه ما نجده في قصيدة "بلفور في دمشق" لوديع البستاني، إذ يقول:

سدّ باب الأقصى بوجهك سدًا والذي سدّه أمير الكرام⁽³⁾

(1) عبدالرحيم محمود، ديوانه، ص25

(2) محمد علي صالح، ديوانه المخطوط، ص25

(3) وديع البستاني، ديوان الفلسطينيين، ص164

مبرم الوعد ناقض العهد حدّث	إن تحدّث عن حادث الأيام
قد حسبت الأعراب طيرًا نعامًا	فإذا هم في الطّير غير النّعام
كنت أوفى قدرًا وأعلى مقامًا	وتدهورت يا عليّ المقام
مبرم الوعد ناقض العهد ماذا	بعد بزّد من نارنا وسلام
ذلك الوعد كان نقض زمام	كيف يرعاه ناقض للزمام

إن من اللافت للنظر والمثير للانتباه أنّ تكرار الكلمة حدث في كل بيت من الأبيات السابقة، ففي البيت الأول تكررت كلمة "سد" وفي البيت الثاني تكررت كلمة "حدّث" وفي الثالث تكررت كلمة "طير" وكلمة "النعام" وفي الرابع تكررت كلمة "مقام" وفي البيت الأخير تكررت عبارة "نقض زمام" و "ناقض للزمام"، فتكرار الكلمة له ارتباط متين بالسياق العام للقصيدة، إضافة لما تسهم به من إيقاع جميل خاص.

ب) تكرار الحرف

إن استخدام الشاعر بعض الحروف مكررة يوّلّد أنغامًا خفيفة للقصيدة، بالإضافة إلى كونه يزيد الإيقاع الداخلي ثراءً وغنىً بما تتميز به هذه الأحرف من جرس ورنين يثيران أذن السامع أو القارئ. يقول صالح أبو أصبع: "إنّ التكرار ظاهرة موسيقية عندما تتردد الكلمة أو البيت أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية، أو النغم الأساسي الذي يعاد ليخلق جوًا نغميًا ممتعًا"⁽¹⁾.

ومن اللافت للنظر أنّ الشاعر وديع البستاني وظّف في الأبيات السابقة من قصيدة " بلفور في دمشق" تكرار حرف الراء 13 مرّة، وكذلك تكرار حرف العين 12 مرّة، وتكرار حرف القاف 9 مرّات. إذ إنّ استخدام هذه الأصوات مكررة يوّلّد أنغامًا مما يزيد الإيقاع الداخلي ثراءً وغنىً. كما وأنّ تكرار حرفي القاف والعين في الأبيات السابقة يدل على عدم الاستقرار والقلق والذي يشعر به الشاعر إزاء الوضع الذي يعيشه شعب فلسطين نتيجة وعد بلفور وما جرّه من مآسٍ.

(1) صالح أبو أصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: دراسة نقدية، ص338

ج) تكرار الجملة

ومن الأمثلة على تكرار الجملة والسطر ما نجده في قصيدة "أرض الثورات" للشاعر هارون هاشم رشيد،

اذ يقول:

وعد تزلزلت الجبال⁽¹⁾

له ومزقت السطور

وعد تزلزلت العروبة

منه واشتعل الضرام

عار علينا أن يكون

فدونه الموت الزؤام

عار علينا أن يكون

فلن نكل ولن ننام

فمن تكرار الجملة قوله: "وعد تزلزلت" و "وعد تزلزلت"

ومن تكرار السطر، قوله: "عار علينا أن يكون"

ولقد تكرر هذا السطر بأكمله، وهذا النوع من التكرار يحدث نوعاً من الإيقاع المفاجئ، ما يضيفي على

النص موسيقى داخلية إضافة إلى تأكيد المعنى الذي يريده الشاعر، ويجعل القارئ متوقفاً ذهنياً، ويبعد عنه

الملل⁽²⁾.

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص313-314

(2) بشرى عليطي وزميلها، البنية الإيقاعية في شعر عزالدين المناصرة، ص95

وبهذا يتضح أنّ التكرار ذو فاعلية مؤثرة في الأداء الشعري على المستوى الصوتي والدلالي، وقد وظّف الشعراء الذين قالوا في وعد بلفور التكرار بأشكاله المتباينة بهدف تحقيق التركيز على المعنى، أو تحقيق إيقاع موسيقي.

4- التدوير

يعتبر التدوير ظاهرة إيقاعية متميزة في الشعر المعاصر؛ وذلك بالنظر إلى ما يحققه من أهداف وفوائد متنوعة تسبغ على النص الشعري غنائية وليونة، وتمده بوحدة نغمية تحقق تواصلًا في السطور وهذا يؤدي إلى سرعة في الإيقاع.

والتدوير هو أن يستدعي وزن البيت أن يكون بعض حروف كلمة من الشطر الأول داخلة في وزن الشطر الثاني، وبذلك يكون شطر البيت مشتركين في كلمة واحدة⁽¹⁾.

وهو ظاهرة ممتعة وذات أهمية في توزيع الإيقاع الشعري؛ ذلك أنه عنصر إيقاعي أغنى القصيدة الحديثة بتلاؤمه مع الحالة النفسية للشاعر من جهة، وتحقيقه من جهة أخرى مجموعة من الأهداف، يمكن رصدها كما يلي:

أ- يحقق التدوير تواصلًا في السطور يؤدي إلى سرعة في الإيقاع

ب- يضمن وحدة المقاطع أو الأجزاء التي يرد فيها.

ج- يحقق وحدة نغمية في القصيدة ككل.

د- يسمح في الوقت نفسه بتعدد النغمات وتنوعها بين الشطر والآخر⁽²⁾.

ومن خلال دراسة الباحثة للشعر الذي قيل في وعد بلفور، تبين أنّ عددًا من الشعراء وظّفوا التدوير في بعض قصائدهم، باعتباره عنصرًا إيقاعيًا داخليًا يحقق وحدة نغمية في القصيدة ككل، ومن الشواهد الشعرية على ذلك ما يلي:

1- قول إبراهيم طوقان في قصيدة "البلد الكئيب" مخاطبًا بلفور:

(1) ينظر: بشرى عليطي وزميلها، البنية الإيقاعية في شعر عزالدين المناصرة، ص21

(2) المرجع السابق نفسه، ص22

التدوير في هذه الأبيات هو أن جعل شطري كل بيت مشتركين في كلمة، البيت الأول اشترك شطراه في كلمة "هذا" والبيت الثاني اشترك شطراه في كلمة "العلوم" والبيت الثالث اشترك شطراه في كلمة "أوجدتها". والشاعر وظّف التدوير لتكبير الوقفة العروضية، فأبيات القصيدة مرتبطة ببعضها ومتواصلة دلاليًا وعروضيًا.

3- قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة "أرض الثورات":

ورمى بوعد الشر⁽¹⁾

ب - ب - ب - / - - - ب

ألقى بالندير

/ - - - ب - - -

وعد تزلزلت الجبال

- - ب - / - ب - ب - ب - / - ب

له ومزقت السطور

ب - ب - ب - / - ب - ب - ب - - -

وبدت بريطانيا على

ب - ب - ب - / - - - ب - -

علاتها خلف البحور

- - - ب - - - / - - - ب - - -

وظّف الشاعر التدوير في هذه الأسطر فجاء بين السطر الأول والثاني، مما جعل تفعيله (مُتفاعِلن) الثانية مشتركة بينهما. وكذا جاء التدوير بين السطر الثالث والرابع إذ جاءت تفعيله (مُتفاعِلن) الثالثة مشتركة بين السطر الثالث والرابع. وهذه الأسطر ما هي إلا نموذج من قصيدة طويلة تميّزت بكثرة توظيف التدوير، وهذا العنصر يساهم في سرعة الإيقاع، وهذه الأسطر مرتبطة ببعضها ومتواصلة دلاليًا وعروضيًا.

(1) هارون هاشم رشيد، أرض الثورات، ص 313

وبالرغم من أن الشاعر اتبع نظام التفعيلة، وهي في القصيدة (مُتفاعِلن) إلا أن الإيقاعات مختلفة بسبب الصور التي ترد عليها تفعيلة (مُتفاعِلن)؛ إذ إنَّ التعبير عن الصِّراع الداخلي يمكن أن يتم عبر الوزن الواحد متعدد الإيقاعات.

وحسبنا بهذه الأمثلة شاهدًا على اهتمام الشعراء الفلسطينيين الذين قالوا في وعد بلفور بالمحسنات اللفظية كالجناس، ورد العجز على الصدر، والتكرار، والتدوير، طلبًا للموسيقى الشعرية النابعة من الكلمات وتلائم حروفها وحركاتها.

وفي هذه الموسيقى الداخلية تفاوت الشعراء، وتفاضلوا في شعرهم.

الخاتمة

بعد أن أنهيت هذه الدراسة من الجانبين الموضوعي والفني، يمكن القول بالنتائج والتوصيات التالية :

أولاً- النتائج

توصلت في دراستي إلى سبع نتائج رئيسة، وهي:

- 1- صوّر الشعر الفلسطيني الذي قيل في وعد بلفور المؤامرات البريطانية والصهيونية على فلسطين وأهلها، وحثّ العرب منها.
 - 2- هاجم العدوان الأوروبي الغربي على فلسطين.
 - 3- صوّر حياة الفلسطينيين من خلال وصف جرائم الاحتلال البريطاني، والمنظمات الصهيونية، وما لحق بالشعب الفلسطيني من تقييد للحريات، واعتقال وإعدام واضطهاد وبؤس وشقاء وألم.
 - 4- استنهض الهمم، وحثّ على الثورة والكفاح المسلّح والدعوة إلى مؤازرة الجهاد، لدحر ومقاومة الاحتلال البريطاني، والمنظمات الصهيونية، من أجل نيل الحياة الكريمة وانتزاع الحرية والاستقلال.
 - 5- حرص الشعراء الذين قالوا في هذا الموضوع على إتقان شعرهم من إذ: بناء القصيدة، والأسلوب، والصورة الشعرية، والموسيقى.
 - 6- تطوّر أوزان هذا الشعر كان بطيئاً، وإن معظم القصائد التي تناولتها هذه الدراسة، جاءت على أوزان العروض التقليدية.
 - 7- استخدم الشعراء الذين قالوا في هذا الموضوع بعض الفنون البيعية، مثل: الطباق، والمقابلة، والجناس، ورد العجز على الصدر، سعياً لتكوين موسيقى داخلية، وتبين أن ذلك أغنى المعنى، ولم يؤثر على المعنى المقصود.
- وأخيراً تؤكد هذه الدراسة أن ذلك الشعر الذي قيل في وعد بلفور كان سلاحاً من أعظم أسلحة المعركة التي خاضها عرب فلسطين، ضد الاحتلال البريطاني والمنظمات الصهيونية، ولهذا حاولت حكومة الاحتلال البريطاني أن تحرس صوته وتكتم أنفاسه فلم تستطع، وقد صدر هذا الشعر عن عقيدة راسخة، إذ كان يحمل همّاً جماعياً وهدفاً مشتركاً، فكان علامة إيجابية للمقاومة والتحدي.

ثانيًا - التوصيات

من خلال هذه دراسة أوصي الباحثين بأن يتناولوا بعض القضايا التي درستها في هذا الموضوع، لتكون عناوين لدراساتهم الأدبية من أجل الإلمام بها بشكل أوسع، مثل: دراسة شعر سليم أبو الإقبال اليعقوبي في محنة فلسطين، إذ أن عددًا من الدارسين للشعر الفلسطيني الحديث، أمثال الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور عبدالرحمن ياغي، أغفلوا الحديث عن شعر سليم أبو الإقبال اليعقوبي، الذي استوعب القضية الفلسطينية من وعد بلفور حتى وفاته، وهذا ما ذكره الدكتور سمير شحادة التميمي في كتابه "حسان فلسطين سليم أبو الإقبال اليعقوبي" وبين أنّ سبب ذلك صعوبة وصولهم إلى ديوانه المخطوط عند ابنه رشاد في القاهرة. وقال الدكتور سمير شحادة التميمي أنه في بحثه حاول أن يحفظ لهذا الشاعر موقعه بين شعراء فلسطين، إذ استطاع اليعقوبي بشعره إيصال مشاعره وأحاسيسه كفلسطيني يرى الخطر المحدق ببلده، ويحاول أن يدرأ هذا الخطر، من خلال قصائده التي جسّدت حسّه الوطني.

وأتمنى أن يتبع هذه الدراسة، دراسات أخرى تستكمل ما بدأت به، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم،

أولاً - المصادر

- 1- ابن الأثير، نصرالله بن محمد الموصلی، (ت637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1395هـ.
- 2- البحيري، حسن، (ت1998م)، ديوان الأنهر الظمأى، دار الحياة، دمشق، 1982م.
- 3- البستاني، وديع، (ت1954م)، ديوان الفلسطينيين، دار الطباعة والنشر، الشرفية، بيروت، 1946م.
- 4- التايه، محمد علي صالح، (ت1989م)، ديوان مخطوط، 80 صفحة، توجد صورة منه لدى الدكتور مشهور الحبازي.
- 5- الخوري، إسكندر البيتجالي، (ت1973م)،
أ) ديوان آلام وآمال من وحي الكارثة، المطبعة المصرية، القدس.
ب) ديوان العنقود، مكتبة فلسطين العلمية، القدس.
ج) ديوان مشاهد الحياة، مطبعة بيت المقدس، القدس، 1927م
- 6- الدباغ، إبراهيم، (ت1947م)، أ) ديوان الطليعة، 2، مطبعة حجازي، القاهرة، ط1، 1937م
ب) ديوان في ظلال الحرية، تحقيق خليل جرجس، مطبعة مخيمر، القاهرة، د.ت.
- 7- رشيد، هارون هاشم، ديوان الأعمال الشعرية، أرض الثورات، بيروت، 1958م.
- 8- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني، (ت1063م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، بيروت، 1981م
- 9- الصفدي، محيي الدين الحاج عيسى، ديوان من فلسطين وإليها، ط1، حلب، 1975م
- 10- طوقان، إبراهيم، (ت1941م)، المجموعة الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993.

- 11- العدناني ، محمد خورشيد ، (ت 1981م) ، ديوان العدنانيات، 1، دار النورسي، بيروت، 1981م.
- 12- ابن عربشاه، أحمد بن محمد الدمشقي، (ت 894هـ)، عجائب المقدور في نواب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986م.
- 13- ابن كثير، عمادالدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986م.
- 14- محمود، عبدالرحيم، (ت 1948م) ،
أ) الديوان، نشر لجنة تكريم ذكرى الشاعر الشهيد، 1958م
ب) الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق عزالدين المناصرة، دار الكرمل، عمان، ط1، 1993م
- 15- المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت845هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج1، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 16- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، (ت 711هـ)، لسان العرب، مكتبة تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1413هـ،
- 17- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، (ت 395هـ).
أ) الصناعتين الكتابة والشعر، حققه وضبط نصّه الدكتور مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1409هـ.
ب) جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهرسه: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالحميد قطامش، دار الجليل، بيروت.

ثانياً - المراجع :

- 1- ابن إدريس ، عمر خليفة ، في العروض والقافية، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي ، ط1، 2003م.
- 2- الأسد ، ناصر الدين ، الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950م، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان ، ط1، 2000م.
- 3- إسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي، 1967م.
- 4- أبو أصعب ، صالح ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة عام 48، دراسات نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1979م.
- 5- أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشعر، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1952م.
- 6- البستاني ، وديع ، الانتداب الفلسطيني باطل ومحال، المطبعة الأميركية، بيروت، 1936م.
- 7- بكار ، يوسف حسين ، بناء القصيدة العربية في ضوء النقد الحديث، دار الثقافة، القاهرة، 1979م.
- 8- بوريبوف أحمدوف، وزاهد الله منروف، العرب والإسلام في أوزبكستان، تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط1، 1996م.
- 9- التميمي ، سمير شحادة ، حسان فلسطين، سليم أبو الإقبال اليعقوبي، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط1، 1991م.
- 10- توفيق ، حسن ، شعر بدر شاكر السياب - دراسة فنية وفكرية، دار أسامه للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.
- 11- جامعة الأقصى، كلية الآداب، إعداد قسم اللغة العربية، الأدب الفلسطيني تاريخه وفنونه وأغراضه واتجاهاته، دار القادسية، 2010م.
- 12- جبران ، سليمان ، نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب، سلسلة منشورات الكرمل، جامعة حيفا، دار الهلال، كفر قرع، ط1، 2006م.
- 13- حمودة ، سميح ، الوعي والثورة، دراسة في حياة وجهاد الشهيد عزالدين القسام. (1882-1935م)، جمعية الدراسات العربية، القدس.

- 14- الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين، القسم الثاني، منشورات دار الطليعة، بيروت، ط1، 1966م.
- 15- الدقاق ، عمر ، نقد الشعر القومي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1978م.
- 16- دنلب ، د.م. ، تاريخ يهود الخزر، نقله إلى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار، دمشق ، ط2، 1990م.
- 17- الديراوي ، عمر ، الحرب العالمية الأولى، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، 1990م.
- 18- الريشة، محمد حلمي، معجم شعراء فلسطين، المؤسسة الفلسطينية، رام الله، ط1، 2003م
- 19- الزعبي، أحمد، التناصّ نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط2، 2000م.
- 20- زعير ، أكرم ، القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر، 1955م.
- 21- السعافين ، إبراهيم ، الأفتعة والمرايا، دار الشروق للنشر، عمان ، ط1، 1996م.
- 22- السوافيري، كامل،
- (أ) الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1973م.
- (ب) الشعر العربي في مأساة فلسطين من 1917-1955م، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1963م.
- 23- أبو شاور ، سعدي ، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م.
- 24- الشايب، أحمد،
- (أ) الأسلوب - دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، نشر وتوزيع مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1988م.
- (ب) أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط5، 1955م.
- 25- أبو الشباب ، واصف ، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار العودة، بيروت، ط1، 1981م.

- 26- شرّاب، محمد محمد حسن،
 أ) شعراء فلسطين في العصر الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ، ط1،
 2006م.
- ب) اللد والرملة توأمان لفلسطين خالدان، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ، ط1،
 2006م.
- 27- الشلبي ، محمود ، عبدالرحيم محمود شاعرًا ومناضلًا، عمان، 1984م.
- 28- صالح ، بشرى موسى ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي،
- 29- صالح ، محسن محمد ، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ودورها في تنفيذ السياسة
 البريطانية (1917-1939م)، دار النفائس، عمان، ط1، 1996م.
- 30- صدّوق ، راضي ، شعراء فلسطين في القرن العشرين، توثيق أنطولوجي، المؤسسة العربية
 للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م.
- 31- الصياد ، فؤاد عبدالمعطي ، المغول في التاريخ الإسلامي من جنكيز خان إلى هولاكو
 خان، دار النهضة، 1980م.
- 32- الطيب ، عبدالله ، المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت، ط1،
 1970م.
- 33- العارف ، عارف باشا ، تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م.
- 34- العاكوب ، عيسى علي ، موسيقى الشعر العربي، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1،
 1997م.
- 35- عباس ، فضل حسن ، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، 2 دار الفرقان للنشر والتوزيع،
 عمان ، ط1، 1987م.
- 36- عبد الجليل، عبد القادر، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، دار صفا
 عمان ، ط1، 1978م.
- 37- عبدالرحيم ، رائد مصطفى حسن ، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، دار
 الرازي، عمان ، 1421هـ.

- 38- عطوات ، محمد عبد عبدالله ، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر (1918-1968م)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1998م.
- 39- علي ، عبد الرضا ، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الشروق، عمان-الأردن، ط1، 1997م.
- 40- عليطي ، بشرى ، وزمبلاها: محمد بن أحمد، مولاي حفيظ بابوي، البنية الإيقاعية في شعر عزالدين المناصرة - دراسة نقدية، بإشراف الدكتور علال حجّام، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين بالتعاون مع وزارة الثقافة، ط1، 1998م.
- 41- العودات ، يعقوب ، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ط3، 1992م.
- 42- الغوري ، إيميل ، فلسطين عبر ستين عامًا، دار النهار للنشر، بيروت ، 1972م.
- 43- فروخ ، عمر ، شاعران معاصران: إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي، منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت، ط1، 1954م.
- 44- قلقيلة ، عبدة عبد العزيز ، النقد الأدبي في العصر المملوكي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1392هـ.
- 45- الكيالي، عبدالرحمن، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1975م.
- 46- محمود ، حسني ، شعر المقاومة دوره وواقعه في عهد الانتداب، عمان، 1974م.
- 47- مهدي ، محمد ، محاضرات في الدراسات الفلسطينية في جامعة الخليل، منشورات البيادر.
- 48- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1962م.
- 49- هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول (القسم العام)، دمشق، ط1، 1984م.
- 50- هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني (الدراسة الخاصة)، دمشق، ط1، 1990م.
- 51- ياغي ، عبد الرحمن ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- 52- اليافي ، عبد الكريم ، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة جامعة دمشق، دمشق-سوريا، 1972م.
- 53- يان، ف. الكاتب الصيني، جنكيز خان سفاح الشعوب، ترجمة صوفي عبدالله، دار الهلال، مصر.
- 54- يوسف ، فرج الله أحمد ، مساجد فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني، دار القلم، دمشق، ط1، 2011م.

ثالثاً - الرسائل الجامعية:

- 1- أبو بكر، منال أحمد خليل، صورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في أدب العصر المملوكي، إشراف الدكتور رائد مصطفى عبدالرحيم، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، 2012م.
- 2- الدلاهمة، إبراهيم مصطفى سليمان، الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني، إشراف الدكتور عبدالفتاح صالح نافع، كلية الدراسات العليا، جامعة اليرموك، - الأردن، 2001م.
- 3- عبدالرحيم، رائد مصطفى حسن، صورة المغول في الشعر العربي_ العصر المملوكي، إشراف الأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالهادي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية - عمان، 1417هـ.
- 4- عبدالرحيم، جمال عبدالرحيم محمد، اللغة في شعر عبدالرحيم محمود، إشراف الأستاذ الدكتور يحيى عبدالرؤوف جبر، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، 1996م.

رابعًا - الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

عطا سليمان رموني:

http://pal_stu.com/vb/showthread.php?t=36063

الملاحق

(أ) القصائد الشعرية

١- الشاعر إبراهيم طوقان

(أ) قصيدة :

رد على رثوبين شاعر اليهود

«هاجِرٌ» أمنا ولو دُ رُؤومُ	لا حسودٌ ولا عجوزٌ عقيمُ
هاجرٌ أمنا ومنها أبو العزُ	بِ، ومنها ذاك النبيُّ الكريمُ
نسبٌ لم يَضِعْ ولا مَزَقْتُهُ	بابلٌ أيها اللقيطُ اللئيمُ
ودمٌ في عروقنا لم يُرْقَهُ	سوطُ فرعونَ والعذابُ الأليمُ
يعلم الدهرُ أيَّ أهرامٍ مصرٍ	ذُلكم في صخوره مرقومُ
هَرَمٌ خالدٌ يُعشّيه ظلٌّ	من عبوديّةٍ لكم لا تريمُ
أي رثوبينُ غطّ وجهك حتى	لا يُرى الأنفُ أنه مهشومُ
يا يهوديُّ كيف علمك بالتّوُّ	رأة، قل لي، أم فاتك التعليمُ؟
بين أسفارها خلائقُ عنكم	مُبتدأها ومُنْتهاها ذميمُ
يوسفٌ باعه أبوكم «يهودا»	إنَّ حبَّ الدينارِ فيكم قديمُ
وكفرتُم بنعمة الله حتى	ضاق دُزعاً بالكفر موسى الكليمُ
يشهد التّيبهُ أنكم، شعبُ إسرا	ئيل، شعبٌ منذ الخروجِ أثيمُ
يشهد العجُلُ أن ألواحَ موسى	يومَ رُغتم أصابها التحطيمُ

وبطون التاريخ فيها عجب
 وأي رؤيين، أين ألواح موسى
 هُنَّ عشرٌ نبذتموها جميعاً
 ونقضتم أحكامها فإذا الما
 والربا ربكم له صنمُ الحر
 وإذا السبُّ فيه مكرٌ وغدرٌ
 وعكستم آياتها فإذا القُد
 فجهلتم آباءكم فغدوتم
 وهضتم حقَّ الجوارِ وصحتم:
 كلُّكم شاهدٌ على الحقِّ زوراً
 حسبكم، لا يبارك الله فيكم،
 فلو انَّ النجومَ أمسَّتْ رُجومًا
 أي رؤيين، أيَّ شعبٍ تنادي؟
 أي رؤيين هل قرأتِ شكسبي
 وشكسبيرُ خالدُ القولِ فيكم
 غيرَ أنَّ الذين منهم شكسبي
 يا يهوديُّ، هل سمعتَ بشعبِ
 شعبكم كالذباب في كلِّ أرضِ
 وغريبٌ بعاركم موسوم
 والوصايا؟ فكلهنَّ قويم
 ورتعتم في الغيِّ وهو وخيم
 ل مقامَ الإلهِ فيكم يقوم
 ص، مثالٌ أنتم عليه جُثوم
 أين فيه التقديسُ والتعظيم؟
 ل مباحٌ والفسقُ فيكم عميم
 واحترامُ الأباءِ فيكم عديم
 «أيها الناسُ حقُّنا مهضوم»..
 هل أتاكم من شأنه تحريم؟!
 أن شيطانَ بغيكم لرجيم
 ما عدتكم والله تلك الرجوم
 إن ربًّا أباده لحكيم
 ر؟ بلى، أنت شاعرٌ مشؤوم
 أمرُ «شيلوخ» في الورى معلوم
 ر، تتأسوا ما قال ذاك العظيم
 ضلَّ حتى في كلِّ قطرٍ يهيم؟
 منه شيءٌ على القُدور يحوم

وعجيبٌ مِنَ العجائبِ أَنْ يَطُ
وغيرِبٌ مِنَ الغرائبِ أَنْ يَجِدَ
غَضَبُ اللهِ ما يَزالُ عليكم
نَاديَ أبطالِكَ الذينَ توارَوا
يرقبونَ الأطفالَ مِنّا فإنْ لا
في يديهمِ سلاحُ قومٍ.. عليه
نادِهمِ يقذفوا القنابلَ واصرخُ:
والعنِ الإنكليزَ واحملِ ظُباهمِ
لبنُ الأرضِ فاضِ سُمًّا زُعافًا
واشربوه ملءَ البطونِ هنيئًا..
يا يهوديُّ لا عليكِ سلامٌ
لُبُّ حُكْمًا ودهره محكوم
مَعَ شَمَلًا شَتائِه محتوم
وعُدُّ بلفورَ دونه مهزوم
في الشبابيكِ إنهم لُقُروم
حُوا، رمؤهم، فهالكٌ وكليم
«أسدٌ» في حديدِه مختوم
شعبُ صهيونَ أعزلٌ مظلوم
إنَّ نكرانَ فضلهم لَجسيم
ودمًا، فانزلوا بها وأقيموا
هكذا تشرب الذئبُ الهيم
وإذا شئتَ لا عليكِ «سَلوم»

إبراهيم طوقان 1929/9/14

البلد الكئيب

يا أَيُّها البلد الكئيبُ حياك مُنهمر سَكوبُ
 لا تَبْتَسِ بِالظُّلمِ إِنَّ غَداً لَنَاظِرِهِ قَرِيبُ
 وَغَدٌ عَصِيبٌ لا يَسِرُ الظالمين غَدٌ عَصِيبُ
 أَشْرَقَ بِوَجْهِكَ ضَاجِجًا ولشمس شانئك الغُروبُ
 ما بَعْدَ غَمِّكَ غَيْرُ يَوْمِ مَ تَطْمئنُ بِهِ القُلُوبُ
 لَهْفِي عَلَى البَلَدِ الكئِيبِ ب تَعَطَّلتِ أَسواقُهُ
 عارٍ كَمَا أَعْرورَى الخَريدِ ف تَساقَطَتِ أَوراقُهُ
 خَفَقَتِ جَوانِحُهُ أَسَى وَتَقَرَّحتِ آماقُهُ
 صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ يَحلو بِفِيكَ مَذاقُهُ
 هَذا عَدوُّكَ لا يَرَعُ ك وَهَذا أَخلاقُهُ
 بلفور كَأَسكُ مِنَ الشِّدِّ هَداةً لا ماء العَنبِ
 لا يَخدَعُكَ أَنها راقِنتِ وَكلها الحَببِ
 فَحبابها الأرواحُ قَدْ وَثَبَتِ إِلَيْكَ كَمَا وَثَبِ
 فَإِنظُرِ لَوَجْهِكَ إِنَّهُ في الكأسِ لَوَحةُ الغُضبِ
 وَإِنظُرِ عَمِيتِ فَإِنَّهُ مِنَ صَرخةِ الحَقِّ التَّهَبِ
 بلفور يَومُكَ في السَما ء عَلَيبُ صاعِقَةُ السَما
 ما أَنْتِ إِلا الذَّنْبُ قَدْ صَوَّرتِ مِنَ طِينِ الشَّقِواءِ
 وَالذَّنْبُ وَحشٌ لَم يَزَلْ يَضُرِي بِرائِحَةِ الدِماءِ
 إِخسأ بِوَعْدِكَ إِذِ وَعَدَ ذكَ دونهُ رَبِّ القَضِواءِ
 وَإِلى جَهَنَّمَ أَنْتُما حطَبُ لَها طَولُ البَقِواءِ
 إِخسأ بِوَعْدِكَ لَن يَضِيبِ ر الوَعْدِ شَعْباً هَبَّ ناهِضِ

أَبْرَمْتُهُ فَلَهُ نَوَاقِضُ	لَا تَنْقُضُ الْوَعْدَ الَّذِي
عَزَمَاتِ آسَادِ رَوَابِضِ	وَيْلَ لَوَعْدِ الشَّيْخِ مِنْ
عَرَقِ الْعُرُوبَةِ فِيِّ نَابِضِ	أَتَضِيعُ يَا وَطَنِي وَهَذَا
فِي غِمَارِ الْمَوْتِ خَائِضِ	فَلَأُذْهِبَنَّ فِدَاءَ قَوْمِي
نُفُضِ الرِّقَادِ عَنِ الْبِلَادِ	بِشْرَاكِ يَا وَطَنِي فَقَدْ
ذَفَّ بِالنُّفُوسِ إِلَى الْجِهَادِ	نَهَضْتَ بِوَأَسْلِ فَيْكَ تَقْدِ
وَخَطُّوا عَلَى نَهْجِ السَّدَادِ	شَقُّوا الطَّرِيقَ إِلَى الْعِلَادِ
لِ الْحَقِّ أَلْسِنَةُ الْجَمَادِ	وَلَسَوْفَ تَنْطِقُ فِي سَبِيدِ
أَضْحَى يَصِرُّ عَلَى الْعِنَادِ	وَالْوَيْلَ يَا وَطَنِي لِمَنْ
نَهَضْتَ بِكَ الْغَيْدِ الْأَوَانِسِ	بُشْرَاكِ يَا وَطَنِي فَقَدْ
تُغِيوُنُ نَرْجِسِكَ النَّوَاعِيسِ	حَيَّتْ جُمُوعَ الْغَانِيَا
لِ يَمْسُنُ فِي سَوْدِ الْمَلَابِيسِ	أَقْبَلَنَّ مِنْ بَابِ الْخَلِيدِ
دُ وَحَقَّهِنَّ لُهُنَّ حَارِيسِ	وَصَرَخْنَ فِي وَجْهِ الْعَمِيدِ
ءِ هَتَقْنَ بِاسْمِكَ فِي الْمَجَالِيسِ	وَطَنِي ظَفَرْتَ إِذَا النِّسَا
سَعَاءً أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْأَمَامِ	وَطَنِي عَلَيْنَا الْعَهْدَ جَمِ
مَحَضِ الْمَوَدَّةِ وَالْوِئَامِ	وَنَعِيشُ إِخْوَانًا عَلَى
مَسَابِقِينَ إِلَى الْحَمَامِ	وَنَرِدُّ عَنكَ النَّازِلَاتِ
نَكَ عَامِلِينَ عَلَى الدَّوَامِ	وَنَكُونُ فِي إِعْلَاءِ شَأْ
ظِلَّ الْكِرَامَةِ وَالسَّلَامِ	حَتَّى تُرَى مُتَقِيًّا

إبراهيم طوقان 1929/11/2 بمناسبة الإضراب في ذكرى الوعد

رثاء أبي المكارم عبدالمحسن الكاظمي

سَلَّ جَنَّةَ الشَّعْرِ مَا أَلْوَى بِدَوْحَتِهَا حَتَّى خَلَّتْ مِنْ ظِلَالِ الْحَسَنِ وَالطَّيِّبِ
وَمَنْ تَصَدَّى يَرُدُّ السَّيْلَ مُزْدَحِمًا لَمَّا تَحَدَّرَ مِنْ شَمِّ الْأَهَاضِيبِ ؟
وَمَنْ أَغَارَ عَلَى تِلْكَ الْخِيَامِ ضَحَى يُبِيحُ تَقْوِيضَهَا مِنْ بَعْدِ تَطْنِيبِ ؟
هِيَ الْمَنِيَّةُ مَا تَنْفَكُ سَالِبَةً فَمَا تُغَادِرُ حَيًّا غَيْرَ مَسْلُوبِ
حَقُّ الْعَرُوبَةِ أَنْ تَأْسَى لِشَاعِرِهَا وَتَذَرَفَ الدَّمْعَ مُنْهَلًا بِمَسْكُوبِ
وَتُرْسَلِ الزَّفْرَةَ الْحَرَى مُصَدِّعَةً ضُلُوعَ كُلِّ عَمِيدِ الْقَلْبِ مَكْرُوبِ
مَنْ لِلْقَرِيضِ عَرِيقًا فِي عَرُوبَتِهِ يَأْتِي بِسِحْرَيْنِ مِنْ مَعْنَى وَتَرْكِيبِ ؟
وَمَنْ لُغَرَّ الْقَوَافِي وَهِيَ مُشْرِقَةٌ «كَأَوَّجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ» ؟
"أَبَا الْمَكَارِمِ" قَمِ فِي الْحَفْلِ مَرْتَجَلًا مَهْدِبَاتِكَ لَمْ تُصَقَّلْ بِتَهْذِيبِ
وَأَضْرَمِ النَّارَ إِنَّ الْقَوْمَ هَامِدَةٌ قُلُوبُهُمْ، ذَلَّ قَلْبٌ غَيْرُ مَشْبُوبِ
وَانْفُخْ إِبَاءَكَ فِي آنَافِهِمْ غَضَبًا فَقَدْ تُحْرِكُ أَصْنَامَ الْمُحَارِبِ
تَمَكَّنَ الذَّلُّ مِنْ قَوْمِي فَلَا عَجَبُ أَلَا يُيَالُوا بِتَقْرِيعِ وَتَأْنِيبِ
مَا أَشْرَفَ الْعَذَرَ لَوْ أَنَّ الْوَعَى نَثَرْتُ أَشْلَاءَهُمْ بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ
لَكِنْ دَهْتُهُمْ أَسَالِيبُ الْعُدَاةِ وَهُمْ سَاهُونَ لَاهُونَ عَنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ
وَيَقْنَعُونَ بِمَبْذُولٍ يُلَوِّحُهُ مُسْتَعْمَرُوهُمْ بِتَبْعِيْدِ وَتَقْرِيبِ

على السيوف وأطراف الأنايب	كأنهم لم يُشَيِّدْ مجدُّ أولهم
يجتازها نضوُ تصعيدٍ وتصويب	يا رائدًا كلَّ أرضٍ أهلها عربٌ
بحالهم بين إدلاجٍ وتأويب	ومُنشِدًا عندهم علمًا ومعرفةً
أم هل نزلتْ بَطْطِرٍ غيرِ منكوبٍ؟	هل جئتْ منهم أناسًا عيشُهم رَعْدٌ؟
إن لم تجد راعيًا شرًّا من الذيب؟	أم أيُّ راعٍ بلا ذئبٍ يجاوره
يلقى من الله فيها خيرَ ترحيب	تَبَوُّوا الكاظميَّ الخُلْدَ منزلةً
أرى فلسطينَ أم دنيا الأعاجيب؟	أبا المكارمِ أشرفَ من علاكِ وقلِّ
عن الهدى لم يكن يومًا بمحجوب	وانظرْ إلينا وسرِّحْ في الحمى بصرًا
يكن لنا منه إلا وعدُّ عُرقوب	تجدُ قويًّا وفي وعدِّ الدخيلِ ولم
وحكمه مَرْجُ ترهيبٍ وترغيب	ومرَّ سبعٌ وعشرٌ في البلادِ له
مصيرنا رهنَ تدريبٍ وتجريب	قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده
وخيرها للمطايا والمحاسيب	حالٌ أرى شرَّها في الناسِ مُنتشرًا
أم للزمانِ ابتسامٌ بعد تقطيب؟	هل في فلسطينَ بعد البؤسِ من دَعَاةٍ؟
وخاب قصدٌ بامهالٍ وتقليب	كم حَقَّقَ العزمُ والإعجالُ من أملٍ

إبراهيم طوقان 1935/6/17

يا سرّاة البلاد

يا سرّاة البلاد يكفي البلاداً
انتدابٌ أحدٌ من شفرة السيِّ
وعدُّ بلفورٍ دكّها فلماذا
ما الذي تفعلون والجوُّ مُرَبِّدٌ
أفرغتم من كلّ أمرٍ سوى المَجْدِ
أحبّط الله سعيكم، أَلْحَبِّ الذُّ
تنبذون الأوطانَ، في طلب المُنْدِ
إن في الموطن العزيزِ سواه
وطنٌ بائسٌ يُباع وأنتم
مُتَخَنُّنٌ بالجراح أبراه الأ—————
كيف يلقي من هادميه بناءً ؟
يا جُناةً على البلاد بدعوى الـ
قام من بينكم سماسة السُّو
في غدٍ ينشأ الصِّغارُ فيبغو
بعتموه إلى العدوِّ، فمن أيِّ
أنتم اليوم تزرعون فساداً
يا سماء انقضي ويا أرضٌ ميدي

ما أذاب القلوب والأكبّادا
ف وأورى من المنايا زنادا
تجعلون الأناقصَ منها رمادا ؟
د، وهذي الأعداء تقضي المرادا ؟
ليس، يحتاج همّةً وجهادا ؟
ذات، قمتم تُهيئون العتادا
صِب، والدين والهدى والرشادا
ألف شغلٍ فأوسعوها اجتهدادا
لا تزالون تخدعون العبادا
فهلّا كنتم له عُودا
كيف يرجو من جارحيه ضمّادا ؟
خَيْرِ والبرِّ، لا نعمتم رُقادا
ء، فهل تشتكون ثمّ اقتصادا ؟
نَ تِلادا وما تركتم تِلادا
نَ يلاقون ملجأً ومهادا ؟
وغدًا سوف يُثمر استعبادا
قتلت أمّةً وبادت بلادا

إبراهيم طوقان 1925/8/29

نشيد البراق لحن بدوي

لنا البُرَاقُ والحَرَمُ لنا الحِمَى، لنا العِلْمُ
أرواخنا، أموالنا فِدَى البراق والحرم
نحن الشبابُ المسلمُ واللهِ لا نُسَلِّمُ
نموت أو نُكْرَمُ فِدَى البراق والحرم
دَمُ العَرَبِيِّ إنَّ أباي يجري على حدِّ الظُّبا
وَحَقُّنَا أنْ نَغْضِبَا فِدَى البراق والحرم
شبابنا أهلَ الوفا أَلْعَازُ أنْ نُوقِّفا
سَيِّرُوا بِحَقِّ المِصْطَفَى فِدَى البراق والحرم
لا تسمعوا كِذْبَ الوَعْدِ أَعْدَاؤُنَا خانوا العَهْدِ
دُوسُوا على رُوسِ اليَهُودِ فِدَى البراق والحرم
شبابنا سُدُّوا الصَّفُوفَ قُومُوا عليهم بالأُوفِ
اللهُ ما أحلى الحَتُوفِ فِدَى البراق والحرم

الإيمان الوطني أو جماعة (الसार)

ليت لي من جماعة (الसार) قومًا يتفانون في خلاص البلاد
أو كإيمانهم رسوخًا عميقًا ثابت الأصل في قرار البلاد
مثل هذا الإيمان يضمن للأوطان عزًا، ومثل هذا التفادي
لا كإيمان من ترى في فلسطين قصير المدى، كليل الزناد
يتداعى إذا تسلط وعد أو وعيد عليه عند العوادي
أو قطوب تخيب منه المساعي، وابتسام... تذوب فيه المبادي
لا تلمني إن لم أجد من وميض لرجاء ما بين هذا السواد

إبراهيم طوقان 1935/1/13

أيها الأقوياء

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة ..
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً
وخرجنا من لطفكم يوم قتلهم :
كل أفضالكم على الراس والعين،
ولئن ساء حالنا فكفانا
غير أن الطريق طالت علينا
أجلاء عن البلاد تريدون فنجلوا،
وختمنا لجنـدكم بالبسالة ..
كيف ننسى انتدابه واحتلاله..
وعد بلفور نافذ لا محاله
وليست في حاجة لدلاله...
أنكم عندنا بأحسن حالا
وعليكم . . . فما لنا والإطاله
أم محقنا والإزاله ؟

إبراهيم طوقان 1935/2/4

زيادة الطين

من كان يُنكر نُوحًا أو سفينتهُ فإن نوحًا بأمر الله قد عادا
حلَّ الوبالُ «بعبيالٍ» فمالَ به يا هيبةَ الله إبراقًا وإرعادا
في جارفٍ كعجيجِ البحرِ طاغيةٍ أمواجهُ تحملُ الأسواقَ أمدادا
ولا تزالُ من الزلزالِ باقيةً تذكّرها يُوقدُ الأكبادَ إيقادا
منذ احتللتُم وشؤمُ العيشِ يرهقنا فقُرا وجؤرا وإتعاسا وإفسادا
بفضلكم قد طغى طوفانُ هجرتهم وكان وعدًا تلقيناه إيعادا
واليومَ، من شؤمكم، نُبلى بكارثةٍ هذا هو الطينُ والماءُ الذي زادا

إبراهيم طوقان 1935/2/10

فلسطين الدامية

ما للشرائع دون السيف والذهب رأي ولا لظبي الأقلام والكتب
قد يأنف السيف أن تبلى حمائله في كف مرتعش المنتين مضطرب
يرضى الثواء عزيزاً عند صيقله ولا يهون بضار غير ذا غلب
طاحت بأم الدواهي كل داهية رقطاء تأتي على الخضراء واليلب
يا منقذ القلب من نار سهرت لها أيقظتها ولحقت النار باللهب
أدرك نماها بنفس غير هادئة واجعل قراها لباغ السحت والغلب
قل للسهام التي قد نام رائثها أرى سهامك قد ريشت فلم تصب
وما سهام النجوم القذف خافية عن واطر بيد من واطر الشهب
يبنون صرحاً على رمل فتهدمه قذيفة من رمال المعقل الأشب
هل جنت الأرض واجتاحت بدورتها؟ أمر السماء وأمر العقل والأدب؟
كم من نبيّ وآيات منزلة أنست حقائبها في ذمة الحقب
ودكت الأرض دوراً من مدافنها مأهولة برفات الأهل والجلب
وجادت الأرض بالقتلى وغالبها لؤم فضنت على الأثلاء بالسلب
فما تطهر من أذناجها ملك ولا شفى من سقام الجهل علم نبي

لما عفت من سليمان أريكته
خليفة أو نبياً مرسلًا ملك
بين الأهله والصلبان موقفها
وما لبسط يهوذا في كنانتها
أبعد مهربه منها ومخرجه
وهل لها من يد الفاروق عارفة
وكان قدما صلاح الدين فاز بها
ويوم حطين كم هلت أهله
له ملوك النصارى كلها اعترفت
وقبله عمر الفاروق فاز بها
وقل "لصهيون" منها أي مجزرة
يا فتية الأكرمين العرب هل لكم
إخوانكم في شمال الشام قد وثبوا
ألهى الجزيرة عن أهل وعن وطن
يجول فيها العدا في جحفل لجب
ألا تعيد لها الدنيا التي ذهبت
تصلى أبا لهب فيها بنوته
أين الفتى العربي المستعان به

آلت بها قسوة الرومان للعرب
أو صلاحًا من كرام الأعبد النجب
مذبذب ضاع بين الجد واللعب
سهم سوى ما أسالت عين منتحب
يرضى بنوه عليها وصمة الهرب؟
تقلها من عثار الترك والعرب
قربى الى ربه من أعظم القرب
ولم يعد عودها صلباً على الصلب
بالعدل والبأس والتدبير والغلب
سلمًا على اسم الوغى والبيض والقضب
ترضيك دون ابتلاع المرتع الخصب
في نجدة من بقايا نخوة العرب
لما دعا داعي الولايات والحرب
ما حل فيها من الولايات والكرب
ولا يصدّ بغير الجحفل اللجب
ما ضيّعت من عتاد الدين والحسب
ولم تكن أمها حمالة الحطب
يوم الكريهة هل ضاع الفتى العربي

متى أرى القوم حول الصخرة اجتمعوا بعد التفرق من ناب ومقترب
إني أرى حولها برقًا وجلجلة وقد خلا رعداها من هائل السحب

حي البهاليل من أشرف مكتها بفيلق من قريش الدار والحسب
يا دوحة الحسب المنذك معلقه فكنت أخشى عليه صولة العطب
هل أصبحت درة الأحساب تائهة في الأرض وانكسرت قارورة النسب
وسامها كل دهقان بدانقه مسترخصا درها في جنب مخشلب⁽¹⁾
جفت أزاهير روض أم خمائله دخيلة من أخس النبات والعشب
وغالب الكرم فرع ليس في كرم كأنه حسب قد قُذ من خشب
لا تسأل الدار عنهم إنهم نزلوا في البيد من جبل الزيتون عن كئيب

يأسو الجريح جريحًا يستعين به واهأ لدعوة مضطرين لم تجب
بين الصديقين من وحش ومن كلاً نهب العدوئين من بأس ومن لغب
لا يعقدون لغير الله حبوتهم ولا تحل لغير الفوز بالأرب

هذي السماء وتلك الزهر قد نقشت ثوب الظلام فأين النجم ذو الذنب

(1) خذف رديء له لمعان

راع البلاد وأهليها فليت له
 ولو تبين منها ما سنُظهر من
 ومر في الأفق مجتازًا وغادرها
 أني أرى الفلك الدوار منذرهم
 ما سمرت هذه الأفلاك أوهببت
 فدورة تدع الآفاق حائرة
 إنّ القدير الذي أرسى الجبال لهم
 ما البحر؟ ما البر؟ والأسطول مقتحم
 ولا الرواسي وقد ألقى رواسيه
 "إدوار" يا ثامن السبع التوابت في
 أعيد حكّمك أن تلقى البلاد به
 ما الانتداب؟ أمرماه وغايته
 أم الانتداب يرام الاغتصاب به
 ما وعد بلفور من أمر السماء ولا
 هل وعد بلفور تشريع إذا فرطت
 ما حكمه بعد أحكام السماء ولا
 يحوطه باسمه القانون معتصما
 دعا إلى الحق تلييسًا وتعمية
 عود يطهر وجه الأرض من صب
 كيد لغطى سعيير الظلم بالحطب
 عطشى إلى عودة منه ولم يؤب
 بعاجل من خراب الدار مقترب
 أرضًا ولا أتعبتها وقفه القطب
 في طالع عن بلاد القوم لم يغب
 لم يعي في تركها منهارة الكذب
 والطير والجو والأحقاد في لجب
 في البر و البحر والافاق والسحب
 حكم الشعوب بلا غدر ولا كذب
 ضيمًا وتصبح نهب العسف والشغب
 أدلال حرّ أبي باسم غير أبي؟
 معنى وأحرفه في ذمة العرب
 في الجذب من أرضنا زرع لمحتطب
 أغلوطه منه تدعو الناس للعجب؟
 يرضى به بعد حكم الله غير غبي
 بنصه ممعنا كالفيصل الذرب
 على الشعوب فلبت ثورة الغضب

كم أخدموا جذوة الهيجاء فاندلعت
وهل لها غير حكم الظلم من سبب
تجدى الحفيظة في حفظ النفوس وما
تشفى الحفيظة من جوع ولا كلب
ويغمض السيف جفناً عن مغاضبه
حلمًا وينسلّ محمولًا على الغضب
كم طامع عض يأسا من حبائله
أنا ملا فرمي أحبال محتطب
لو أنصفوهم لغازوا من صداقتهم
بحارس من سهام السبعة الشهب
كم دولة هزمتها دولة فهوت
لألأنف والعينين رأس ومن ذنب
أشرة بعد شرع الله قائمة
بين البرايا وقول بعد قول نبي
توطن الظلم فيها غير متهم
وكاد يأتي عليها غير مضطرب
لما انتدبتم حسبنا خير منتدب
موفق وابتلينا شر منتدب!
ملا تم الأرض من عدل وأغنية
عنه فهل أخذتها هزة الطرب؟
ردد أغانيك في كل البلاد وخذ
مائة من حقول الأرض واحتطب
العدل شعر خيالي حقيقته
في ذمة الظلم والتدليس والكذب
يظله باسمه القانون مبتدعا
يجري وينفذ فيها أمر مغتصب
يحرك النفس له عرب
وليس يحكيه قانون بلا عرب
تكاد أرجله تعدو بكل يد
خفيفة اللمس قبل النبع والغرب
عداك يا حصن عدل القوم قائده
وجنده وجنود الله في الطلب

وقفت بالدار أبكيها وترمقني
عيوننها بلحفظ اللألم العتب

بكيها روضة جفت أزهرها
وكرمة جردت من زينة العنب
أبكي لها وأواسيها فتجرحني
جراحها وضماديفي يد الحقب
يا ويح قلبي كم ناحت حمائمها
وساجلتني وما قالت: ألم أجب؟
وأحسنت عن عيون الغيد إذ نقلت
لفظ العقيق ومعنى اللؤلؤ الرطب
يادار حزني وآلامي ومنتجعي
لا دار أنسي ولا كاسى ولا طربي
تطيب ذكراك في سمعي يرتلها
قلبي فيشقي بها حظي ولم تطب
تجول ذكراك في صدري فأقذفها
سخطاً على القوم أو شعرا مع الشهب
على ابنها يوم سيم الضيم كل أبي
أمست فلسطين أمًا جد جازعة
أيدي العدا بين جبار ومنتهب
قوم غضاب لحق قد تقسمه
بأدمع الغيدق الهطال وانتحب
إبك الدوارس منها إن جزعت لها
حر وشيخ وطفل مثخن وصبي
تحت الرغام أباة الضيم من بطل
على الطوى فقد أم برة وأب
وارحمتا لهم في الـردم غالهم
وقد يداوى عضيض الكلب بالكلب
إن يستغيثوا يغاثوا باللظى كرما
أطرتها شهباً تأتي على الشهب
يا مريض الخيل لو أن الأعنة لي
تقيمني وعناد الدهر يقعد بي
قومي وأهلي وما لاقوا ونجدتهم
أمري وخولف لم يقتل ولم يصب
لو كان أمر دريد في هوازنه
ما أنتم في رضا مني ولا غضبي
تعمد القوم إغضابي فقل لهم
قناة منحرف الآراء منشعب
صيرتم الظلم عدلاً تستقيم به

عجبت من عدلكم حتى رجعت لكم
ومذ رجعت إلى الله انقضى عجبي
صبوا عليك شواظ النسف والتمسوا
نصرًا على جدر من أدور خرب
هزيمة وإغارات بها كتبوا
صحائف الفخر فاقراً يا أبا العجب؟
واخلع عدرك وأطلب من ددِ خلصا
في غرة الجدد والأيام في لعب
أسرفت لم تقتصد في بذل ما ادخرت
أم الحوادث والأرزاء والنوب
قتل النفوس وهدم الدور نافلة
أو سنة إن دعت يا واجب استجب
وسوف تخدع أو تلهوا بها فئة
والعدل في راحة والظلم في تعب

صوت فلسطين

كلما تردد الأنين في فلسطين سمع الناس له صدا في مصر، وكلما بكى أهل تلك الديار أعولت هذه الدار وقد هدر الهدار فزمجر أسد النيل وويل للحمام والبلابل إذا لم تحركها هذه البلابل. وكان بؤس فلسطين بعد الزلازل منذر بأمثاها من الثورات، وقامت البلاد العربية أجمع وقد نشرت صحف مصر وفلسطين في تلك الأيام هذه القصيدة ولا يفوتني هنا الثناء على صحف فلسطين التي ذاقت الأمرين من التعطيل في تلك الثورة والحبل على الجرار، وكانت صحف مصر أيضا معرضة للتعطيل وإليك نص القصيدة وقد أسقط بعضها وفي غير استطاعتي الحصول عليه الآن

ونسجه بيدي كيد وتديير	رد وعلى القوم كيدا وعد بلور
لم يفرط الوعد إلا بعد تفكير	قد ساء تدبيره عفوا فلو عقلوا
حس ينبه منه عقل مخمور	فهل لصحوة مأخوذ بغممرته
هب الفراش ليغشى مهبط النور	فيا رجال الدبي هانت رجالكم
عن خلية النحل تهتاف الزنابير	هل تملكون له دفعا فيقعدكم
سيف تقلدتموه غير مشهور	في عقر داركم هنتم فهان بكم
يبغى الفريسة في جناح الدياجير	لا يقعد الحر في غاب وخادره
وهن ما بين منظوم ومنشور	وهل يظل أسير في قلائده
ويستفيق فيسعى غير مأمور	يقضى الأسير ويحيا عند همته
فما التعلل في خلق المعاذير	ولا تشين أخاضيم شكايته
وطبعها من حديد غير مصهور	لا تألف البيض أعماد تقر بها

يا نسمة بعثت في طيها لهبًا
كأنها زفرة من صدر تنور
أمسيت منك بروض زاهر أنف
رام الذئاب بها كيد اليعافير
تقطعت بك أسبابي وقد وقفت
عليك نفسي وآياتي وتحبيري
لو أن جرح المنايا في مظاهرة
حظى لداويت فيها جرح مأثور
وكنت أول من تخزى هزيمته
يوم النضال وحين النفخ في الكير
ويوم حشد كيوم الحشر أحفظني
عليه أن كنت فيه غير محشور
مضى بأرواح أطهار أولى شرف
وما دنست ولم أوزن بتطهير
تباركت همة الشيخ التي بعثت
من الشبيبة جيشا غير مكسور
لم يختلف قائدوه فهو في خلق
يسمو به عن حكايات الزماجير
ماض وورد المنايا من رغائبه
وزاحف وهو بحر جد مسجور
موحد الرأي لم يهزم كتائبه
عبث الدهاة بحذاق الجماهير
ان ضويقوا أضربوا أو ضوربوا ضربوا
إن القوى بظلم غير منصور
وإن بوتقة الأرزاء ما كسرت
تبرًا ولا فضة إلا بأكسير
فكلما فرقت سمر الرماح بدت
من نحوهم جمعوها جمع تكسير
أعوج بالدار أبكى شطر مسجدها
فقل سلامًا لها من حبس مأسور
ألم تكن جنة الدنيا بأنعمها
مأوى الأسود ومرعى العين والهور

كم حجة لهم في طيها حجج حتى تحل بتحليق وتقصير
وادمع عند مبكاهم تجود بها أم الدواهي على أم المقادير
ياليت شعري أمبكي العرب في غدهم ويومهم في امتناع غير مخفور
هل ذبت يا صخرة الوادي المقدس في سيل الطغاة فذلت عزة الطور
وهل غداً جبل الزيتون منصدعا لما خبي في خباياها مشرق النور
تحركت لك أشواقى فما سكنت هبى إذا سكن الهدار أو ثوري

هذى فلسطين بعد الفاتحين غدت خرافة أو مراخاً للأساطير
تباركت بابين داود وآيته حبس العفاريت في جوف القوارير
هزت هيا كلها ريح الطغاة ولا تزال وقفاً على هوج الأعاصير
ذنوبها مثل أغلاط الزمان هوت بالغابرين ولم تؤذن بتكفير
كم عذبوها فلم تصبأ وما كفرت بنعمة وهي دين غير مكفور
لا يغفر الله ذنب العابثين بها وما سمعت بذنب غير مغفور
وكيف تطهر من رجس ومن دنس إلا إذاغسلت وعد بلفور
وعدّ كأمرٍ بشر من تخلف عن إخلافه فليطعه غير مأمور
صيدت شواهيننا منها بأغربة فصار حلا لها صيد العصافير
ورب تجريها مستأجر لها يا واهب الأجر زدهم غير مأجور
حتى تفيء إلى غبن فان بخست في سوق عدل فبيعها بيع تخسير

وهل مستم دموع الثاكلات بها
وهل ضمدتم جراح النأيحات وهل
كيف اخترتم حقوق العاكفين على
وهل نفتم بها عن نفس مصدر
ينكى الأسود تهيام اليعافير
عبادة فاكتسبتم وزر مأزور

ليست فلسطين في البلدان عارية
وليس أبنائها ملكاً لمنتدب
تبيت رهناً على مال فوائده
هل بات ربح العلافي سوقهم سفها
دعا البهاليل⁽¹⁾ من أعلامها خطرٌ
فاستوثبوا أسداً شوساً غضافرة
يطوي البسيطة من أبناء بجدتها
شُمَّ العرائين من خير الأباة وهم
أني تنقل أعلا صوت أمته
وأين هلّ تلاقت زهر أنجمه
تجتاز قائده في كل مملكة
غاب تنقل في ألفافه ومضت
تهدى وتمنح بين العير والعيير
فوعد بلفور عنها وعد ممرور
لغيرها وهي آلاف القناطير
ففرطوا يوم باعوا بيع تخسير
يطوى الفلابين (مدراس) و(لاهور)
تقلدت همم الشوس المساعير
وقد طوينا به مجد المشاهير
زهر النجوم على الأفاق والدور
ماض على الرشد يشدو شدو تذكير
بأنجم من سماء الهند في دور
مكرماً بين تهليل وتكبير
أبطاله بين ذا نبل وتحريير

(1) إشارة إلى الوفد الفلسطيني العربي وقد رحل إلى الهند برئاسة صاحب السماحة الزعيم الأكبر السيد أمين الحسيني

يشترار عند خلايا النحل من عسل
شغل الأبابة الألى لو لم تصبحهم
غليت يديهم من الدهماء عاصفة
والنير يدعى انتداباً وهي أغنية
ومن شهاد تقى لسع الزنانير
شعراء شقوا اليها درع ديجور
من هجرة وكوتهم لفحة النير
من السياسة تسبي عقل مخمور

يا سائلي عن هوى نفسي وبغيتها
هواي تحرير أهل الأرض عن ملأ
فكل نفس لها من سعيها أمل
هل تمنع النفس ن آلامها جدة
من الحياة وقد غصت بتقدير
من الهداة وأقطاب الدساتير
ولا تتال مناها دون تحرير
لغيرها وهي منه دون تقدير

أمسيت يا مصر منها طي أكسية
شقيقة لك تلهو إن لهوت وان
ها أنت أنت عروس الشرق فاتخذي
لا يبعذك عنها قيد أنملة
فما يرد أثيم من غوايته
يفضى بأنه محزون فيسعف ذا
ان الذي كاد نجدًا في كرامتها
من همها بعد تطويل وتقصير
وريت زندك أورى زندها مورى
لمهرجانك طبلاً من مزامير
ندى أكف ذوى الشح المياسير
بمثل انعاش مقهور لمقهور
حزن ويرحم آلاف المعاسير
جنى على وحدة المصري والسوري

يا وطني الأول

يا وطني الأول لست وطناً إلا لتلفيق الحديث المفتري
بريطانيا شيدت استقلاله ودكت استقلاله بريطانيا
كم أطلعت من أفقها وقدسها أخت ثريا غيبوها في الثرى
كم سهرت في حبها عين السهى وعلمتني في هواها السهرا
يحمل ربا طيبه وورده محبب الروحات محمود السرى
لا ضقت بين زرعه وضرعه صدراً ولا عاتبت فيه القدر
غادرها الترك إلى أمثالهم بطشاً لتبك العين منه الأثر
تفتح الإيمان فيها ملحداً في الدين لا يعبد إلى الحجر
ينزل فيها كافر ومؤمن لحجه مهلاً مكبراً
يقرأ عن موسى وعيسى آية أجلها محمد وأكبراً
ولا يشذ عن هواه ملحد قد ركب الآثام ثم استغفراً
حتام يخلبنا برق السياسة مشفوعاً برعد وغيث غير ممطور
وفيم يخدعنا مكر يكذبه ما يشهد العدل من إفك ومن زور
العدل بشعر خيالي حقيقته في ذمة الظلم والتدليس والكذب
يظله باسمه القانون مبتدعاً يجري وينفذ فيها أمر مغتصب
يحرك النفس قانون له عرب وليس يحكيه قانون بلا عرب

تكاد أرجله تعدو بكل يد خفيفة اللمس قبل النبع والغرب
عداك يا حصن عدل القوم قائده وجنده وجنود الله في الطلب
أمست فلسطين وضمت أرضها أهلاً، وقومًا من علاها في الذرى
هذا فتى العلم أخي ببعده قد حل ما بين جفوني والكرى
يزدارني خياله فأشتفي بزورة من طيفه إذا سرى
لما سهى نهته فاعتذرا قد نسي العهد، فهل تنكرا
يبعث في نور الهدى شعوره معنى حياة، بالنفوس يشتري
يا ويح أرض الشرق من عاصفة تحمل في ويل سحابا ممطرا
تجازها إعصار زلزلة في نفسه توشك أن تفجرا
تغرسها بيض الظبا جماجا خضرا، وتحكيها نجيعاً أخضرا
مرت في الريف على رماحه فصادفت عوداً أبى أن يكسرا
أطلت صمتاً يا أبا الهول فمر عيناك من طرف اللسان أن ترى
محجب في أرضه مكبل شاء الكرى، فقل له طال الكرى
لست بلغز أو فكن لغزاً وقل للناس، ما هذا النفاق والمرا
يا ابن اباه الضيم في هذا الحمى من مضر، وقد أدلّوا مضرا
إلى الأمام امشي بها ولا تقل زماننا يمشي بنا إلى ورا
عودوا لجمع الشمل بعد فرقة طويلة حُباً بتوثيق العُرا
لا نام أهلوها ولا كل ابنها سعيًا وإن سعيه سوف يُرى

3- الشاعر إسكندر الخوري

أ- قصيدة :

ثورة فلسطين

حدّثي الأجيال عتًا والسنيينا
وعلى الأحفاد قصي ما لقينا
لم ير التاريخ خطباً كالذي
دهم العرب وشفّ المسلمينا
حسبوا العرب متاعًا يشتري
في فلسطين فراحوا يشترونا
ساوموا في مشترانا دولة
عبثت بالعهد لمّا عاهدونا
ثورة كانت صدى البيع على
أثرها بيعت نفوس الثائرينا
شهداء قدّموا أرواحهم
ثمناً أفسد عقد العاقديننا
في ميادين على راياتها
كتب النصر لنا حينًا فحيننا
يا جبلاً شهدت أفعالهم
حدّثي عمّا شهدت حدّثينا

يا أمين العرب مهلاً إننا
لعلّى عهدك إنّا يا أمينا⁽¹⁾
لست فردًا أنت لكن أمّة
أنت إن تشك شكونا أجمعينا
اللسطيني فيها باع ما
ملكك كفاه مالا وبنينا
ووفى عهدك بل عهد الإلي
عنك في (سيشل) باتو مبعديننا⁽²⁾

(1) يا أمينا : إشارة إلى سماحة المفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني.

(2) سيشل : الجزيرة التي اعتقل فيها أعضاء اللجنة التنفيذية العربية عام 1937 وتقع في المحيط الهندي

أنت في لبنان لا وحدك بل
حيّ لبنانًا وحيّوا أهله
وجد الليث على صنيته
من أعاليه رعت أعينه
ألفلسطيني فيها باع ما
ووفى عهدك بل عهد الألى
حولك الأهل أوفًا ومئينا
كان لبنان لنا الحصن الحصينا
مريضًا في أرزه يحمي العرينا
ثورة كانت لنا الفتح المبينا
ملكـت كـفـاه مـالاً وبنينا
عنك في سيشل باتوا مبعدينا

رقد(المهد) عزيزًا لم يلن
أيها الرابض في لبنان قم
خدع اليهود ما كنت لهم
رفضوا النصح فقالوا أرضنا
ودعا الداعي فلبى كئنا
ومشينا زمرًا نحو الوغى
لم تخفنا طائراتٍ حلقت
لا ولا جيشٌ بدباباته
فأرينا القوم أنا أمة
خسروا الميدان والليل انجلى
إنّ للظلم مصيرًا خاسرًا
وكذا(الصخرة) تأبى أن تلينا
في فلسطين أمير المؤمنيننا
بعدوّ كنت خير الناصحيننا
أخرجوا من أرضنا يا كافريننا
دعوة الداعي لصدّ الطامعينا
وسقطنا زمرًا مستشهدينا
فوقنا ترسل نازًا منونا
راح يغزونا ولا يعرف لنا
عمرٌ منها وزين العابديننا
إنّ هذا لمصير الظالمينا
سنّة الله وعيسى ونبينا

وعلى (لندن) قف لا صاغراً
ضيعته لندن في وعدّها
أو هذا كل ما نأمله
حسبتنا لندن أرملّة
هذه مصر وهذي مكة
هذه الشام وصنعاء ومن
هوذا لبنان في صنّينه
هوذا الهند ومن فيها على
هوذا الإسلام في إيران في
وعن البحرين لا تسأل فكم
أبها السّواس في لندن لا
إن تساومتم على إرهابنا

نادبًا ما بيننا ودًا ثمينا
ليت قبل الوعد مات الواعدونا
من رجال ويحهم قد حالفونا
ما لها حام كما قد عيروننا
هذه بغداد دار الفاتخينا
جدهم قحطان هبوا غاضبينا
يحتفي بالضيف مفتي المسلمينا
خصمنا قاموا جميعًا ينصروننا
أفغانستان راحوا يعضدونا
ساعد العرب على البلوى معينا
تعبثوا بالودّ لا ، لا تظلمونا
ستروا منا الذي لا تجهلوننا

ححص الحق وراحت لندن
بحقوق العرب لندن صرّحت
يا فلسطين اهناي واستبشري
وارتقي العرش الذي يحرسه
تفرج اليوم عن المعتقليننا
في فلسطين وقال فاوضونا
ستالين الذي تنتظرينا
من بني العرب قلوب المؤمنينا

وما ضام الفتى ظلم الأعداي

هبطت بلادهم شرقاً وغرباً فتهدت بها ورحلت أسير عجباً
بلاد ينشأ الإنسان فيها عزيزاً آمناً ضيماً وكرباً
فلا استعمار عندهم بغيضاً ولا وعد أضاع حمى وشعباً
ولا حريّة تبلى بطاغٍ يرى حريّة الأفكار ذنباً
نظرت إلى بلادي من بعيد فذبت أسى وكدت أطيّر لباً
تذكرت الديار وما دهاها وأهلاً كان لي فيها وصحبا
فأيم هم وأين الدار عجت بمن كانوا لهذي الدار رباً
تذكرت الخيانة والضحايا وحرّباً لم تكن في الحق حرباً
فضائح ما رأيت لها مثيلاً أتاها القوم أعجاماً وغرباً
فلسطين ضحيتها وصحبٌ فديتهمُ غدوا للقوم نهياً
وما ضام الفتى ظلم الأعداي ولكن ظلم ذي رحم وقربى
فما قول العروبة في بنيتها وهل فرج لنا منها يرجى
ألا حسب الفلسطيني لجوءاً وحسب العرب ما حملوه ذنباً
وهل دولٌ ثمانية عليهم غدا رفع المذلة عنه صعباً؟!
إذا لم نمح هذا العار عنا سنلبسه طول العمر ثوباً!

أحاجي

زعموا أن بخيلاً لم يجد في حياة لفقير بنقير
عاش في الناس غصوباً حقهم ورماهم بخراب وثور
جاءه الشحاذ يوماً سائلاً بعض ما يملك من مال وفيير
فأراه معوزاً ذا كسرة قال خذها منه من فضلي وخيري
وهب الشحاذ ما ليس له يا لطيب النفس والقلب الكبير!؟
لا أسميه، فمن يحزره؟ إن من أعنى هنا جد شهير
كلكم يحزره، فهو غدا علمًا للكذب عنوانًا لزور

وانتتى الشحاذ فيما ذكروا عندما عزت علي فيه الأمانى
يطلب النصرة من سيده قائلاً: مالي بما شئت يدان
حبذا الكسرة، لكنى أرى نيلها لما أحاول غير دان
صاحب الكسرة لا يسخو بها لسواه، ذو حفاظ، متفان
هاتها لي منه، إنى عاجز أن أعانى في مرادى ما أعانى
فانبرى الظالم يدينها له وهو لم ينفك يدنو غير وان
من هو الشحاذ؟ ما أوقحه لا يرى أوقح منه الثقلان

كلكم يعرفه، فهو غدا مثلاً للذل رمزاً للهوان

طفق المظلوم يشكو أمره فأتى يشكو إليّ مَنْ ظلمه
قال: فالكسرة حقي، ردها غير أن الظلم دنيا مظلمة
يرحم القوة أو يرهبها هل رأيتم من ضعيف رحمه؟
قسم الكسرة ظلماً وادعى أن ذاك الحق فيما علمه
قال للشحاذ خذ نصفاً وخذ أنت نصفاً، يا له ما أظلمه!
وحكى الشحاذ بل لي كلها حقي الموروث، لا لن تقسمه!
فبكى المظلوم كي يرحمه أو تجدي العبرة المنسجمة؟
ما الذي يجدي إذن في مثله ما الذي ينصف أهل المظلمة؟
ذاك سر فاكتموه عندكم إن من أودع سرّاً كتّمه

زعموا الشحاذ نال المبتغى وهو لا يقنع بالشئ القليل
طمع لما يزل من آدم وصمة تورث من جيل لجيل
مد عينيه لأقصى ما يرى ليس في ما نال مرو للغيل
قال للسيد أجهز لي على صاحب الكسرة ذي الظل الثقيل
لا أرى الكسرة تحلو لي إذا لم يكن ذو الحق فيها بالقتيل
رده السيد عن هذا ، ولم يرض، والعلام أدرى بالدخيل

قال يا شحاذ نقيصه إلى
مَهْمَة ليس له حد ، قحيل
قال: هذا نصف حل خاطيء
وأنا أكره أنصاف الحلول
منطق أعوج، من يفهمه؟
أين قل لي: أين أصحاب العقول؟
من ترى يعرف ذا الرأي الذي
قيل قدمًا؟ أزر بالرأي المقول
هكذا الوجدان إما يشتري
ليس للرحمة فيه من سبيل

ورؤوا أن كسيحًا مقعدًا
رام أن تدعمه يومًا دعامة
فرأى الشحاذ في بنيته
فتمنى، لو شفاه وأقامه
قال: يا شحاذ أقرضني يدًا
إن من يقرض يدًا يلحق أمامه
غنني صوتًا، وساعدني أقم
فلقد قامت على عهدي القيامة
ولك الدنيا وما تبغي إذا
قمت من بلوى كساحي بالسلامة
وحكى الشحاذ: خذ عكازتي
ثم أقطعني غدًا دار إقامة
فانبرى المقعد يهذي كلما
هل عرفتم من ترى أعني؟ نعم
هل فهمتم يا أولى الفهم كلامه؟!
إن يرد، فليقطعن من داره
إنني قلت لكم فيه علامة
ليس من دار سواه، لا كرامة

ذكر الراوي وطالت قصة
أمهلوني! أرو عنه ما ذكر
نسي الشحاذ ، والكفر به
شيمة، كم أنعم كبرى كفر!

نسى المعروف من أسياده
ورد البئر صدى حتى ارتوى
كان كالذئب تغذي لبنًا
أعمل المخلب في سيده
من ترى يعرف ما أعني؟ نعم
إنها أحجية مكشوفة
إن نسيان يدٍ إحدى الكبير
ثم ولى ورمى فيها حجر
من شياة ، فتعدى فبقر
أما في طريق العقل عبر
إنها ليست بحاج للفكر
كلكم يعرف مثلي ما الخبر!

ومشى المحروم في روض المنى
كلما مدَّ يدًا يجنى انثنت
قال: فلأصعد على هامى فتى
فامتطى ذاك الفتى أكتافه
واستطاب القعدة العليا ولم
قال: فانزل، أنت لم تجن جنى
لا أرى لي فيك جدوى إنما
فأبى الراكب أن ينزل عن
من ترى يعرف هذا؟ كلكم
يحكم الأمة من يخدمها ..
أيها القوم وهذي قصة
واشتهى لو نال من بعض الثمار
يده ملأى بغرم وخسار
يقرب القاصي ويحمي لي ذماري
واستوى مثل مليك في اغترار
يجن شيئاً غير صيت واشتهار
ولقد طال اصطباري وانتظاري
أنت مضاع كلام وفخار
عرشه، وهو كما تعلم هار
عالم بعض الذي أعني وداري
حسب ما تأمر يمشي ويجاري
وبها وجه لفكر واعتبار

فسروها مثلما شئتم ولا تسألوني،واقبلوا مني اعتذاري!!

غير أنني قبل تركي سائل
حينما أبصره كوهين لم
كان يرجو بسواه دولة
إن نشأ نجعله سدًا عاليًا
أو نشأ نجعله سيفًا صارمًا
نبته لما تزل ريانة
كلما زدنا به زيتًا يزد
من ترى يعرف ما أعني؟ نعم

عن ضياء لاح في حلك الدياتي
يهن عيشًا، فهو منه غير ناج
وغدًا لما رآه غير راج
محكم الصنعة ممنوع الرجاج
يذبح الغمة والكراب المفاج
أنتجت خير ثمار ونتاج
نوره الوهاج ضوءًا كالسراج
إنكم تدرون تفسير الأحاجي

عبدالرحيم محمود 1947/11/2

عيد الجامعة العربية

عيد بإحناء الصدور يقام من وحيه الأشعار والإلهام
حلم لقد لابت عليه نفوسنا أجمل بأن تتحقق الأحلام
جمع الشتيت فكل قطر درة في تاجه، والوحدة النظام
فإذا تشكى النّيل من آلامه شقت مرائر دجلة الآلام
وإذا تتادى المغرب الأقصى لدى جلى استجابت للنداء الشام
ذهبت خرافات الحدود فكلها وطن لنا لو صحت الأفهام

~~*~*~*~*

حفي اللسان وجفت الأقلام والحال حال والكلام كلام
مرت بنا الأيام لم نسلك بها جدد الصواب ومرت الأعوام
والزورق التوهان سار محيرًا فوق الخضم دليله الأوهام
وتخاصم القواد بين مشرق ومغرب وتقطعت أرحام
فإذا المنابر صاخبات حقل يرغي بها التهويش والإيهام
وإذا الضلال له هناك سرادق مضروبة عبدت بها الأصنام
والحر وابن الحر ليس مطية يمتطى ويكبح أصغريه لجام
فيقول حقًا ليس يخشى لومة والحق أروع ما حوى الإسلام

~~*~*~*~*

مرت بنا الأيام بين تعلل بغداد فضاعت بالرؤى الأيام
ظننا نقول غداً غداً هل حققت للائبين على غد أحلام
ظننا نقول غداً يفيق ضمير من فقد الضمير ويعدل الظلام
ظننا نقول حباب ضرباتهم مقبولة ما أن لها إيلام
ظننا نغرر بالوعود وينطلي كذب ويفعل فعلة الإيهام
خرجوا لنا " بالسحب " من أقسامنا يا ويلنا إن الهوى أقسام

~*~*~*~*~*

بلفور ما بلفور ماذا وعده لو لم يكن أفعالنا الإبرام
إنا بأيدينا جرحنا قلوبنا وبنا إلينا جاءت الآلام
فيينا عن الحب المجمع جفوة ولنا بصحراء الخصام هيام
والخطب فرقنا قبائل جمّة والخطب عند عُداتنا لَمّام
يا قادة - إلا الذين أجلهم عما يذم- وقد عداهم نام
نحن الضحايا لا نريد مثوبة وأقلها التعريف والإعلام
أوليس من دور لنا نلهى به إلا وداع حافل وسلام

~*~*~*~*~*

قل لا وأتبعها الفعال ولا تخف وانظر هنالك كيف تحنى الهام
إصهر بنارك غل عنقك ينصهر فعلى الجماجم تركز الأعلام

وأقم على الأشلاء صرحك إنما من فوقه تبنى العلا وتقام
واغصب حقوقك قط لا تستجدها إن الأولى سلبوا الحقوق لئام
هذي طريقك للحياة فلا تحد قد سارها من قبلك القسام

وعد بلفور

العُرب ما خضعوا لسلطة قيصر يوماً ولا هانوا أمام تجبر
لا يصبرون على أذى مهما يكن والحرّ إن يُسم الأذى لم يصبر
والترك قد كبروا وإنّا معشرٌ كُبرٌ، وفوق تكبر المتكبر
وإذا به أمر نُبيّثه لهم تحت الأسنة والقنا والسّمهري

~*~*~*~*~*~*

واتى الحليف وقام في أعتابنا متحيراً إنّا هدى المتحير
واستنصر العرب الكرام وإنّهم غوث الطريد ونصرة المستنصر
وإذا عتاقُ العرب تُورى في الدجى قدحًا وتسهل تحت كل غضنفر
وإذا السيوف كأنهِنَّ كواكب تهوي- تلامعُ في العجاج الأكر
رجحت موازين الحليف ومن نكُن معه يرجح بالعظيم الأكثر
وبنت له أسيافنا صرحًا فلم يحفظ جميل العُرب يا للمنكر!
في ذمة الرحمن صرعى جدلوا وعلى ثرى بدم الرجال مُعصفر

~*~*~*~*~*~*

غدر الحليف وأي وعد صانه يوماً وأية ذمة لم يخفر؟
لما قضى وطراً بفضل سيوفنا نسي اليد البيضاء ولم يتذكر

وإذا الدُمُ المهراق لا بمراقه جدوى ولا بنجيعة المتحدّر

~*~*~*~*~*~

يا ذا الحليفُ سيوفنا ورماحنا
لم تنتلم فاعلم ولم تتكسّر
بالأمس أبلت في عداك وفي غد
في كلّ قلب غادر متحجّر
تغلي الصدور وليس في غليانها
إلا نذير العاصف المتفجر
ولقد تصبرنا عليك فلم نطق
منك المزيد ولاتّ حين تصبّر
هذي البلاد عريننا وفدىّ لها
من ولد يغرب كلّ أشد هصر

عبدالرحيم محمود/نابلس .../11/1935

5- الشاعر محمد علي صالح

أ- قصيدة:

ليلى وبلفور

وليالٍ مُقمراتٍ تَزْدَهِى
أرَقَنْتِي فِي سَماها رَبةً
تُهْتُ لما نَسَبَتْ فِي غَيمِها
فَكَانَ الغَيمُ، لَيلًا، صَبيئَةً
فَتَدَلَّى النورُ عَن أَهدابِها
فِي رِياضٍ فُتِحَتْ أَزهارُها
بَسَمَ النَّرْجِسُ فِيها وَالرَّهَرُ
بَارَحَتْ سَمعي كَلِمِحِ بالبَصَرِ
أَسْهُمُ ترسَلُ عَن قوسِ القَمَرِ
غَلَبْتُ لَمّا أَتتَ لَعِبَ الأَكْرَ
عَسَجَدًا يُلَحِظُ فِي شَطِّ النَّهْرِ
تَخطفُ العَقْلَ جَمالًا والبَصَرَ

بينما مَتَّعْتُ فِي أَفنانِها
إِذ تَراءى شَبَّحَ عَن أُمِّم
جِئْتُ لَمّا تَراءى فِي المِلا
إِذ قَد أَدْرَكْتُهُ مُسْتَتِرًا
نَسَجَ البدرِ عَلى أَعْطافِها
فَرَّ مَنِّي، أَبَقًا، مُخْتَفِيًا
غَيبْتُ عَنهُ ثَمَّ قَد فَاجَأْتُهُ
قَلْتُ: مَن أَنتَ؟ أَلَا تُخَبِّرُنَا
قال: دَعُ هَذا وَلا تُقَلِّبْني
بَعْدَ لأِيٍّ وَجدالٍ قال لي:
غادَةٌ حَرَّتْ بِأَهلي شَرَفًا
قال: ما شَأنُكَ تَأْتينَ هُنا
فَبَكَتْ دَمْعًا بَدًا فِي خَدِّها
مُهْجَتِي حُسْنا وَأَمَعَنْتُ النَّظَرَ
كَهلالِ الشَّكِّ فِي رَأْسِ الشَّهْرِ
وَتَجافى مِثْلَ هُنْدٍ عَن عُمُرِ
غَيرَ راضٍ أَن يُرى مَنه أَثَرُ
بِيبَتْ شَعْرٍ مَن ضِياءٍ لا شَعَرَ
خَلَفَ صَفِّ الدَّوْحِ ما بَينَ الشَّجَرِ
بَعْتَةً فَاغْتاظَ، حَقًّا، وَبَسَرَ
خَطَبَكَ اليَوْمَ وَلا تُخَفِ الخَبَرَ
قِصَّتِي فِي القومِ مَن إِحدى العِبرِ
أنا أَنتى، لَسْتُ حَقًّا بِدَكَرِ
فِي فِلسطِينَ وَ قَومِي مَن مُضَرَ
فُتْناغِينَ الدَّراري وَالقَدَرَ
بِانْجِامٍ وَ تَدَلَّى كَالدُّرَرِ

ثم قالت: جئت أرجو خالقي
زرعوا زرعاً وها هم قطفوا
نحن نبغي ردهم لكننا
قل لهم: أن ينهضوا أو يتركوا
هَجَرُوا الْعَرَبَ إِلَيْنَا فامتلا
قل لهم سوف تلاقون غداً
وَسَتَعْدُونَ رفاقي طَلالاً
قل لهم: ليلي بكت أسفة
قل لهم قد آن أن تستيقظوا
بَلِّغِ السَّيْلُ الرُّبَى يا قومنا
لا تبالوا نزل الصَّيْمِ بِكُمْ
حالنا، بين الورى، أُعجوبة
يا جنينا ؟ هل بلغنا مقصداً
قل لهم: "بلغور" يأتكم غداً
أنا لا أندب قسراً شدته
إنما أندب أطفالاً بلا
خبر الأعراب عن ليلي وقل
غادر الحسن مَحَيَّاهَا وقد
أي بني عمي وقومي سارعوا
عُرفُ التَّدْرِيسِ تغلي غضباً
كلُّهُمُ يَنْزَعُ في تدريسه
أنا لا أبرح أبدي غاييتي
وكذا من خان أرضاً فِدَسَتْ
يا شباب النهضة الغراء في

أن يجافي مؤطني كل الغير
تمراً قد آن أن يجنى التم
مثل من يعرض تمراً في هجر
أرضهم للمستبدين التتر
سهلنا و اكتظ، ذرعاً، ذا الوعر
بائع الأرض، بواديكم، حطر
بعد هذا اليوم أفناه المطر
ولها دمع تدلى فانتثر
وانزعوا عن فكركم هذا الخور
فاقتفوا الليث إذا الليث زار
أم بكم سيف الأعادي قد بت
ضحك البدو عليها والحصر
أو حطونا في مرام أو وطر
هل تكاتفتم إلى هذا الخبر
أو رجالاً بلغت حد الكبر
موطن ياوون فيه.. أو مقر
إنها ليست بحسن يذك
كانت الحسناء في كل البشر
باتفاق حسن يردى الضرر
واعتقادات بنيتها كالشزر
نرعة تهفو لنصر منتظر
إن من يبغض قومي قد كفر
من قديم فهو، حقاً، في سقر
موطني كونوا جميعاً في حذر

يُبْهِرُ النَّاسَ وَأَنْتُمْ مَنْ بَهَرَ
رِفْقَتِي " بَلْفُورُ " مِنْ خَلْفِ الْبَحْرِ
لِرِجَالِ الْغَرْبِ وَأَقْفُوا ذَا الْأَثْرِ
غَرَدَتْ تَدْعُو إِلَى قُرْبِ السَّحْرِ
وَبُكَاهَا قَدْ مَحَا عَنْهَا الْحَوْرُ
أُرْسَلَتْ مِنْ عِنْدِ مَوْلَى مُقَنَّدِرُ

فَانْشُرُوا الْجُنْدَ رِبِيعًا نَضِيرًا
وَانْفُرُوا لِلْقَدْسِ، هَيَّا، وَتَقُوا
وَابْرِقُوا، رَفُضًا، لَوْعِدِ جَائِرِ
بَعْدَ هَذَا بَشَّرْتَنَا وَرُقُ
فَافْتَرَقْنَا وَغَدَتْ رَائِحَةٌ
فَأَجِيبُوا إِنْ لَيْلَى مَأَكُّ

محمد علي صالح - طولكرم - فلسطين، 1925/3/6م

يوم 2 نوفمبر

رحمك ربي فهذا الجمع من مضر
يدعوك فالطف به يا خير من يجر
إنا أتيناك نرجوا نصرة وُعلا
كي نرتقي فوق هام الأنجم الزهر
لا بارك الله في ذا اليوم إن به
يا آل قحطان وعدًا واضح الضرر
قد قام "بلفور" فيما تعرفون ولم
يعلم بأنا أسود الموقف الخطر
تالله لا نقبلن "الوعد" ما برحت
فينا دماء، ولا نرضاه من خبر
إنا بنو يعرب شم الأنوف إذا
حاقت بنا حادثات الدهر في صور
ترتد أدرجها ليست بقاضية
منا مرادا ولم تحرز على وطر
إنا لنرفض هذا الوعد أجمعنا
أهل العروبة من بدو ومن حضر
كما رفضناه في عام مضى وكذا
في كل عام سيأتينا بلا خور
هو الصراع، ولا نخشى شبا السمر
إنا بنو يعرب قوم إذا استعرت
نار الوغى خلطنا جنًا على صقر
نغشى الوقيعة كالآساد إذ زارت
فننشر الرعب، بعد القول بالبتر
لا تطمعن بني صهيون في وطن
إنا بنوه.. ولا ننفك في حذر..
فاليشهد الحق.. والدنيا. بأجمعها
أنا، على عهدنا، ماضون كالقدر

فيكم ألمّ .. ألا تشكون للّصّجر؟
أصحابها؟ إنها، قومي، من العبر
قد أنكر الحق (بالصمصامة) الذكر
"قبيعة القهر" لا تبقي سوى الضرر
فالحق للقوم معروف.. من الأثر
فقاوموه ولا تخشوا أذى الجُدر
فالاتفاق يقي الأقوام من شرر
تشتد.. تدعو إلى استقلالها النَّصر
نفدي النفوس.. وأنا خيرة الخير

يا نسل عدنان ما هذا السبات وما
في أي شرع تباع الأرض مرغمة
بيعت فلسطين في ذا اليوم من رجل
لا تياسوا من مبيع العليج موطنكم
وطالبوا في عهود العرب أجمعكم
الانتداب أضر العرب كلهم
للاتفاق بني عمي.. ألا انتبهوا
وليعلم الغرب أن العرب ما فتئت
وليفهموا أننا حرب تجاههم

من رحمة الله، فالأعراب من حجر
أليس ظلماً يباع الحق في درر؟
أشجارنا؟.. دونما ظل ولا ثمر

يا أيها القوم لا تستئسوا أبدا
وطالبوهم بحق بيع في درر
وشر مسعى بني صهيون مطلبها

ما غرّد الطير بل حيوا أولي الفكر
حتى يؤوبوا بنيل العز والظفر
فالحق أبلج وضاح على البشر
نبغيه مسعى أولي الإقدام والنظر

إيه بني العرب حيوا الناهضين بكم
وادعوا إلى الحق أي يبيقيهم أبداً
لا يهضم الحق ما زلنا نطالبه
لكن علينا بأن نسعى إلى عرض

وأن نكون حيال الغرب في حذر

فإنهم ورثوا منظومة التتر

إننا سنحمي حمانا بانتفاضتنا

على عدو غريب .. طامع.. أشر

وننقذ الأرض من أنياب مغتصب

ويعزف البحر ألحاناً من السمير

ونسحق الظلم.. نبني صرح دولتنا

وتزدهي القدس في أثوابها النضر

ويكتب القوم.. يا أرضاً مطهرة

فكي القيود ولا تبقي ولا تذري

يا قوم.. وادعوا إلى تحقيق مآربكم

رباً رحيمًا يقيم فتكة الغير

وأخلصوا في دعاكم يستجب لكم

ربُّ الحنيفة فادعوا يا بني مضر

الكلية الاسلامية

القدس

1924/11/2م

حكومة الطور

الله أكبرُ لا نريدُ الطورا جبلاً يَحِفُّ بنا ولا بلفورا
ما سَطَّرَ التاريخُ وَعَدَا كالذي أُوْعِدْتَهُ شعبًا غدا مَدحورا

يا أيها الشَّعْبُ الكَرِيمُ تحية تثلى ... يُكَلِّمُهَا النَّسِيمُ زُهورا
قَرِّوْا عيونًا ثم طيبوا أنفُسًا قوموا إلى جَمْعِ الصُّفوفِ نَفيرا
نَيِّرُونَ هل فَعَلْتِ يَدَاكَ كَهذِهِ أَنْ بَعِثْتَ أَرْضًا أو كَسَرْتَ شُعورا
كَلَّا ولا جَنَكِيْزُ قَامَ بِمِثْلِهِ فَتَنَصَّفَحُوا التاريخَ ... أو تيمورا

عجبًا إذا الشَّاهِينُ رَدَّ جِمَاحَهُ يَدْعُونَهُ بَيْنَ المَلا رَزْزورا
فَلْيَعْلَمْ التَّقْلانِ أَنَّا أَشْهُمُ نَنقَضُ نارًا تارة ... ونُسورا
لا يَسْبِقَنَّ إلى العَقولِ بِأَنَّنَا مِتْنَا فَكُنَّا رابطينَ ظُهورا
فَالكُونُ أَجْمَعُهُ يَحاذِرُ صَوْلَةَ كَاللَّيْثِ يَزُرُّ غاضبًا وَهَصورا
وَيُعِيرُنَا أَذْنَا فَتُصْغِي كَلِّمَا خَطَّتْ أيدينا هُنَاكَ سَطورا
سُحْقًا لِهَذَا الشَّعْبِ يَبْغِي أَرْضَنَا في مالِهِ سُحْقًا لَهُ .. وَدُثورا
سُنْرِيكَ يَوْمًا أَسْوَدًا تَلْقَى بِهِ سوءَ المَصيرِ فَحاذِرِ التَّبْذيرِ

أَيَّامُنَا وَقَتُّ الطَّعَانِ شَهِيرَةٌ وَخِيُولُنَا، سَبَقًا، تَكُونُ طُيُورًا
يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ الَّذِينَ تَكَاتَفُوا وَتَضَامَنُوا .. لَا تَقْبَلُوا التَّرْوِيرَا ..
أَتَغِيبُ فِي أَعْلَى سَمَاوِنَا أَنْجُمٌ ؟ فَلَسَوْفَ نُرْجِعُهَا تُنِيرُ بُدُورَا ..
وَلَسَوْفَ نُنْظِرُ لِلوُجُودِ ضِرَاعِمَا يَبْدُونَ شُهَبًا فِي الْفَضَاءِ وَنُورَا
إِنَّا وَرَثَتَا الْمَجْدَ عَن آبَائِنَا فَلَسَوْفَ نُورِثُهُ الْبَنِينَ نَغِيرَا

يَا آلَ قَحْطَانَ الْأَبَاءِ إِلَى الْعِلَا هُبُّوَا لِنُنْفِذَ مَجْدَنَا الْمَاسُورَا
هُبُّوَا زُرَافَاتٍ وَطَيْرِوَا فِي الْفَضَا وَاسْعُوَا لِنُحْيِي فِي الْبِلَادِ ذَكَورَا
إِنَّا أَبَاءُ النَّفْسِ لَا نَرْضَى الْأَذَى أَجْدَادُنَا حَكَمُوا الْبِلَادَ عُصُورَا
وَلَيْنَ نُسَامِ الْحَسَفَ لَا تَلْقَى بِنَا إِلَّا قَسَاوِرَةً تَهْدُ السُّورَا ..
تَلْقَى شَبَا الْهِنْدِيِّ فِي أَكْبَادِنَا وَنَطِيحُ مِنْكُمْ هَامَةٌ وَنُحُورَا
يَكْفِي سُبَاتًا قَدْ هَجَعْنَا مُدَّةً قَرْنَا وَنَمْنَا أَعْصِرًا وَشُهُورَا
فَلِنَسْتَقِ مِنْ عَقْلَةٍ مُنْتَا بِهَا دَهْرًا، فَنَادُوا فِي الْبِلَادِ نُشُورَا
سِيرُوا إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي نَسْمُوا بِهِ لِلْفَرْقَدَيْنِ .. وَأُفْصِحُوا التَّعْبِيرَا
بِالْعِلْمِ نَبْنِي فِي الْبِلَادِ حَضَارَةً وَنُشِيدُ عَزًّا خَالِدًا .. وَقُصُورَا
وَنُعِيدُ لِلْأُوطَانِ مَجْدًا شَادَهُ أَبَاؤُنَا .. فَاسْتَشْعِرُوا التَّطْوِيرَا
وَإِذَا تَعَلَّمْنَا نُزِيلُ وَسَاوِسَا وَنَضْمُ عَقْلًا بَائِدًا مَبْدُورَا ..
فَيُرَى الْعَدُوَّ حَمَاسَةً تَسْرِي بِنَا وَتَصُولُ فِي عَرْضِ الْبِلَادِ صُقُورَا

بلفور قي دمشق

حدثوني يا أهل دار السلام
لهدف نفسي على دم مهراق
والقليل الزكي منه كثير
حدثوني عن دنشواي دمشق
حدثوني عن قطرة كيف سالت
حدثوني وحدثوني حتى
حنّ أردتها إلى برداها
أيهذا المغربي أحمًا بأخيه
فرق الأقربين فرق ومزق
رب جرح إلى التئام وهذا
أي دمشق أشجاك منا أنين
أي دمشق هنا سكوت لمعنى
أي دمشق هنا ظلام تدجى
يا دمشق هنا هناك وبدء
جاءنا الشيخ مبصرًا يتعامى
وتراءت لعينه بعلبك
وترمى ما فوق بيروت سهمًا
ورأى فيك يا دمشق شامًا
فصياح في وقره متعال

عن شهيدِ الله والإسلام
لا تـراه عيني وقلبي دام
ترخص الروح عنده في السوام
حدثوني عن يوم صيد الحمام
حدثوني عن سيله وهو طام
تحسبوني أرى الدماء أمامي
وهما التوأمان منذ الفطام
أنت بين النارين يوم الخصام
في صلات الأرواح والأرحام
الجرح دام من شوقه لالتئام
فصداه في قلبك المستهام
وهناك المعنى وفخم الكلام
وهناك الإشراق رآد الظلام
منك ومنا والفوز مسك الختام
ورأى فيك ما رأى المتعامى
في مجال الاشباح والاحلام
طائشًا يا لذله في السهام
كله فيك يا دمشق الشام
ورصاص من حوله مترام

وهو غازي الحمى بجيش لهام
بئس إنك التمويه والإيهام
رب جهل كالوحي والإلهام
ولد الناب قبل طبع الحسام
سمه مفسد لمح الطعام
والذي سده أمير الكرام
فاتك الروض انت في الآجام
إن تحدّث عن حادث الأيام
فإذا هم في الطير غير النعام
قد رفضنا كما وما من ملام
وتدهورت يا عليّ المقام
بعد برد من نارنا وسلام
كيف يرعاه ناقض للزمّام
ليس شيئاً يصح في الأفهام
لم تغز من ثمورنا بابتسام
لن تعز اليهود في الأقوام

جاءنا زائرًا فهلا أتانا
رب عذرٍ لقاتلٍ غاب لكن
رب فرط في العلم يورث جهلاً
فطرة الليث قبل علم الاناسي
لا يحل القرى لمثلك ضيفاً
سد باب الاقصى بوجهك سداً
إيهذ السرحان في جلد شاة
مبرم الوعد ناقض العهد حدّث
قل حسبت الأعراب طيراً نعماً
مبرم الوعد رافض الوفد أنا
كنت أوفى قدرًا وأعلى مقاماً
مبرم الوعد ناقض العهد ماذا
ذلك الوعد كان نقض زمام
هو احجية الأحاجي ولغز
ما أردنا لك اغتيالاً ولكن
ايه بلفور يا مذل النصارى

الرد على الرصافي

خطاب "يهودا" ام عجاب من السحر !
وحقك ما أدري وادري ويا لها
وما من عيون للمهى تجلب الهوى
ببغداد يا معروف بلارض بالسما
قريضك من در الكلام فرائد
ولكن هذا البحر بحر سياسة
أجل عابر الأردن كان ابن عمنا
أيهجر اوربا ليني "بيته"
عهدناك عباساً بوجه أعزة
وأصليت في الأقصى صباحاً وفي المساء
ويا صاحب الفانوس والسحر والضلة
تذكرنا المجد التليد وما ترى
ففي الحرب أبلينا بلاء موفقاً
وراقهم التقسيم اجراً موزعاً
بلى فصموا وثقى العرى ليعولوا
وقول الرصافي ام كذاب من الشعر
مراوحة بين الرصافة والجسر
بأرض بها عين الزمان على الحر
بريك بلا سلام بالشفع والوتر
وأنت ببحر الشعر اعلم در
إذا مد فيه الحق آذان بالجزر
ولكننا نرتاب في عابر البحر
على قبة ما بين مهدي والقبر
فكيف لقيت الذل بالعز والبشر
عشوت مع العاشين للرسم والذكر!
رويدك لادفت الحلاوة بالمر
لنا طرفاً من أيامنا الغر
تسطر نوراً فوق ألوية النصر
وعز جهاد العرب عن ذلك الأجر
على عروة في الرث تنبو عن الزر

بلى قسموها لا اثنين وحيدة
ولكن الى خمس فخمس إلى عشر
فبغداد في قطر ومكة وحدها
وعكاء في قطر وصيداء في قطر
وقف بي على الأردن وقفة تائه
فتهديك أقوال الضفادع في النهر
تنق: بغرب الماء ملك وشرقه
ممالك! بنس الكبرمن ذلك الصغر
وقف بي على الطور المقدس وقفة
نجاوز فيها عالم البحر والبر
هنالك للقبر الكريم كنيسة
تذكرنا صلب المسيح مدى الدهر
هناك سر والحقيقة بالجهر
فهيكلكم يا للكرامة مسجد
وفيه نصلي في العشية والفجر
فما بالكم تبكون خلف جداره
وتذرون هاتيك على الصخر!
ويا حضرة المندوب يا سامي النهى
رويدك في نهي رويدك في أمر
وان شئت "شكرًا" أنت بالحق أهله
فأني من بيت الفصاحة في العصر
وما أنت بالراضي بلفظ منمق
ولا أنت بالمدح الجراف بمغتر
أنت صموئيل سموأل امسنا!
وهل ساد أرض الإنكتارينو فهر؟
لئن كنت خصمي في البلاد وحاكمي
نقدرك معروف وتعرف لي قدري
ومعروف معروف بمأسدة الشرى
ولكن فرخ الوكر اعرف بالوكر
وقد جئت قبل اليوم مستفتيًا لهم
وإياك أستفتي ومثلك من يدري
أنؤمن في بلفور بعد محمد
وعيسى وموسى والوزير من الوزر
وربك : لا : فالوحي في الذكصادق
يكذب ما في الطرس من لوته الحبر

فما بالهم تاهوا وضلوا وذلوا

ولم يفقهوا ما في حكمة السفر

" اورشليم " دار الحشر والنشر: حولها

تقومون في يوم القيامة والحشر.

7- الشاعر حسن البحيري، قصيدة:

الداء والدواء

على هامش وعد "بلفور" ..

الدهر بالحدثان شدا ومضى وصار الأمر جدا
واربّد وجه العيش في زمن على الجور استبدا
وتصارعت هوج الرياح فراعت الأطواد هدا
وتراكم الغيم الحبي على عبوس الأفق سدا
وتلفت الثقلان في عكر الدجى للنور نشدا
وانصاع بعد الليل نور من مسيل الجر فدا
وعلت تباشير الصباح فبدت الظلماء بدا
والعيش بدله الجديدان المطارف فاستجدا
والكون زلزل والحياة تطاحت عكسا وطردا
وأراكمو في غفوة السكرات ما زلتم عبيدي
لا تملكون سوى الكلام يساء في الحفلات سردا
فثريكم في غمرة اللذات يمضي العيش رغدا
ما همه الوطن المبيع ولا شجاه الأمر ندا
فإذا دعتة اللذة الهوجاء فاض لها وأندى

فإذا دعا الوطن الجريح حمّةً أعطى فأكدى
وإذا دعتَه اللذة الهوجاء فاض لها وأندى
وخطيبكم كالديك في فلق الصباح إذا تبدّى
متسّم عود المنابر كي يفوق عليه ندًا
شفتاه تصطرعان بالأقوال فهو يسوق عردا
وضميره ميت فليس يهزه شعب تردّى
يا من جعلتم خادع الأقوال للتصفيق قصدا
وغفلتمو لاهين عن هول يحيق بكم وشدّى
هاكم عداكم في حماكم شمروا ومضوا ألدًا
شبانهم تمشي بسيف فنائكم وتصول جندا
وشيوخهم تبدي الحجا وتكن في الأطواء حقدًا
بعتم لهم إرث الجدود وما رعيتم فيه عهدا
عهدًا دم الشهداء مار على صحيفة مردا
ويل لكم.. أبأرضكم تتوثب الأعداء شدًا
وعيونكم عشيت قصارها بفيض الدّم تندى

يا أيها الباكون يجرون الدموع جوئ وسُهدا
رفدًا من الجفنين يستتلي على الخدين رُفدا

ما نال ذو حقٍ هوىً بالدمع يغرق منه خدًا
فالحق يؤخذ بالصفاح تؤدّها الأبطال أدا
والمجد بينيه القوي وما بنى ذو الضعف مجدا
يا من جهرتم بالكلام فأز في الأفواه رعدا
لا يمحي جرحُ العروبة من فؤادٍ كاد يردى
بالقول نمقه اللسان فسال للأسماع شهدا
أو بالمنى رقت على سنة يراح بها ويغدى
أو بالتشكي من صروفٍ سيرت نحسا وسعدا
جرح العروبة طبه عمل من العلم استمدا
وحصين خلق لا تروعه المفاسد أن يبدا
والعلم نبراس الألى نهديا إلى العلياء نهدا
والخلق أس الصرح يعمده بناءة المجد عمدا

أين الذي أعددتموه لتنقذوا الوطن المفدى
الشعب يتقله الضنى وينوء بالأغلال جهدا
والفقر يغمره بما يُبكي فؤاد الصخر وجدا
والجهل يلبسه من الآلام والأسقام بردا
والياس دون مناة في سُبُل الحياة يقوم سدا

أين الملاجئ تسعدون بها الألى حرموه جدًا
أين المصانع تلبسون حديدها حلقة وسردا
أين الفيالق تصرعون ببأسها الخضم الألدًا
أوما أتاكم قول ذي الصمصامة البتار حدًا:
"كل امريء يجري إلى يوم الهياج بما استعدًا"
إن شئتموا سبل الحياة تنمروا شيئًا ومردا
فهي الصلال تألبت وتقلبت نابًا وجلدا
لا تخذعنكم السياسة تجعل الأشواك وردا
كي تركنوا لمنى سراب لاح للصادين بردا
فلرب شهد في كؤوس رضابها بالسم مدا

قومي: أجدوا فاز مشتمل ردًا صبر أجدًا
واستعذبوا ورد الردى يا طيبة بالعز وردا
جدوا وشدوا واستبدوا مات شعب ما استبدًا
وتدرعوها مرة قدت من الأفناد قدا
وتساندوا وتعاضدوا وتكاتفوا قلبًا وزندا
وامضوا بعزم صادق يأتج كالنيران وقدا
وابنوا صروح المجد في غاب العلا واحموه أسدا

واسترجعوا ما ضاع من أوطانكم غورًا ونجدا

أولا فإن الموت من عيش الونى أهدى وأجدى

والعبد يرضيه الهوان ولا يبالي أن يصدا

والحر يأبى أن يضام ولا يطيق العيش عبدا!!

حسن البحيري/حيفا ../11/1945م

8- الشاعر محيي الدين الصفدي، قصيدة:

إيه يا يوم الثلاثاء

رثاء شهداء ثورة البراق

على إثر محاولة اليهود إقامة شعائر دينية غير متعارف عليها عند حائط البراق في القدس عام 1929 نشيت الثورة في جميع أنحاء فلسطين فاعتقلت سلطات الاحتلال البريطانية عدداً كبيراً من شباب فلسطين حكمت المحاكم عليهم بأحكام مختلفة وكان منها الحكم بالإعدام على الشهداء فؤاد حجازي من صفد، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل، ونفذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء في 17/ حزيران/ 1930 وكان كلما أعدم أحدهم يؤذن المؤذنون وتدق أجراس الكنائس في جميع أنحاء فلسطين.

أنحيبُ أم نشيدُ ورتاءُ أم قصيدُ
إيه يا يومَ الثلاثاء اکتوتُ فيكِ الكبودُ
فتيةٌ غرَّ غطاريفُ بحبلِ الموتِ قيدوا
أنفوا أنْ يُنزلَ الضيمَ بهم طاغِ عنيدُ
فأثاروها على الطغيانِ تطغى وتبيدُ
ثورةٌ قد حطمتْ صهيونَ فارتدَّ يكيذُ
واستجابَ الظالمُ العاتي لما شاءَ اليهودُ

* * *

إبكِ يا خلي فؤاداً إنه الليثُ الشهيدُ
إبكِ جمجوماً وزيراً لا يكفكفك جُحودُ
إبكِ مَنْ أثقلهم في سجنِ عكاءِ الحديدُ
إبكمهم يومَ دعاهم للردى عاتٍ مریدُ
فمشوا للموتِ في تيهٍ كما تمشي الأسودُ
واكتسوا إذ راقهم يومَ النوى البُرذُ الجديدُ
فكأنَّ الموتَ عرسٌ أو كأنَّ الموتَ عيدُ

* * *

لا تشقي الجيب يا أم فذا الموت الحميدُ
ما حياة نحن فيها لذوي الظلم عبيدُ
إنها يا أم خزبي ليس ترضاه الجدودُ
كفكفي الدمع فإن الحر بالنفس يجودُ
وعقاب الله يوم الحشر للباغي شديدُ

رفعوا للموت أعناقاً أناءتها القيودُ
شدها الحبل فكان الرزء إذ قد الوريدُ
أذن الناعي فضح الشيخ وارتاع الوليدُ
دقت الأجراس فاندقت أكف وخدودُ
واكفهر الجؤ راع الناس برق وبريدُ
واختشى الظالم أن يدهمه خطب جديدُ

أيهذا الساكن الطور تحييه الوفودُ
لا يغرّتك زمان أقبلت فيه السعودُ
إنما الريح إذ هبت لها يوماً ركودُ
وإذا ابيض نهار فليلالي هي سودُ
قل لمن في لندن آواهم القصر المشيدُ:
أبهذا حكم العدل وهل ترضى اليهود؟!
أم لديكم بعد قتل النفس بالجور مزيدُ؟
بينما العرب تُمنيه من الغرب الوعودُ
فإذا الوعد وعيد وإذ الثعلب سيدُ
وإذا هذا سجين وإذا ذاك شهيدُ

فرويداً إنّ مجدّ العربِ لأبَدَّ يعودُ
وفتى العربِ كريمٍ وفتى العربِ حقودُ
وإذا نجمٌ هوى منهم بدا نجمٌ جديدُ
وإذا عود نوى في روضهم أورك عود

9- الشاعر عطا سليمان رموني

قصيدة " وعد بلفور المشئوم "

شُرَّ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ابْتُلِينَا
لَعْنَةَ اللَّهِ الَّذِي كَانَ السَّبَبُ
وَعْدُ بِلْفُورٍ غَدَا شَوْمٌ عَلَيْنَا
طُعْمَةُ الْأَشْرَارِ حَقٌّ يُعْتَصَبُ
أَهْلُ مَكْرٍ وَخِدَاعٍ كَمْ لَقِينَا
مِنْهُمْ الْأَلَامَ نَلْنَا وَالنَّصَبُ
كَمْ تَمَادَى فِي الْأَذَى الْأَوْغَادِ فِينَا
كَمْ حُرُوبٍ أَجَّجَتْ فِينَا الْعَضْبُ
لِلْعِدَا هُنَا وَكَانَ الْعَيْبُ فِينَا
كَغُثَاءِ السَّيْلِ بِنْتَا يَا عَرَبُ
كَمْ لُدِغْنَا مِنْ جُحُورِ الْحَاقِدِينَا
نَالَ مِنْهَا كُلُّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ
يَا يَهُودًا قَدْ خُلِقْتُمْ مُؤَذِّنِينَا
لَا تَذِرْ مِنْهُمْ الْهِيَ ذُو شَنْبُ
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ كُنَا سَائِدِينَا
مَا لَنَا فِي اللَّهْوِ غَرْقَا فِي صَخْبُ
بَيْنَنَا مَنْ خَانَ بَيْتَ الْخَائِنِينَا
شُلَّ أَيْدِي كُلِّ مَنْ خَانَ وَتَبَّ

آه عَصْرِ كَيْفَ عِشْنَاهُ حَزِينَا
آيُ رَبِّي بَاتَ وَعَدَ مُرْتَقِبٌ
أَيُّهَا الْأَشْرَارُ إِنَّا عَائِدِينَا
إِنْ عَوَدَ الْحَقُّ خَيْرًا مُنْقَلَبٌ
حَسْبِيَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ
طَالَ لَيْلُ الظُّلْمِ وَالْفَجْرِ اقْتَرَبَ

10- الشاعر محمد العدناني

قصيدة وعد بلفور

يا وعد بلفور! قد أيقظتنا فتم على الضغائن، والأحقاد، والنقم
جمعت صهيون من صوب، ومن حذب لتصبغ الشرق من أبنائهم بدم
غداً تسيّر على أجدائهم زمر من أمتي، ترهب الآساد في الأجم
فندرك الثأر، والتاريخ يرقمه بالنور، يكسف نور الشمس، لا القلم
ولن نبقي ديّاراً يراوغنا ويشهر الغدر، والتتكيل في الظلم
ودير ياسين، إنا سوف نرفعها على جماجمهم تنهلّ كالديم
لا يكشف الشر في ليل الخطوب سوى هيجاء تكتسح الظلماء بالضرم

حلب: 2 تشرين الثاني 1956

11- الشاعر سليم اليعقوبي،

أ- القصيدة الدالية

بلفور لولا وعده والوعد أشبه بالوعيد
لرأى من العرب الحفا وة في التهائم والنجود
بلفور، لا أهلاً ولا سهـ لاً بلفور اللدود
الغادر العرب الأباة الناكر الماضي المجيد
الضارب الحسب الصحيح بكل شيطان مريد
الجاعل الوطن المؤيد بالعروبة لليهود
في عهد قوم يزعمو ن بأنهم أهل العهود
وهم الألى نقضوا العهو د وأخلفوا كل الوعود
شلت يد عملت على ما فيه تمزيق القيود
وعدت على البيت المقد س من مهبط المجد التليد
ورمت بنيه المخلصين بكل جبار عنيد
وقضت على قبر المسيد ح ومهده خير المهود
صبراً بني وطني فما بعد الهبوط سوى الصعود
بالله ما الأمر الذي نرجوه بالأمر البعيد
فالخير أقرب للصبور الحر من حبل الوريد

الغريبون لا ينصفون

إتّما الغرب، وظلم	حكمه، غير حمود
كل من فيه ظلوم	من وليد وولود
وبحسب الغرب ظلماً	وعد بلفور اللدود
إنّه والشّر يجري	فيه من شر الوعود
سلبونا خير دار	ليس فيها من جرود
في فلسطين رياض	ذات آسٍ .. وورود
ما لنا والماء فيها	إتّ ظمئنا من ورود
ولو أنّ الماء يجري	وبه خصب النجود

12- الشاعر هارون هاشم رشيد

قصيدة أرض الثورات

مقدمة :

بدمي أكتب للأجيال أجيال العروبة

قصة الأرض التي أعشقها أرضي السلبية

بدمي أكتب عنها .. عن لياليها الرهيبة

قصة لاهبة الأسطر .. شعواء غضوبة

قصة الأرض التي تزهر بأحداث عجيبة

قصة الثورات في أرض فلسطين الحبيبة

أرض الثورات

في بقعة من بقاع العالم الكبير
مرسومة بالحب، والأضواء .. والأثير
مفروشة بالورود، والسوسن .. والعبير
يمتد فوق صدرها .. موطننا الصغير
حدوده .. العيون .. والقلوب .. والصدور
وتربه .. دم الشباب الطاهر الغزير
موطننا .. كأنه .. فراشة .. تطير
أبدعها .. إلهنا .. إلهنا .. القدير
فليس في الوجود .. مثل مرجه النظير
وليس في السهول .. مثل سهله . المطير
وليس مثل موزه .. في غورنا الخضير
بلادنا .. بلادنا .. مواطن النسور
على درها عششت .. وحلقت تدور
بلادنا .. كرومها .. خيرة العصير
وبرتقالها الحبيب .. الأشقر .. الأمير
عريش بياراتها .. المعطر الزهور

هناك في بلادنا .. لا حر .. لا هجير
بل نسمة عذبة .. فياضة العطور
وأغنيات حلوة .. يطلقها الغدير
ترقص الأغصان والأنسام .. والطيور
كنا بها .. نعيش .. للسلام .. والسرور
كانت بها بيوتنا .. كأنها القصور
وفي ظلام ليلية .. حالكة الديجور
تلاحقت في موطني .. طلائع الشرور
حاملة إليه .. الشؤم، والدمار .. والنذير
وبدأت قصتنا .. والموقف الخطير
وهب كل شعبنا .. على صدى النفير
منافحًا .. مدافعًا .. عن موطني الكبير

النشيد الأول:

في بال في سويسرا هناك تجمعوا
من كل أنحاء الوجود تجمعوا
مثل النفايات التي يلقي بها المستتبع
الأرض من إجرامهم تتزعزع
والظلم من أعماقهم يتوزع
والذل فوق ظهورهم يتربع
واليوم...

ماذا يا ترى؟

في بال ماذا يرسمون؟؟
ماذا تراهم يصنعون؟ المجرمون الآثمون
يتآمرون على الوجود بشعبهم يتآمرون
ومع الخيالات الدنيئة يسرحون ويسبحون!
حكماء إسرائيل ماذا؟ غير درب الشرّ ماذا
يرسمون؟

والعالم المسكين غاف ليس يدري ما يكون
أعمى يسيره الصهاينة الكلاب الماكرون
وإلى الدمار به وبالدنيا الجهولة يدفعون

قد قرروا في بال تدمير الكنائس والمساجد
قالوا سنمتهن الشرائع والمحارم والعقائد
قالوا سنزرع إذما سرنا المظالم... والمفاسد
سندمر الدنيا... سنتركها مجامر أو مواقد
ولسوف نحكمها ونظلمها ونملأها مكائد
ولسوف ننصب عبر مشرقها ومغربها المصائد
سنكيل للأحرار ضربات ... سنتركهم طرائد
ولسوف نحمي الفاسدين المفتزين... من الأماجد
ولسوف نورد كل من يطغى على أحلامنا أقى الموارد
سنسير والشيطان حاد في الدروب لنا وقائد

قد قرروا بالمال أن يستعبدوا كل البشر
قد قرروا أن يشتروا حتى الضمائر والفكر
حتى الصحافة والاذاعة والخيالة والصور
بالمال قالوا سوف نحكم سوف نمتهن البشر
سنذل الدنيا سنحكمها سنملأها شرر
ونكون نحن الرابحين الناجحين لنا الظفر

بالمال سوف نذل الدنيا جميعًا والبشر

(يا هوه) شاء بأن يكون الناس خدامًا لنا

وبأن تكون الأرض كل الأرض من أملاكنا

وبأن يجوع الناس كي يرضى ويهنأ شعبنا

وبأن يذوق النذل كل الكون إلا قومنا

(يا هوه) شاء وسوف نبلغ ما أردنا بعزمنا

بالمال بالإرهاب بالإفساد في كل الدنيا

بافتك بالتدمير نبلغ ما نريد وبالخنا

سنبيع في سوق الرذيلة كل شيء عندنا

وسنشترى كل الوجود سنشتريه بمالنا

النشيد الثاني:

الحرب شبّ أوارها

ومشت .. وسارت نارها

الحرب تجتاح البلاد

خرابها .. ودمارها ..

الحرب معتزك رهيب

لا يكل شرارها

تتصارع الأطماع

والأطماع فهي سعارها

وتحرك الأوغاد أوغاد

الصهاينة .. الكلاب

قالوا: لقد آن الأوان

وحان وقت الاكتساب

الحرب نحن الرابحون بها

وللدنيا ... الخراب

فلننتهز .. فلنغتتم

ولنمض في كل الشعاب

وأتوا إلى سلطان تركيا

بأحلام ... كثيرة

وتقدمت من أجلهم

شتى الوساطات الأجيبة

فأبى .. أبى السلطان

تنفيذ المؤامرة الحقيرة

وتحطمت .. آمالهم

وتمزقت بدداً نثيرة

فتوجهوا .. للغرب

ساروا يطلبون بريطانيا

ويساومون على الشعوب

يفاضون على الورى

يتآمرون على فلسطين

على قدس الشرى

يتآمرون .. يساومون

يعاهدون المنكرا

والخوف في بريطانيا

خوف التخلف والهزيمة

ألقى بسياستها فرائس

للمؤامرة... الوخيمة

فمضوا يحيكون الدسائس

في معاهدة... لئيمة

لغنائنا... ولقتانا

ولِدِكْ أُمَّتِنَا ... العظيمة

وتحمس القذر الخسيس

الوغد "بلفور" الوزير

ورمى بوعد الشر

ألقى.... بالندير

وعد تزلزلت الجبال

له ومزقت الستور

وعد سييصق كل

إنسان على "بلفوره"

الحقد في كلماته

والذل ملء سطوره

وعد بتوطين اليهود

فيا لذل مصيره

وعد سيبقى سبّة

التاريخ عبر دهوره

بلفور ... يا بلفور

كل العرب لن ينسوا أساك

يا بئس ما ألقى لسانك ...

بئس ما خطت يداك ...

عجباً لمنطقك الغريب

وما تفتق عن دهاك ..

قررت للأغراب أرضاً ..

كان يملكها سواك ...

وعد تزلزلت العروبة

منه ... واشتعل الضرام

وتأججت همم الشباب

وجلجل الشعب الهمام..

عار علينا أن يكون ..

فدونه الموت الزؤام ..

عار علينا أن يكون

فلن نكل ولن ننام

وتكلم الحلفاء... أحلاف

الحسين... اليعربي

وتحدثوا .. عن حقنا

في حكم موطننا الأبّي

وتحدّثوا... وتفنّوا

في القول والكلم الوضي

وتمزّقت ... آمالنا

في المجد والعيش الهني

ومضى... هباء كل

ما قالوا... وما قد فنّدوا

وتعاهدوا ما بينهم

لشقائنا ... وتوعدوا

فإذا حقيقة أمرهم ...

سوداء ... يكشفها الغد

وإذا همو ... رجس

يمور به الشقاء .. ويزيد

قد قرروا تمزيق سوريا

وشطر ... الأردن

وبناء (إسرائيل) في وطن السلام المؤمن.

طلعوا علينا بالجناية

بالقرار ... الأرعن

وبالانتداب وبالوصاية

يا لفرح (وايزمن)

وحوت صكوك الانتداب

جريئة ... شتى الغرائب

وأتوا على الدنيا

بآلاف المصائب والعجائب

قالوا فلسطين تهيأ

لليهود ... بها المناصب

وتقام فيها ... دولة

أخرى تشاجر وتشاغب

وتوقف التاريخ يكتب

ذلة المتآمريين

في عصابة الأمم الدنيئة

عصابة المستعمرين

وهناك طأطأ رأسه

خزيًا من المتعاقدين

ومضى يسجلها سطورا

بالدماء وبالأنين

الانتداب على فلسطين

لماذا الانتداب؟؟

أجل تحقيق التوطن

للصهاينة .. الكلاب
ألجلب آلاف الأفاعي
والثعالب .. والذئاب
ألنشر رأي البؤس
والتشريد والدم والعذاب؟؟

الانتداب على فلسطين
بأي .. مشيئة؟!
ألآن .. ذنب العرب
أن دفعوا بكل معونة؟
بذلوا الدماء .. رخيصة
حرانة .. في الثورة
من أجل أرض العزة .
ولأجل مجد الأمة

أو بعد هذا أيها الحلفاء؟!
يا أهل ... الفتن؟!
بعد السلامة ... تقلبون

لشعبنا ... ظهر المجن
وتقـررون لغيرنا
في أرض أمتنا وطن
أفـهذه... يا أيها الحلفاء
نصـرتكم إذن؟

أين الوعود.. سخية
من مكـمبون إلى الحسين
بل أين آمال السلامة؟
أين؟؟ يا حلفاء أين؟؟
كذب لعـمري كلّ ما قد
قلتمو كذب ... وميـن
علمتمونا .. كيف نلـقاكم
غداً .. عيـناً .. بعين

الأرض تغلي والبراكين
الجموحة ... عارمة
وجمـوع ... أحرار البلاد

على المفاسد ناقمة
والريح تنذر بالعواصف
والرعود ... الصادمة
فالأمة العربية الكبرى
تنادت ... قائمة

لن يحبسوا صوت الكفاح
ولن يشلوا عزمته
فالشعب أعلن ملء سمع
الكون ... أعلن ثورته
ومشى يؤجج في ضرام
الأرض حرًا نقمته
ومضى يحقق بالجهاد
وبالتحرر ... عزته

النشيد الثالث :

الله أكبر .. يا فلسطين
العلا .. الله أكبر
لا تستكين .. قناتنا ..
رغم العداة .. وليس تكسر
فالسخط في أعماقنا ..
يا أرضنا دوى تفجر
هذا شهيد في الطريق
وذاك في الاغلال يؤسر
والذل أفرخ في ذرانا
والبغاث بها تنسّر
والشر إن الشر لّوح
في الدروب لنا وأنذر
وسلاحه غدر لنّيم
درعه خبث ومنكر
وطني .. فلسطين الحبيبة
كل قلب .. كاد يفطر
شهداء يافا ... الأبرياء

لواء ثورتنا ... المطهر

شهداء يافا... جلجلي

يا أرض .. فالبركان زمجر

فالموت ... ليس يخيفنا

كلا وليس الموت يقهر

وتكلم ... الشعب الكبير

وهب ... للشهداء يثار

سارت مظاهرة هنا

ومشت مظاهرة هناك

في كل شبر من فلسطين

ومضى ركب العراك

والله أكبر في السماء

دويها هز السماءك

نابلس، يافا، القدس

أنى سرت ضرب واشتباك

ونداء تحرير يجلجل

والتحام ... واحتكاك

ودم يسيل ... وثورة
شعواء من أجل الفكاك
ولأجل طرد الأجنبي
لأجل تقطيع الشباك
وطن العلاء هذا شبابك
هب مقتحمًا فداك
يلقى السلاح مجردا
منه ويحمي عن حماك
والدولة (العظمى) تحاربه
فيثبت في ذراك
ما خاف يوماً أو تقهقر
أو تنازل عن علاك
فهو القوي هو الأبى
هو المحارب في رباك
هذا شبابك أيها
الوطن الحبيب وذا هواك

وهناك في (حيفا)

مشى القسام مشبوب الفؤاد
وتجمع الأحرار حول الشيخ
ساروا...للجهاد
وتعانقوا...وتعاهدوا
ومشوا عمالقة شداد
أبنائي ... الأحرار
هذي أرضنا...هذي البلاد
هذي بلادكم...تهدّد
بالفناء ... وبالفساد
هذا عدوكم... تحدى
واستبد بما ... أراد
ومضى يدمر في الربى
ويعيث غدرا في النجاد
أفتسكتون ... عليه...أم
تتعاهدون على المراد
إني عهدتكم ... شداد
في الوقيعة ... والجلاد

قسام إنا لن نلين
ولن نخاف .. ولن نهاب
إقذف بنا أنى أردت
فقد تمرسنا... الصعاب
وادفع بنا للحادثات
وخض بنا عبر العباب
أنى أردت فنحن خلفك
في الذهاب وفي الإياب
أنى أردت فنحن جنديك
نحن نار والتهاب
إقذف بنا في كل معترك
شديد الاضطراب
سنخوضه . رغم العدى
رغم المدافع والحراب
سنزيح هذا الأجنبي
نزول عار الانتداب
الموت حق في النضال
عن المصائر والرغاب

وعن البلاد وعن السهول

عن السفوح عن الهضاب

وعن الذرى السماء ترفل

بالهناء .. وبالشباب

وهناك حول ربي (جنين)

الخضر حان الموعد

وتحفز الأحرار للثأر

الجموح ... وأرعدوا

الإنجليز ... هم العدو

المستبد... الأئكد

صبوا عليه شواظ

ناركمو الغداة تمردوا

ولأجل عزة أرضكم

موتوا بها واستشهدوا

كونوا لها حصنا حصينا

لا تكل له يد

أحرار هذا يومكم

فابنوا عليه وشيدوا

صونوا الحياة كريمة

لصغاركم... وتوقدوا

الله أكبر ... رددوا

عبر الفضاء وأنشدوا

وتدروا بالحق وامضوا

للكفاح... وزغردوا

لبيك شيخ الثائرين

فلن تززعنا الزعازع

سنكون خلفك في المعازل

والمغاوير... والمواقع

سنشد أزرك بالدماء

وبالقلوب وبالأضالع

هيهات تشنينا القنابل

عن منانا والمدافع

لن نُستذلّ لظالم

أو نستكين لغدر طامع
سنردّها في نحره
نجلاء دامية الأصابع
ونكون نحن أمام أمتنا
وثورتنا الطلائع
قسماً بهاتيك الدماء
تسيل ظلماً في الشوارع
قسماً بهاتيك الكنائس
والمساجد ... والجوامع
لن نستكين، ولن نلين
ولن نحيد عن المرباع

وتبسم الشيخ الكبير
وهزه الأمل الكبير
أمل التحرر من عدو
جاثم فوق الصدور
أمل يداعبه الخيال
ويستثار له الضمير

واغرورقت عيناه من فرح

وحلق في حبور

وتلاحقت في ذهنه

صور .. وأحلام تدور

ورأى مواكب قومه

الشهداء باسمه الثغور

وهفا الفؤاد .. لهم

حناناً والحنايا والشعور

اليوم يومك فانطلق

يا أيها الشيخ الجسور

واضرب ولا تخش العدو

فقد تملكه الغرور

وازأر تردد كل

أنحاء البلاد صدى الزئير

وتكلمت في سهل جنين

بنادقه ... القوية

ألقت خطاباً رائعاً

حلوا كريم العبقريّة
وتبسم الشيخ الكريم
وثارت الهمم الأبيّة
وبدت له أيامه
البيضاء زاهية وضية
ورأى خلال النور
أبطال الشهامة والحمية
ورأى العروبة وهي
تشعلها براكيئاً قوية
ومضى الرصاص مردداً
أنشودة الثأر العتية
وتزلزل الخصم العنيد
وروعت تلك السرية
وتوافدت آلاف نجدات
ونجدت سخيّة
والحفنة الأبطال أطواد
مغامرة ... تقيّة
من أين؟ من هذا الذي

قد أجج السهل التهايا
من أين؟ من هذا الذي
ألقى البراكين الغضابا
ومن الـذنين وراءه
ثاروا فهزوا الانتدابا
هاتوا بريطانيا . وهاتوا
جيشها .. هاتوا الحرابا
وتواردت نجداتهم
والشيخ يرميهم عذابا
ويذيقهم مر الهوان
يمرغ الباغي الترابا
وهناك فوق الثرى
فلسطين العزيز استشهدا
بطلاً .. عظيماً .. قائدا
حراً ... ألباً ... سيّدا
العطر من أعطافه
يزكو ويلتمع الهدى
والحق في أثوابه

أرغى وثار وأزبدا
قسّام ... يا قسّام
ما أحلاك في ساح الفدا
في موكب المستشهدين
وفوق أكتاف الردى
من أجل عزة أمة
عاشت بعزتها العدى
كنت الطليعة ... أيها
القسّام ... كنت المرشدا
وحملت مدفعك القوي
مهّدًا .. متوعّدا
حتى شفيت الغل
ممن جار ظلماً واعتدى
وقضيت في ساح الكفاح
مزمجرًا... متمردا

ومضت جنازتك الرهيبية
في الشوارع ... سائرة

ووراءها ... الآلاف ..

آلاف الجموع الزاخرة

تمشي وفي أكبادها

نارٌ تأجج ثائرة

تبكيك في صمت

وتقسم أن تظل مثابرة

وبأن تسيّر وراء

خطوك في الطريق مغامرة

وبأن تواصل ما بدأت

من الزحف ... الهادره

وبأن نموت فداءها

وبأن تظل مصابرة

قتّام يا رمز الكفاح

ويا منار الثائرين

الثورة الكبرى تلّظت

في قلوب ... الطامحين

فمشوا وراءك في النضال

مُثَابِرِينَ ... مَغَامِرِينَ

حَيِّتِ يَا قَسَّام...

أَنْتِ مَنَارَنَا عِبْرَ السَّنِينَ

حَيِّتِ يَا قَسَّام...

يَا زَحْفًا عَلَى الْمُتَأَمِرِينَ

حَيِّتِ يَا قَسَّام...

يَا جَيْشًا مِنَ الْمُسْتَبْسِلِينَ

حَيِّتِ يَا قَسَّام...

أَنْتِ مَنَارَةٌ عِبْرَ السَّنِينَ

النشيد الرابع :

الثورة الكبرى تآظت
في المغور .. والكهوف
في كل شبر من فلسطين
مجلجلةً .. تطوف
والشعب أشعلها فشبّ
ضرامها الحرّ العصف
ومشى نظاها .. يأكل
الباغي .. بإرعاد مخيف
ويقابل الجيش العتي
بغضبة الشعب العنيف
والثورة الكبرى .. تدق
الباب .. زاخرة الألوفا
في وجه هذا الظلم
في وجه الزلازل والحتوف
قد آن قد حان النضال
فلا هدوء ولا وقوف
الأرض تغلي والمنابر

والمدارس .. والصفوف

والشعب كل الشعب

أعلنها على الخصم الحليف

قد أضرب الشعب الكبير

توقفت أعماله

ما العيش ما معناه؟

أن تجتثه أغلاله

والإم يبقى صابرا؟

أيموت فيه نضاله

ومشى ... مشى الشعب الكبير

تقوده ... أماله

نحو النضال : شبابه

ونسأؤه ... ورجاله

وتعمم الإضراب في

كل المدائن والقرى

ومضت جموع الثائرين

إلى الجبال ... إلى الذرى

فإذا البلاد لظى

تسعر مستثارا أحمرًا

وإذا (جبال النار)

تصفع بالثبات بريطانيا

وإذا بها تلقي ..

الشواظ محطماً ومدمرا

الحق ألهبها تريد

عدالة وتحررا!

وتريد طرد الأجنبي

تريد طرد بريطانيا

بريطانيا تلك التي

تبغي لنا أن نقهرا

وتريد أن تعطي العدو

سهولنا والأنهرا

بريطانيا .. لا لن نحيد

وأننا لن نقهرا

سنسير في حوماتنا

شهداء من أجل الثرى

الجيش جيش الدولة

العظمى...تقهقر

وقواه فوق صخور

ثورتنا...تكسر

الجيش .. رغم حرايه

وعتاده .. هيهات ينصر

فالشعب في كل الذرى

السماء أعلنها وكبر

في كل شبر من

(جبال النار) بركان تفجر

ووراء كل ثنية

عزم يزلزل من تجبر

الله أكبر ... ردي

يا أرضنا ... الله اكبر

سمرت بريطانيا وجنّ

جنونها عسفًا وظلما
ومضت فيالقها تدمر
في القرى حرقًا وهدما
فتروع الودعاء تشنيتا
وتشريدا ويتما
كم أفزعت تحت الظلام
بجيشها طفلا وأما
كم أحرقت... كم دمرت
كم هزت الأحياء رجما

كانت قرى ومع الصباح
ركام أنقراض ترى
أين القرى؟ بل أين؟
يا أحرار سكان القرى؟
أترى الزلازل هدمت
أبياتهم هل يا ترى؟!
أم تلك أجناد العدو؟
أذاك ... جيش بريطانيا

مسح القرى فكأنها،

بالأمس ما كانت ترى!

كل المصائب هذه

قد زادت الشعب اشتعالاً

فمضى ... تمرد ... ثار

واعتمص الجبالاً

وزادته ... إيماناً

وزادته اشتداداً واحتمالاً

لم يرتعد ... لم يرتعش

لم يشك جوعاً أو ملالاً

تخذ النضال شريعة

ومضى وقد حمل النضالاً

بذل الدماء ... رخيصة

ومضى بها يسقي الرمالاً

حتى النساء حملن

أعباء الجهاد بلا استياء

ومشين في ظل اللواء
لأجل تحريـر اللواء
ومضين يحملن الحراب
مضين يبذلن الدماء
في كل درب قصة
لبطولة تدعو الثناء
وبكل زاوية عيون
ترتجي نصر السماء
ترجو لنا النصر المؤزر
والتحرر ... والهناء

يا للنساء الوالـهات
وراء أستـار السواد
أطفالهن مروعين
من البنادق والجياد
ومن الحوافر في الدروب
تدقّ أشلاء العباد
ومن السياط الكاتبات

على الظهور بلا مداد

هاتي بريطانيا بقية

جيشك المستعمر

وتحكمي في الأمنين

الوادعين تجبري

واستبدي واغدي

هيا انصيبي سود المشانق

للشباب النير

هاتي الجنود وطوقني

(حلحول) بالجيش الكبير

فالليل فيها وادع

النسمات هيمن العبير

وصغارنا رقدوا مع

الأحلام في نوم قزير

هاتي حرايك أفرعهم

بالبنادق .. والصريير

حلحول ثابتة .. ثبوت

الطود .. من أجل المصير

أحرارها ملء الكهوف

على الذرى .. ملء الصخور

حلحول .. ماذا .. أي

إلهام .. وإبداع .. كثير

حلحول ما هذا الثبات

وأي إعجاب كبير

حلحول .. لو أنصفت كنت

مع النجوم مع الدور

بالنار .. بالأسلاك .. بالجند

المسلط .. بالغرور

ما حرّكت شفة ولا

دلت على مخبا النسور

حلحول يا عملاقة

يا قصة عبر الدهور

ما أجمل الذكرى تمرّ

بشعبك الحر الجسور

فتهز أعطاف العُلا
فخرًا .. وتشمخ في حبور
الذكريات تمر سامية
وزاهية .. السطور
هي في فم التاريخ
والأجيال تعبق بالعبير

حلول صبرًا إنَّ
في سلوان تدمير ونار
وفظائع للانجليز
تهز أفئدة الحجاز
الإنجليز مع الظلام
على ساكنها أنمار
(الفرقة السوداء) تعصف
بالشيوخ .. بالصغار
جاءت لإيقاظ النساء
على البنادق والغبار
وعلى اللظى المشبوب

يلتهم المساكن والديار

حلحول أختك (سيلة الظهر)

القوية لا تزال

رغم العداة الغاديين

قوية مثل الجبال

رغم اللصوص المارقين

ورغم أشياع الضلال

رغم القوى الرعناء

تبطش في الدروب وفي الجبال

هي لا تزال .. تطلّع

للفجر .. حصن للنضال

هي لا تزال كما عرفت

قوية .. هي لا تزال!!

النشيد الخامس :

يا أيها التاريخ ..
ما أحراك أن تتكلّمَا
يا أيها التاريخ ..
ما أحراك أن تتألّمَا
هات الحديث عن الكفاح
ملحنًا .. ومرنًا
وأملاً سماء الثائرين
توتّبًا .. وتضرمًا
هات الحديث .. وعد بنا
عبر السنين .. مهومًا

الإنجليز .. يفتشون
هنا هناك عن السلاح
ويهددون ويمالّون
الكون والدينا نباح
أين السلاح، وكلنا ثرنا
ولبيننا...الكفاح
أين السلاح...وكل شبر
في فلسطين...مباح

أين السلاح...نرد

عن أوطاننا غدر الوقاح

أين السلاح .. نداء

إعصار يجلجل في البطاح

أين السلاح .. سلاح

دولة الانتداب مع اليهود

ساروا به يتتمرون

ويعتدون على الأسود

يا للذالة يا لها

من دولة ترعى العهود

أعطتهموا حق التسليح

والتمرد والجحود

ومضت تهددنا

بأصناف المقاصل والقيود

ومضت تقتش في الكهوف

وفي الجبال وفي المنازل

عن ذلك الشعب القوي
وذلك الشعب المناضل

وعن السلاح مضت
تقتش في المنازل والمعامل
أين السلاح يصيح أجناد
الأذى .. أين القنابل

وهناك في بيت
يريم الصمت في أجوائه
أسد قوي رابض
كالطود في عليائه
فرحان .. فرحان الكبير
بصمته .. وإبائه
فرحان .. والذكر الكبار
تموج .. في أضوائه

وتقحم الأعداء .. بيت
الشيخ في جنح الظلام
شيخ البسالة والبطولة
والكرامة والسلام
فرحان من؟ من هؤلاء؟

الداهمون مع الظلام؟

من هؤلاء .. وأي شيء

يطلبون من القيام

فرحان جاءوا يعتدون

على الكرامة .. والكرام

وتقحم الأجناد .. بيت

الشيخ شيخ الثورة

ومضوا يكيلون الشتائم

للعلا .. والعزة

والشيخ منتصب يحدق

في (رجال الشرطة)

مثل اللصوص .. تسللوا

للبيت .. دون تحية

وهُمو .. رجال الأمن

يا للأمن .. يا للذلة

ومع انبلاج الفجر

كان الشيخ في السجن الرهيب

شيخ البسالة والبطولة

شيخنا الشهم الحبيب

زجّوه باسم الأمن

باسم التاج في ليل كئيب

زجّوه باسم (الدولة

العظمى) بحكمهم العجيب

والشيخ .. قد جاز الثمانين

التي تعفيه من أحكامهم

لكنهم لم يرحموه ..

فجردوا .. أقلامهم

خطّوا له التهم الكبار

وأحكموا .. إجرامهم

والشيخ مثل الطّود

ليس تخيفه .. آثامهم

فرحان منبسط اليدين

يسبح الله الكريم

ويرى بعينه وراء السجن

جنات ... النعيم

ويرى فلسطين التي

ضاقت بظالمها اللئيم

بالبغي يأكل شعبها

كالنار .. تلتهم الهشيم

فرحان يا فرحان ساعات

وينبلج ... الصباح

قد هيؤوا لك منبرا

تعنو ... لجبهته الرياح

وغداً ستعلوه قوي

القلب مشدود الجناح

بالشعب يا فرحان لا

بسياطهم ... أو بالسلاح

وخطوتها نحو الخلود

إلى طريق المشنقة

خطوات ليث لا تروجه
الأيادي الفاسقة
ومشيت والأحرار
ما كأت وراءك لاحقة
ووقفت تحت الحبل
تزهو بالقيود اللاصقة

يا صائمًا في جنة
الرضوان فيها أفطرا
حمل الكفاح مجلجا
باسم الكفاح مزجرا
يا صائمًا حمل السلاح
مهلا ... ومكبرا
يا صائمًا لله درك
قد هزمت بريطانيا
لما وقفت مهددا
متوعداً ... متحررا
والشعب يقسم أن

يحطم قاتليه ويثأرا

النشيد السادس :

خذلت كل قوى المستعمر

الباغي وخابا

ورمته الثورة الكبرى

مهاناً مستعابا

علمته فوق ما يدري

صموداً .. والتهابا

علمته أننا الشعب

الذي دك الصعابا

والذي إن لَوَّح الداعي

إلى الثأر أجابا

ملاً الدنيا هديرًا

ونذيرًا .. واسطخابا

علمته .. كيف أننا

نتحدى من تصابى

نتحدى كل باغ

يسم الشعب العذابا

نتحدى كل باغ

تخذ الظلم كتابا

نتحداه .. وإن مد

لنا ظفراً .. ونابا

نتحداه نساءً ..

وشيوخاً وشبابا

نتحدى شرعة الغاب

ونجتاح الذئابا

هكذا في ساحة الروح

تحدينا الخرابا

فجئنا الهول على

أقدامنا والموت ثابا

وانحنى التاريخ إجلالا

لنا .. والمجد آبا

ركع المستعمر الباغي

ذليلاً مستهاناً

إذما مد جناح الغدر

قَصَّتْهُ يداننا

في السَّهول الخضر إن مرّ

وفي أعلى ذراننا

في رواييننا التي تحلم

بالعدل... وفي كلّ قرانا

قد هزمنناه ... فولى

مذبرًا...وغدًا جباننا

طالبًا أن تهدأ الثورة

في شمّ ذراننا

وبأن ينتهي الإضراب

مهما الأمر كانا

وأتوننا .. وسطاء الخير

يلقون .. العناننا

صفوة الحكام فاقدنا

نلبّي .. وُسْطاننا

أذعن الشعب وقال:

الجولة الأخرى لنا

نحن لن نسكت يوماً

أبدًا عن حقنا

سوف نمضي باسم

هذا الحق... نجتاح الدنى

أبدًا سوف نروي

بدمانا ... أرضنا

نحن أقسمنا... ولن

يهدأ يوماً ثأرنا

لا ولن نسلم... لن

نسليم ... يوماً أمرنا

في ركاب المجد .. قد

سرنا .. ولبى شعبنا

ورسمنا الدرب .. للأحرار

لمّاح .. السنّا

نحن أقسمنا بأن

تبقى فلسطين لنا

نحن أقسمنا ولن

يهدأ يوماً ثأرنا

يا أخي وانتشر الصمت

على أرضي .. حيناً

لم يكن صمّاً .. ولا..

كان هدوءاً أو سكونا

كان بركاناً .. يؤجُّ

الثأر .. والأطماح فينا

شهدانا رسموا الدرب

فسرنا طامحيناً

لم ننم .. يوماً .. وإن

نامت عيون الساهرينا

بدمانا قد كتبنا

قصة الشعب القوي

بدمانا قد كتبنا

خطة البعث الأبدي

بدمانا قد أنرنا

مشرق الفجر الوضي

بدمانا قد بدأنا

بالكفاح اليعربي

بدمنا قد هزمنا

كل باغ أجنبي

هذه بعض سطور

عن فلسطين وعنا

يوم لبينا نداها

وعلى الباغين ثرنا

إنها قصتنا كانت

على الدهر وكنا

نحن عشناها شهوراً

وسنيئاً... ما سئنا

كلما ازدادت لهيباً

بالأمانى .. زودتنا

كل درب .. كل شبر

من ثراها .. هو منّا

قد درجنا .. في مغانيتها

عصافيرًا .. تغني

ورقصنا .. في روايبها

فراشات .. وطرنا

الروابي .. الخضر كم

غنّت لنا شعرًا .. ولحنا

أينها .. منا .. لقد ضاعت

مع الريح .. وضعنا

هذه .. قصّتنا .. قصتنا

مبني .. ومعنى

إنها .. قصة شعب

عربيّ ليس يفنى

ب) جدول القصائد التي نددت بوعد بلفور

اسم الشاعر	عنوان القصيدة	عدد أبياتها	البحر
إبراهيم طوقان	1- رد على رثوبين شاعر اليهود	42	الخفيف
	2- البلد الكئيب	40	الكامل المجزوء
	3- رثاء أبي المكارم	29	البسيط
	4- يا سراة البلاد	17	
	5- نشيد البراق	12	السريع المجزوء
	6- الإيمان الوطني أو جماعة السار	7	الخفيف
	7- أيها الأقوياء	7	الخفيف
	8- زيادة الطين	7	البسيط
إبراهيم الدباغ	1- فلسطين الدامية	105	البسيط
	2- صوت فلسطين	91	البسيط
	3- يا وطني الأول	39	الرجز
إسكندر الخوري	1- ثورة فلسطين	43	الرمز
	2- الجامعة العبرية	16	الكامل المجزوء
	3- ما ضام الفتى	15	الوافر
عبدالرحيم محمود	1- أحاجي	71	الرمز
	2- عيد الجامعة العربية	32	الكامل
	3- وعد بلفور	19	الكامل
محمد علي صالح	1- ليلي وبلفور	49	الرمز
	2- يوم 2 نوفمبر	37	البسيط
	3- حكومة الطور	30	الكامل
وديع البستاني	1- بلفور في دمشق	35	الخفيف
	2- الرد على الرصافي	35	الطويل
حسن البحيري	الداء والدواء	70	الكامل المجزوء

الرمل المجزوء	39	إيه يا يوم الثلاثاء	محيي الدين الصفدي
الرمل	24	البائية (رويها الباء) وعد بلفور المشؤوم	عطا سليمان رموني
البسيط	7	وعد بلفور	محمد العدناني
الرمل المجزوء	*	1- الغربيون لا ينصفون	سليم اليعقوبي
الكامل المجزوء	*	2- الدالية (رويها الدال)	
شعر حر	858 سطرًا	أرض الثورات	هارون هاشم رشيد